



عمادة الدراسات العليا
جامعة القدس

من مفردات اللغة الإشارية في القرآن الكريم
دراسة استقرائية

حمدالله أحمد محمود عاصي

رسالة ماجستير

القدس - فلسطين
1429هـ / 2008 م

من مفردات اللغة الإشارية في القرآن الكريم
دراسة استقرائية

إعداد

حمدالله أحمد محمود عاصي

بكالوريوس لغة عربية جامعة بيرزيت - فلسطين

إشراف

د. حسين الدراويش

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة
العربية / كلية الآداب / جامعة القدس

القدس - فلسطين

1429هـ / 2008 م

جامعة القدس
عمادة الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

من مفردات اللغة الإشارية في القرآن الكريم

اسم الطالب : حمدالله أحمد محمود عاصي
الرقم الجامعي : 20311695
المشرف : د. حسين الدراويش

تمت مناقشة هذه الرسالة يوم السبت وأجيزت بتاريخ 8/7 /2008 م .

أعضاء لجنة المناقشة :

- 1- الدكتور : حسين الدراويش (مشرفاً)
- 2- الدكتور : يوسف الريماوي (مناقشاً داخلياً)
- 3- الدكتور : مهدي أسعد عرار (مناقشاً خارجياً)

القدس - فلسطين
1429هـ / 2008 م

إقرار

أقرّ أنا مقدّم هذه الرسالة ، أنّها قدّمت لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، وأنّها نتيجة أبحاثي الخاصة باستثناء ما تمّ الإشارة إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة أو أيّ جزء منها لم يقدم لنيل أيّة درجة عليا لأيّة جامعة أو معهد.

الاسم : حمدالله أحمد محمود عاصي

التوقيع : حمدالله

التاريخ : 23 / 6 / 2008 م .

الإهداء

أهدي هذه الدراسة ..

إلى قائد البشرية وسيدّها ، صاحب الخُلق العظيم ، سيدنا محمد عليه
أفضل الصلاة وأتمّ التسليم .

إلى روح والدتي الطاهرة في لحدها .

إلى والدي الصبور والمكافح في عمله .

إلى إخواني وأخواتي الأعزاء .

إلى زوجي ، التي تحمل أطيّب اسم اختارته الأزهار وأجمله ، والتي
كانت دوماً تتذوق طعم هذا العمل الدؤوب ، وتستشعر حلاوته ؛ فكان
لها الفضل في مساعدتي على إخراجها إلى حيّز الوجود .

إلى كل الذين هويت قلوبهم سبيل استنشاقهم هذا العلم في مهده .

إلى كل غيور ومحبّ لكتاب الله - تعالى - ، ونهج رسوله الكريم .

إليهم جميعاً أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع .

شكر وتقدير

عملاً بقوله (عليه الصلاة والسلام) : " من لا يشكرُ الناسَ لا يشكرُ الله " (1)؛ فإنه لا يسعني في هذا المقام إلا أن أقدم - ومن نوافذ هذه الرسالة - الشكر والتقدير لأعضاء هيئة التدريس في دائرة اللغة العربية ، قسم الدراسات العليا في جامعة القدس ، وأخص بالذكر كلاً من : الدكتور إبراهيم الخواجا ، والدكتور يوسف الرفاعي ، والدكتور مشهور الحبازي ، الذين نهلت من معين علمهم وثقافتهم .

كما يسرني أن أقدم الشكر الجزيل وبفائق الاحترام والتقدير إلى فضيلة الدكتور حسين الدراويش المشرف على هذه الرسالة ؛ الذي كان بمثابة الرفيق والأب النصوح ، الذي ألهمني مزيداً من العزيمة والصبر والسُّلوان .

كما أشكر قرّة عيني (زوجي) التي كان لها يد المساندة في زرع بذور هذه الرسالة ، وإرساء جذورها التي تفوح منها رائحة الطيب .

ويسعدني أيضاً أن أتوجه بكل تقدير واحترام لأعضاء هيئة التدريس في دائرة اللغة العربية في جامعة بيرزيت الذين كانوا قد سلّموني مفتاح الباب الثاني لمسيرتي العلمية ، وأخص بالذكر كلاً من : الدكتور محمود العطشان ، والدكتور عبد الكريم أبو خشان ، والدكتور علي الخواجا ، والدكتور عمر مسلم ، والدكتور مهدي عرار . كما أقدم الشكر أيضاً لزملائي المعلمين في هيئة التدريس ، وزملائي الطلبة في قسم الدراسات العليا .

ولا يفوتني أخيراً أن أشكر العاملين في : مكتبة بلدية البيرة ، ومكتبة مسجد البيرة الكبير ، ومكتبة جامعة بيرزيت ، وكل من ساهم في إتمام هذه الرسالة ؛ فلهم مني جميعاً جزيل الشكر والتقدير والعرفان .

1 انظر : الترمذي ، الصحيح ، عن أبي هريرة ، في باب البر والصلة ، 33 / 7 .
الترمذي ، أبو عيسى محمد بن سورة ، (ت297هـ) ، صحيح الترمذي ، بشرح ابن عربي المالكي ، ط1 ، المطبعة المصرية
بالأزهر ، القاهرة ، 1350هـ / 1931م .

مسرد الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	إقرار .
ب	الإهداء .
ت	شكر وتقدير .
ث- ذ	مسرد الموضوعات .
ر	ملخص باللغة العربية .
س- ش	ملخص باللغة الإنجليزية .
3-1	المقدمة .
24 -5	الفصل الأول : في اللغة الإشارية :
5	1- تعريف الإشارة لغة واصطلاحاً :
5	أ- الإشارة لغة .
5	ب- الإشارة اصطلاحاً .
20 -6	2- تاريخ البحث في اللغة الإشارية :
6	أ. الإشارة عند القدماء :
8	1. الإشارة عند الجاحظ .
11	2. الإشارة عند ابن جني .
16	ب. الإشارة عند المحدثين .
24 -21	3. أهمية اللغة الإشارية .
104 -25	الفصل الثاني : الإشارات في القرآن الكريم :
86 -26	1- الإشارة الجسمية :
48 -26	أ- الحركات الجسمية :
38 -26	أولاً : الحركة الجسمية البسيطة .
26	1. حركة اللسان .
27	2. حركة الخد .
27	3. حركة العنق .
28	4. حركة الرأس .

31	5. حركة اليد .
36	6. حركة الرجل .

48 - 38	ثانياً : الحركة الجسمية المركبة
38	1. حركة اليد مع اليد .
38	2. حركة اليد مع الوجه .
39	3. حركة اليد مع الفم .
40	4. حركة اليد مع الأسنان .
41	5. حركة الأصابع مع الأذن .
42	6. حركة تقييد اليد إلى العنق .
43	7. حركات جسمية أخرى .
43	أ- الركوع والسجود .
44	ب- خر الأذقان (السقوط على الأرض) .
44	ج - ثني العطف .
44	د- الإعراض ونأي الجانب .
45	هـ - ثني الصدور واستغشاء الثياب .
46	و- ضيق الصدر وتصدّده .
46	ز- نبذ الشيء وراء الظهر .
47	ح- الصفير والتصفيق .
64 - 48	ب - تعبيرات الوجه والعينين :
54 - 48	أولاً : تعبيرات الوجه :
49	1. الوجه السوء .
49	2. الوجه المنكر .
50	3. الوجوه المغبرة والوجوه المقتررة .
50	4. الوجوه المبيضة والوجوه المسودة .
51	أ- الوجوه الناضرة .
51	ب- الوجوه الناعمة .
51	ج- الوجوه المسفرة الضاحكة .
52	د- الوجوه الباسرة .
52	هـ- الوجوه العابسة .

53	و- الوجوه الخاشعة الذليلة .
53	ز- الوجوه العمياء والبكماء والصمّاء .
53	ح- الكبّ على الوجوه .
64 - 54	ثانياً : تعبيرات العينين :
55	1. ما يعبر عن العفة بنوع النظرة أو طبقاتها :
55	أ. غض البصر .
56	ب. قصر الطرف .
56	2. ما يعبر عن سلوك بصري مستقبح كـ (الغمز) .
56	3. ما يدل على حالات نفسية متفاوتة :
57	أ. ما يعبر عن درجات مختلفة من الخوف :
57	1. النظر الخفي .
57	2. النظر الخاشع (الخاضع) .
58	3. النظر الشاخص .
58	4. النظر الزائغ .
59	5. النظر الدائر الوجل .
59	6. النظر المغشي .
60	7. النظر المتقلب .
60	8. النظر البارق .
60	ب. ما يعبر عن شدة الكراهية والسخط :
60	1. النظر المزلق .
61	2. النظر المسدود .
61	ج. ما يعبر عن درجات مختلفة من الحزن :
61	1. الدموع .
62	2. البكاء .
62	3. بياض العين .
62	4. قرور العين .
63	4. ما يدل على المعاينة :
63	أ. نظرة المعاينة من أجل الرؤية والمشاهدة والحضور .
64	ب. نظرة المعاينة التأملية .

64	ج. نظرة المعاينة الإيهامية .
67-65	ج- تعبيرات الضحك :
66	1. الضحك على سبيل الاستهزاء والسخرية والاحتقار .
66	2. الضحك في السرور المجرّد .
66	3. الضحك في التعجّب المجرّد .
67	4. الضحك في التعجّب والسرور معاً .
78 - 68	د. الهيئات والأوضاع الجسميّة :
74 - 69	1- هيئات المشي :
69	أ- التمتطي في المشي .
70	ب- المشي مرحاً .
70	ج- القصد في المشي .
71	د- المشي باستحياء .
72	هـ- الإهطاع في المشي .
72	و- الركض .
73	ز- المشي سراً .
74	2- الفرار والإدبار والتولية .
75	3- الانقلاب على الأعقاب (الرجوع إلى الخلف)
76	4- أوضاع الجلوس :
76	أ. القعود .
77	ب. الاتكاء (الإضجاع) .
77	ج. الإفساح والإنشاز .
78	د. الجثوّ (الجلوس على الركب) .
86-78	هـ - المتمّمات المساندة :
82-79	1- المظهر :
79	أ. النعل (الحذاء) .
79	ب. القميص .
81	ج. الجلباب .
81	د. الحلي والأمتعة .
82	هـ. الروانج .

86-82	2. الآلات والأدوات المرافقة :
82	أ. العصا .
83	ب. الدرع .
85	ج. الميزان .
97-87	2. الإشارة الضوئية :
95-87	أ- الألوان :
89	1. اللون الأبيض والأسود .
91	2. اللون الأصفر .
92	3. اللون الأخضر .
93	4. اللون الأحمر .
95	5. اللون الأزرق .
97-96	ب- العلامات :
96	1. النور .
96	2. النار .
97	3. النجوم .
97	4. علامات أخرى .
104-98	3- الإشارة الصوتية :
98	- مهاد :
102-100	أ- المستوى المرتفع :
100	1. الصراخ .
101	2. الصديد .
101	3. النعيق .
101	4. الشهيق والزفير .
102	5. الصفير .
104-102	ب- المستوى المنخفض :
102	1. الهمس .
103	2. الرّكز .
103	3. التخافت .
103	4. الإنصات .

104	5. الصّمت .
-----	-------------

127-105	الفصل الثالث : خصائص اللغة الإشاريّة في القرآن الكريم :
106	1. الإحاطة والشموليّة .
108	2. الدقّة والموضوعيّة .
109	3. الإراديّة والتلقائيّة .
110	4. الصدق والواقعيّة .
110	5. الاستقلاليّة .
112	6. التناظر والتقابل .
115	7. الإيجاز والإعجاز .
116	8. الكنائيّة .
118	9. الارتقاء إلى مستوى اللغة .
122	10. العلاميّة .
124	11. الوظائفيّة .
126	12. الحيويّة التعبيريّة .
128	الخاتمة .
131	فهرس الآيات القرآنيّة .
145	فهرس الأبيات الشعريّة .
146	فهرس المصادر والمراجع .

الملخص

تناولت الدراسة (مفردات اللغة الإشارية في القرآن الكريم ؛ دراسة استقرائية) ، وذلك من خلال استقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها العديد من المفردات ذات العلاقة بالموضوع ، وإبراز أهميتها من الناحيتين اللغوية والبلاغية قديماً وحديثاً .

وقد تمّ البحث في أنواع من الإشارات في التنزيل العزيز ، والتي عرّج الباحث من خلالها إلى أقسام الإشارات الثلاثة ، وهي : الإشارة الجسمية ، والإشارة الضوئية ، والإشارة الصوتية .

وقد برر الباحث تعريضه إلى ذلك ؛ من أجل الكشف عن دلالة كل نوع من الإشارات في سياق الآيات القرآنية ، وبيان مواضعها ، وهيئاتها ، وأشكالها ، واستشراف أثرها في المعنى وتشخيصه ، معتمداً في ذلك على تحليل الخطاب في القرآن الكريم ؛ وكل ذلك للوصول إلى كنه اللغة الإشارية في القرآن الكريم .

وتكمن أهمية الدراسة في أنها كشفت عن دور متميز ورائد للغة الإشارية في القرآن الكريم ؛ لأنها تساعد في تحليل الخطاب القرآني ، وتفسير النص وفهمه ؛ مما يرشح اللغة الإشارية لأن تكون لغة قائمة بذاتها ، لها مدلولاتها ومعانيها ، فتستحق مزيداً من الدراسة والبحث .

وقد اتبع الباحث في دراسته منهجاً تكاملياً يجمع ما بين المنهج التاريخي ، والمنهج الإحصائي ، والمنهج الوصفي التحليلي ، والمنهج النفسي ، إضافة إلى النظر الاستقرائي ؛ ليبرز المنهج ذو الطبيعة التكاملية في العرض التحليلي .

وقامت الدراسة على مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، تناول الباحث في الفصل الأول مفهوم الإشارة لغةً واصطلاحاً ، وتقصّى البحث في لغة الإشارة عند القدماء ووصولاً بها إلى المحدثين . ثمّ تتبّع الباحث في الفصل الثاني الإشارات في القرآن الكريم ، والتي صنّفها ضمن ثلاثة أنواع ، وهي : الإشارة الجسمية ، والإشارة الضوئية ، والإشارة الصوتية ؛ وذلك للكشف عن دلالة كل مفردة إشارية في التنزيل العزيز . ومضى الباحث في الفصل الثالث في إبراز خصائص اللغة الإشارية في القرآن الكريم ، والتي شملت مجموعة من الخصائص الفكرية واللغوية والبلاغية والنفسية .

وخلص الباحث في ختام دراسته إلى عدد من النتائج ، كان أبرزها مساهمة اللغة الإشارية في رفع مستوى الخطاب القرآني ، وفي طريقة استعمال الكلمات وفهماها ، كما لعبت الإشارات بأنواعها وفروعها المختلفة دوراً كبيراً في إنتاج المعنى ، كما أنّ الإشارة هي شريك اللفظ في اللغة ؛ لأنها تنقل الصورة أو الحدث من خلال حركات وأصوات وألوان .

أمّا أهم التوصيات التي يضعها الباحث هنا ، فتكمن في توجيه الباحثين والدارسين نحو إجراء دراسات في اللغة الإشارية ؛ بحيث يتم تطوير اللغة الإشارية باعتبارها لغة عالمية ؛ لأنها تساهم في تحديد المعنى ، وارتباطها بقواعد النحو ، وعلم اللغة ، والبلاغة . وكذلك التوصية بضرورة تطبيق الأهداف التربوية ، والسلوكية ، والإرشادية ، ودمجها بالمنهجين النفسي والاجتماعي .

هذه خلاصة هذه الدراسة ، فإن أصبت فهو توفيق من الله (عزوجل) ، وإن لم أصبُ فهو من نفسي ، وأسأل الله السداد والقبول .

Abstract

The study handled the Vocabulary of Sign Language in the Holy Koran in the form of an inductive study , through inducting the Koranic verses which mentioned numerous vocabulary relating the subject and showed their linguistic and rhetoric ancient and recent importance.

Investigation was conducted on some kinds of signs in the Holy Koran. The researcher mentioned the three kinds of signs: body sing, light sign and sound sign.

The researcher justified his study with the aim of revealing the inference of each kind of signs in the context of the Koranic verses, specifying their positions , forms and shapes , and exploring their effects on the meaning and its diagnosis . The researcher depended , in this , on analyzing the speech of the Holy Koran in order to reach the essence of the sign language in the Holy Koran .

The importance of the study lies in that it has revealed a distinctive and pioneering role of the sign language in the Holy Koran , as it helps in analyzing the Koranic speech and explaining and understanding the text; and this role will nominate the sign language to be a self-dependent language having its inferences and meanings which make it deserve more studying and investigation .

In his study the researcher followed an integral methodology gathering the historical methodology , the statistical methodology , descriptive and analytical methodology and psychological methodology , in addition to the inductive sight to show the integral methodology in the analytical presentation.

The study consisted of an introduction, three chapters and conclusion . In the First Chapter , the researcher handled the approach to the sign as language and term . he investigated the sign language from the ancient people till the modern people . Then , in the Second Chapter , he followed up the signs in the Holy Koran ; he classified these signs into three kinds ; body sign , light sign and sound sing in order to reveal the inference of each sign vocabulary in the Holy Koran . The researcher continued in the Third Chapter to show the characteristics of the sign language including ideological, linguistic , rhetorical and psychological characteristics.

The researcher , in the conclusion of his study , reached to a number of result , the most significant of which is the contribution of the sign language to raise up the level of the Koranic speech and how to use and understand the words. The signs and their various kinds and branches played a great role in producing the meaning. Also, the sign is the partner of pronunciation in the language because it conveys the picture or the event through movements sounds and colors.

The most important recommendations of the researcher in this study lie in directing the researchers and students towards conducting studies in sign language in order to develop this language as it is considered a world language because it contributes to identify the meaning and its connection to the rules of grammar, linguistics and rhetoric. The researcher also recommended to apply the educational , behavioral and guiding aims and integrating them into the psychological and social methodologies.

This is the conclusion of the study , and if I am right , this is with the help of the Almighty God , and if I am wrong , this is from myself ..And I pray the Almighty God to show me the right and make me accept it.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق والمرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من تبعه بإحسان وسار على نهجه إلى يوم الدين ، وبعد :

منذ التحاق الباحث بكلية الآداب (قسم الدراسات العليا) في جامعة القدس ، كانت لديه الرغبة في دراسة موضوع بلاغي أو لغوي في كتاب الله البليغ المعجز .

هناك في القرآن الكريم إشارات تستوقف الباحث المدقق ، وتمنحه فرصة للشرح والتحليل والتفسير بلاغياً ولغوياً ؛ ليتبصر أساليب القرآن الكريم المختلفة في طرائق التعبير اللغوي ودلالاتها ؛ لذا كان اختيار موضوع رسالة الماجستير تحت عنوان (من مفردات اللغة الإشارية في القرآن الكريم) ؛ وذلك للأسباب التالية :

- ١- أهمية اللغة الإشارية ، وقيمتها في القرآن الكريم .
- ٢- الحفاظ على اللغة الإشارية ثرية ، قوية بأسلوبها ودلالاتها .
- ٣- حب الباحث للبحث في القرآن الكريم .
- ٤- قلة الدراسات التي دارت حول البحث ؛ إذ كانت قليلة لم تقتصر على البحث في الإشارة في القرآن الكريم .

- ٥- إن محاولة تحليل الإشارات اللغوية في القرآن الكريم ، يُفضي إلى أهداف مختلفة ، منها :
 - أ- تفسير النص وفهمه ، ومعرفة المسائل (الإشارية) التي تقيد في توليد المعنى اللغوي
 - ب- بيان أنّ اللغة الإشارية تساعد في إنتاج الدلالة في النص القرآني المكتوب من ناحية ، وتأمّل آثارها المنفردة في إنتاج الدلالة التصويرية التي يعجز عنها البشر من ناحية أخرى .
 - ج- التعرف إلى الأسرار البلاغية واللطائف البيانية والتعبيرية الكامنة في الآيات القرآنية .

وستكون الدراسة عن اللغة الإشارية في القرآن الكريم منصبة على مدلول الإشارة نفسها (لفظة كانت أو أكثر) ، وذلك من خلال استحضار الغرض البلاغي أو الدلالة اللغوية لها في سياق النص القرآني ، أو الآية الكريمة التي وردت فيها ، معتمداً في ذلك على التفسير والتحليل اللذين يفيدان في معرفة العناصر البلاغية ، وإظهار وظائفها ، وتوليد معانيها .

وقد اتبع الباحث في هذه الدراسة منهجاً تكاملياً يجمع ما بين المنهج التاريخي ، والمنهج الإحصائي ، والمنهج الوصفي التحليلي ، والمنهج النفسي ، إضافة إلى النظر الاستقرائي ، وربط ذلك بالمنهج اللغوي والبلاغي . فقد استخدم المنهج التاريخي في الحديث عن لغة الإشارة وتطورها

التاريخي حتى الوقت الحاضر ، واستخدم المنهج الإحصائي لحصر الآيات التي ورد فيها ذكر الإشارات بحيث جمع متفرّقا ، فاكتملت سورة الموضوع في (٢٥٩) آية ، موزعة على (٦٥) سورة ، وقد تمّ تقسيم هذه الآيات حسب تقسيم الإشارات تحت مسميات ودلالات محددة ، وكل ذلك بعد النظر الاستقرائي . واعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي لوصف بعض الألفاظ والإشارات وتحليلها ، واستنباط الدلالات . وقد ربط الباحث ذلك بالمنهج النفسي واللغوي والبلاغي خاصة في الفصل الثاني من الدراسة ، معتمداً في ذلك على كتب علم النفس ومعاجمه ، ومعاجم اللغة والبلاغة ، ليرز المنهج ذو الطبيعة التكاملية في العرض التحليلي .

وقد تمّ حصر هذه الدراسة في مقدّمة ، وثلاثة فصول ، وخاتمة . جاء الفصل الأول حديثاً عاماً عن الإشارة ، وذلك بتعريف الإشارة لغة واصطلاحاً ، وتاريخ تطورها عبر القدماء كالجاحظ وابن جني ، ووصولاً بها إلى المحدثين والمعاصرين ، إضافة إلى أهميتها .

وجاء الفصل الثاني وعنوانه (الإشارات في القرآن الكريم) في ثلاثة أقسام ، قسمها الباحث وفق رؤيته للإشارة ، فقد ضمّ القسم الأول ما يسمّى بالإشارة الجسميّة ، وكان لها الحيز الأكبر في الدراسة ؛ لما احتوته من آيات كثيرة في القرآن الكريم ، تمثّلت بالحركات الجسدية ، وتعبيرات الوجه والعينين ، وتعبيرات الضحك المختلفة ، والهيئات وارتباطاتها بوضع الجسد ، بالإضافة إلى بعض المتممات المساندة . وضمّ القسم الثاني ما يسمّى بالإشارة الضوئية ، سواء أكان منها ما يتعلق ببعض الألوان كـ (الأبيض ، والأسود ، والأصفر ، والأخضر ، والأحمر ، والأزرق) ، أو العلامات المتمثلة بالأجسام النيرة كـ (النور ، والنار ، والنجوم ، وغيرها) . وضمّ القسم الثالث ما يسمّى بالإشارة الصوتيّة ، وتمّ تقسيمها حسب مستويين ، هما : المستوى المرتفع : المرتبط بالقوة والشدة ، والمستوى المنخفض : المرتبط بخفة الحركة والضعف والسكون .

أمّا الفصل الثالث والأخير ، فعنوانه (خصائص اللغة الإشاريّة في القرآن الكريم) ، فقد جمع فيه الباحث أهم الخصائص العامة التي استصفاها من المفردات الإشاريّة التي جاء بها القرآن الكريم ، والتي تجمع ما بين الخصائص الفكرية واللغوية والبلاغية والنفسية .

ولعل أبرز الصعوبات التي واجهت الباحث ، تكمن في غموض بعض القضايا الجزئية أثناء البحث والدراسة ؛ وذلك بسبب اختلاف آراء بعض الباحثين اللغويين والبلاغيين حولها ، وعدم إجماعهم على هذه القضية أو تلك ؛ مما يعوّق في إعطاء المعلومة الدقيقة . ولكنّ تغلّب الباحث على ذلك كان من خلال الاعتماد على بعض المتفرقات من المصادر والمراجع هنا وهناك ، وكانت

المحاولة جادة لديه في جمع أجزاء هذا الموضوع لعمل هذه الدراسة ، فكان له ما أراد بعد التوكل على الله سبحانه وتعالى .

ثم جعل الباحث للدراسة خاتمة ، رصد فيها أهم النتائج التي توصل إليها ، وبعض التوصيات ، كما وضع ملخصاً باللغة العربية وآخر بالإنجليزية ، ومن ثمّ الفهارس .

وفي نهاية المطاف ، يتوجه الباحث بالدعوة إلى الله -تعالى - بأن يكون هذا العمل المتواضع خالصاً لوجهه الكريم ، وهو ولي التوفيق .

الفصل الأول : في اللغة الإشارية

١- تعريف الإشارة لغةً واصطلاحاً

أ- الإشارة لغةً

ب- الإشارة اصطلاحاً

٢- تاريخ البحث في اللغة الإشارية

أ- الإشارة عند القدماء

ب- الإشارة عند المحدثين

٣- أهمية اللغة الإشارية

الفصل الأول : في اللغة الإشارية

١- تعريف الإشارة لغةً واصطلاحاً :

أ- الإشارة لغة :

" الإشارة مشتقة من الفعل شَوَّرَ ، وشَوَّرَ ، وأشار . والشارة والشورة والشيار : الحسن ، والهيئة ، واللباس ، والزينة ، والجمال ؛ ولهذا قالوا : رجلٌ حسنُ الشارة حلو الإشارة ، وأشار إليه وشوّر : أوماً . ويكون ذلك بالكف والعين والحاجب . وشوّر إليه بيده أي أشار ، وفي الحديث : كان يشير في الصلاة ؛ أي يومئ باليد والرأس ؛ أي يأمر وينهي بالإشارة . ويقال لإصبع السبابة : المشيرة ، ويقال للسبابتين : المشيرتان وفي القرآن الكريم " فأشارت إليه " (١) . وأشار بالنار : رفعها . ويقال شوّرت إليه بيدي وأشرت إليه ؛ أي لوّحت إليه وألحت . ولهذا فإن معنى الإشارة : تعيين الشيء باليد ونحوها ، أو التلويح بشيء يفهم منه المراد " (٢) .

ب- الإشارة اصطلاحاً :

هي " حركة إيمانية إيحائية تهدف إلى إيصال فكرة أو مفهوم لتعزيز التواصل بين شخصين أو أكثر ، تكمن بلاغتها في التعبير ، أو الحركة ، أو الإيحاء ، أو الرمز ، والقدرة على إظهار حالة الانفعال التامة المرافقة أو الناتجة عن الفكرة المراد إيصالها " (٣) .

وتعرف أيضاً بأنها : " شيء ما يرمز لشيء آخر بالنسبة إلى شخص ما ، وفق علامة ما ، أو قابلية ما " (٤) ، وتختص لغة الإشارة " برموز وإشارات مرئية ، يضاف إليها إشارات اعتبرت غير شفوية ، كهيئة الكلام ، ونبرات الصوت ، وطريقة الخطاب ، كما اشتملت على إشارات مختلفة يستخدمها الإنسان ، منها : لغة الحركة والأفعال ، ولغة الأشياء (عالم الأشياء اللامحدود) ، وتعتمد اللغة الإشارية في إدراكها ، على الحواس ، وخاصة حاسة البصر " (٥) .

ويندرج تحت اللغة الإشارية ما يسمى : " باللغة الجسدية (٦) ، واللغة الصامتة ، ولغة الصم والبكم ، والإشارة اللونية ، وإشارات الطرق ، والإشارات الصناعية " (٧) ، " ويدرج علماء اللغة الغربيون الإشارة تحت مصطلح (السيميولوجيا) (semiolog) والذي يقابله في العربية

١ مريم ، آية : ٢٩ .

٢ ابن منظور ، لسان العرب ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، مادة (شوّر) ، ٤/٤٣٤ . وانظر أيضاً : الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م ، مادة (شار) ٢/٦٥ . و إبراهيم أنيس ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ص٥٢٤ .

٣ جميلة محمد شقلايو ، كتاب الأمل للضم في لغة الإشارة ، ط١ ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، بنغازي ، ٢٠٠٠م ، ١/٢٢٥ .

٤ عبدالله بن أحمد الفيقي ، الإشارة- البنية- الأثر ، قراءة في دلائل الإعجاز في ضوء النقد الحديث ، مجلة جذور ، ج ٤ ، مج ٢ ، سبتمبر ٢٠٠٠م ، ص١٤ .

٥ محمد كشاش ، لغة الإشارة من البدائية والتلقائية إلى لغة عالمية ، مجلة الفكر العربي ، ع ٩٥ ، السنة العشرون ، شتاء ، ١٩٩٩م ، ص ١١ .

٦ فاخر عاقل ، معجم علم النفس ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٥م ، ص ٩ .

٧ انظر : محمد كشاش ، م.س ، ص ١١ - ٢٥ .

مصطلح (السيموية) أو (علم السيمات) أو (علم العلامات)" (١) ، الذي أخذ مجراه إلى دراسة النصوص منذ عالم اللغة السويسري (دي سوسير ١٩١٣ م) وذلك في أماليه التي نشرها تلاميذه عام ١٩١٦ م ، بعنوان (مساق في علم اللغة العام) الذي يذهب إلى أن اللغة نظام من الإشارات تعبر عن أفكار ؛ ولذلك فإنها يمكن مقارنتها بنظام الكتابة ، أو بألفبائية الصم البكم ، أو الطقوس الرمزية ، أو صيغ الكياسة ، أو الإشارات العسكرية ... الخ" (٢) . وكلها تدخل تحت مسمى واحد وهو النظام الإشاري (signaling system) (٣) ، الذي يضم أيضاً بعض الإشارات الرمزية واللونية والصوتية التي تخاطب الحواس .

٢- تاريخ البحث في اللغة الإشارية :

أ- الإشارة عند القدماء :

عرف العرب قديماً ما يسمّى بعلم الفراسة (٤) ، وذلك قبل أن يقوم الفيلسوف الإغريقي أرسطو بوضع مبادئ هذا العلم ، وقد برعوا في اقتفاء الأثر ، واستدلوا على الأنساب من ملاحظة ظواهر المولود وعلاماته وتشابهها مع الأب ، كما استطاعوا معرفة عمق الماء في باطن الأرض من خلال الظواهر المحيطة بالتربة ، كرائحة التراب ومواصفات النباتات ، معتمدين في ذلك على الخبرة والفترة (٥) .

وليس هذا فحسب ، فقبل ذلك بكثير ، تدلنا آراء القدماء العلمية من ناحية ، ورواياتهم عن السلوكيات الكلامية في بعض المواقف الاتصالية من ناحية أخرى ، على ظهور كثير من الإشارات والحركات الجسمية بشكل واضح عندهم ، وتسجيلها في كتاباتهم ، وإن كانت بمسميات مختلفة .

لقد كان العرب في مألوف نهجهم في الأخبار والروايات ، يحرصون على تعيين ما صاحب الاتصال اللفظي (الكلام) في مجالسهم من إشارات وحركات جسميّة ، وقد سجل أبو العباس المبرّد (ت ٢٨٥ هـ) في كتابه (الكامل) بعض المواقف التي فيها من الإشارات والحركات الجسمية ، وقد أطلق عليها ما يسمّى بـ (الاستعانة) ، والاستعانة عنده : " أن يدخل في الكلام ما لا حاجة

١ عبدالله بن أحمد الفيبي ، الإشارة - البنية - الأثر ، مجلة جذور ، ج ٤ ، مج ٢ ، سبتمبر ٢٠٠٠ م ، ص ٢٨ .

٢ م. ن ، ص ٨ - ٩ .

٣ فاخر عاقل ، معجم علم النفس ، ص ٧٠ .

٤ علم الفراسة : هو الاستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة ، وقيل : هو علم من العلوم الطبيعية تُعرف به أخلاق الناس الباطنة من النظر إلى أحوالهم الظاهرة ، كالألوان ، والأشكال ، والأعضاء . انظر : فخر الدين الرازي ، الفراسة ، تحقيق إبراهيم مدكور ، ط ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢ م ، ص ٩٤ . وجرجي زيدان ، علم الفراسة الحديث ، ط ٢ ، دار الجليل ، بيروت ، ١٩٨٧ م ، ص ٥ .

٥ انظر : الرازي ، الفراسة ، ص ١٠٣ - ١٠٥ . وأيمن أبو الرؤس ، فن قراءة الوجوه وكشف خبايا النفوس ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م ، ص ٤ .

بالمستمع إليه ، ليصحح به نظماً أو وزنًا إن كان في كلام منثور " (١) . وما لاحظته المبرد في كثير من كلام العامة في مثل قولهم: " ألسنت تسمع ؟ أفهمت ؟ أين أنت وما أشبه هذا ، وربما تشاغل العيي بقتل إصبعه ومس لحيته وغير ذلك من بدنه ، وربما تتحنج . وقد قال الشاعر يعيب بعض الخطباء في شعره :

مليءٌ ببُهرٍ (٢) والتفاتٍ وسُعلةٍ ومَسحةٍ عثنون وفتل الأصابع " (٣) .

ومن المواقف الأخرى التي تظهر فيها مثل هذه الحركات وتحدث تأثيراً في الخطاب ، ما حدث به محمد بن المنتشر بن الأجدع الهمداني أنّ رسول الحجاج أتاه ، فأمره بالمسير إليه ، فوجد الحجاج منتضياً سيفه ، فطلب منه الحجاج الدنو ، فخشي ذلك ، قال محمد بن المنتشر :

" أيها الأمير ، والله ما غششتك منذ استنصحتني ، ولا كذبتك منذ استخبرتني ، ولا خنتك منذ اتمنتنتني ، ثم حدثته الحديث ، فلما صرت إلى ذكر الرجل الذي المال عنده ، أعرض عني بوجهه وأوماً إلي بيده ، وقال : لا تُسمِّه . ثم قال : إن للخبيث نفساً وقد سمع الأحاديث " (٤) .

ومن ذلك أيضاً ، ما رواه المبرد أنّ سفيان بن عيينة قال لجلسائه يوماً : " إني أرى جارنا هذا السهمي قد أثرى وانفسحت له نعمة ، وصار ذا جاه عند الأمراء ، ووافداً إلى الخلفاء ، فممّ ذاك ؟ يعني يحيى بن جامع . فقال له جلساؤه : إنه يصير إلى الخليفة فيتغنى له ، فقال سفيان : فيقول ماذا ؟ فقال أحد جلسائه : يقول(٥) :

أطوف نهاري مع الطائفين وأرفع من منزري المُسبلِ .

فقال سفيان : ما أحسن ما قال ؟ فقال الرجل :

وأسهر ليلي مع العاكفين و أتلو من المحكم المُنزلِ .

قال : حسن والله جميل ، قال : إن بعد هذا شيئاً ، قال سفيان : وما هو ؟ قال :

عسى فارج الكرب عن يوسف يُسَخَّر لي ربة المحملِ .

فزوى سفيان وجهه وأوماً بيده أن كُفّ ، وقال : حلالاً حلالاً " (٦) .

ولا يقتصر هذا على ما أورده المبرد من أخبار وروايات ومواقف اتصالية كانت حافلة بالإشارات والحركات ؛ فالعطاء الفكري الذي حملته لنا مصادر التراث اللغوي والبلاغي يعجُّ بكثير من المحاولات التي اجتهدت في تقصي حقيقة الإشارة ، والتأكيد على منزلتها في السلوك الكلامي ،

١ المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ، ١ / ١٩ .
٢ البُهرُ : انقطاع النفس من الإعياء . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (بهر) . وإبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٩٣ .
٣ انظر : م . ن ، ١ / ١٩ - ٢٠ . وأحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، تحقيق عبد المجيد الترجمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ٢ / ٨٨ .
٤ المبرد ، م ، س ، ١ / ١٧٨ .
٥ القائل : هو إسماعيل بن جامع السهمي ، ويكنى أبا القاسم . وقد وردت أبياته هذه عند أبي الفرج الأصفهاني ، الأغاني ، شرحه ورتب هو أمشه سميير جابر وعلي مهنا ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، د . ت ، ٣٠٤ / ٦ - ٣٠٨ . وابن عبد ربه ، م ، س ، ٧ / ١١ .
٦ انظر : المبرد ، م ، س ، ١ / ٣٩٣ . وابن عبد ربه ، م ، س .

ودورها في الكشف عن مقاصد المتكلمين(١) . وسأقف هنا عند بعض هذه المحاولات مع التركيز على مسألتين مهمتين في التراث العربي ، وهما :

١- الأولى : متمثلة بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) : وهي من منظور بياني .

٢- الثانية : متمثلة بابن جني (ت ٣٩٢هـ) : وهي من منظور لغوي .

وقد فصل الدكتور محمد العبد القول في هاتين المسألتين في كتابه (العبارة والإشارة)(٢). وسأحاول في هذه الدراسة عرض ما جاء به في كتابه ، والوقوف على أهم القضايا التي تناولها كل من الجاحظ وابن جني في كتابيهما .

١- الإشارة عند الجاحظ :

ذكر الدكتور محمد العبد أن " الجاحظ هو من العلماء القدماء الذين فطنوا إلى قناة الاتصال غير اللفظية باعتبارها وسيطاً للتفاهم بين الناس ؛ وذلك في (باب البيان) من كتابه القيم (البيان والتبيين) ، حين نظر إلى أصناف الدلالات على المعاني من جهة اللفظ ، التي جعلها في خمسة أشياء " (٣) ، ذكرها الجاحظ في قوله : " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبة ، والنصبة هي الحال الدالة ، التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقتصر على تلك الدلالات ، ولكل واحدة من هذه الخمسة صورة بئنة من صورة صاحبته وحمية مخالفة لحمية أختها ، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، ثم عن حقائقها في التفسير ، وعن أجناسها وأقدارها ، وعن خصائصها ، وعن خاصتها وعمّها ، وعن طبقاتها في السار والدار ، وعمّا يكون منها لغواً بهرجاً وساقطاً مطرحاً " (٤).

فالجاحظ هنا يذكر لنا خمسة أصناف تشكل أساس الدلالة اللفظية وغير اللفظية وهي :

١- اللفظ : (المكتوب والمنطوق)

٢- الإشارة : (الإيماء ، وحركة اليدين ، والعينين ، والحاجبين ، والشفنتين ، وتحريك

السيف والسوط والمنكبين)

٣- العقد : (الأرقام والرموز الرياضية)

٤- الخط : (الرسوم والأشكال التوضيحية)

١ انظر : محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٦١هـ / ١٩٩٥م ، ص ١٦٣ .

٢ انظر : م . بن ، ص ١٦٤- ١٧٥ .

٣ م . بن ، ص ١٦٤- ١٦٥ .

٤ الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، د . ت ، ١ / ٧٦ .

٥- **الحال أو النصبه**: (الناطقة بغير لفظ ، والمشيرة بغير اليد) أي دلالة الصوامت والجوامد(١). وما يهيم من هذه الخمسة الأصناف (الإشارة) التي تحتل المركز الأول في رأس العلامات غير اللفظية من حيث الوظيفة الاتصالية أو الدلالة على المعنى ، كما أنها تحتل المركز الثاني بعد اللفظ بين وسائط الاتصال على الإطلاق ؛ وهنا يتضح أن الإشارة عند الجاحظ " اصطلاح يتسع لجميع أشكال السلوكيات الحركية ، كتعبيرات الوجه والعين ، والحركة الجسمية ، والأوضاع البدنية الدالة " (٢) . يقول الجاحظ : " فأما الإشارة فباليد ، وبالرأس ، وبالعين والحاجب والمنكب ، إذا تباعد الشخصان ، وبالتوب وبالسيف ، وقد يتهدد رافع السيف والسوط ، فيكون ذلك زاجراً ، ومانعاً رادعاً ، ويكون وعيداً وتحذيراً " (٣) .

ويصرّح محمد العبد أن هذا القول للجاحظ " يشير إلى فطنته المبكرة إلى المسافات الفيزيقية الفاصلة بين المشاركين في الاتصال ، وما لهذا الاتصال من أثر في تعيين السلوك الحركي أو الإشاري المناسب ، كما لاحظ الجاحظ الوظيفة الاتصالية التي تشغلها الإشارة ، وتفاوت هذه الوظيفة بتفاوت هيئة الإشارة " (٤).

وما يذكره أيضاً أن الجاحظ اعتبر الإشارة أهم جوانب النظر في السلوكيات الحركية في العصر الحديث في علاقتها باللفظ من ناحية ؛ وفي نيابته عنه من ناحية أخرى(٥) . وعن أهمية ذلك يقول الجاحظ : " والإشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر أن تنوب عن اللفظ " (٦) . وما يؤكد هذا الربط بين الإشارة واللفظ ما تضمنته رواية الجاحظ عن ثمامة بن أشرس ، بقوله " وكان لفظه في وزن إشارته " (٧) .

هذا ، وقد شغل الجاحظ بالسلوك الكلامي أو ما يسميه (صناعة الكلام) حيث لاحظ اختلاف الإشارات في الطبقات والدلالات ، وقد أجمل الجاحظ ذلك في قوله : " وبعد فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها " (٨)

ويلتفت الجاحظ إلى مزية في الإشارة يفتقدها الكلام (المنطوق) ، وهي كونها قناة بصرية تكمن من قصر المشاركة في الاتصال على من تريد ، بما يكون في الإشارة من إمكان الستر والخفاء ، أما

١ انظر : بهاء الدين محمد مزيد ، تجديد البلاغة العربية ، ص ١ ، موقع : <http://www.ofouq.com/art/balaqa.04.jpg>

٢ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٦٧ .

٣ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ١/ ٧٧- ٧٨ .

٤ محمد العبد ، م . س ، ص ١٦٧ .

٥ م . ن ، ص ١٦٨ .

٦ الجاحظ ، م . س ، ص ١/ ٧٨ .

٧ م . ن ، ١/ ٩٩ .

٨ م . ن ، ١/ ٧٨ .

المنطوق ، فيمثل قناة سمعية آلتها الصوت ، لن يكون ظهور هذه القناة إلا بظهوره (١) .
ويؤكد الجاحظ على هذه الأهمية قائلاً : " وفي الإشارة بالطرف وغير ذلك من الجوارح ، مرفق
كبير ومعونة حاضرة من أمور يسترها الناس من بعض ، ويخفونها من الجليس وغير الجليس ،
ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص ، و لجهلوا هذا الباب البتة " (٢) . وفي دلالة
الإشارة يسوق الجاحظ أبياتاً من الشعر العربي ، مبيّناً عن ذلك بالعين المسلمة في مقام لقاء العاشقين
في حضرة الأهل ، ومنها قول عمر بن أبي ربيعة(٣) :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم
فأيقنت أنّ الطرف قد قال مرحباً وأهلاً وسهلاً بالحبیب المتيم.

وإذا كان الجاحظ يبيّن إشارة إفشاء السلام بالعين في مقامات الحرج الاجتماعي ، فهو يورد أبياتاً
على لسان آخر :

" العينُ تبدي الذي في نفس صاحبها من المحبة أو بغضٍ إذا كانا
والعين تنطق والأفواه صامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيّناً " (٤).

" ولعلّ جلّ ما ذكره الجاحظ في معرض حديثه عن الإشارة ، وخاص الخاص مضماره العين

الجارحة ، وفي ذلك دلالة على فضل العين في التواصل والإبانة عن حواشي النفوس " (٥)

ومع أن الجاحظ هنا يحاول الربط بين الكلام والإشارة ، فقد برهن على أسبقيته إلى فكرة
النظر إلى الحركات باعتبارها من مكملات الكلام أو متمماته . يقول الجاحظ في استخلاص يشبه
القانون(٦) : " وحسن الإشارة باليد والرأس ، من تمام حسن البيان باللسان " (٧) .

على هذا النحو سار الجاحظ في نظريته الإشارية البيانية ، فبعد أن صوّف الدلالات على المعاني
إلى لفظية وغير لفظية ، اعتبر أن هناك ربطاً بين الإشارة واللفظ باعتبارهما شريكين ، وأن
الإشارة تنوب عن اللفظ كثيراً .

١ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٦٨ .

٢ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٧٨ / ١ .

٣ عمر بن أبي ربيعة ، الديوان ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ١٨ .

٤ انظر : الجاحظ ، م . س ، ٧٩ / ١ حيث أورد هذين البيتين . وقد اختلف في نسبة هذين البيتين ، فنسبه الأبي في الأونس والعرس ،
والعباسي في معاهد التنصيص لعمارة بن عقيل ، وقيل لابن الأعرابي .

٥ انظر : مهدي أسعد عرار ، البيان بلا لسان ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ، ص ٨٠ - ٨١ .

٦ محمد العبد ، م ، س ، ص ١٦٩ .

٧ الجاحظ ، م . س ، ٧٩ / ١ .

كما اعتبر أن الإشارة اصطلاح عام تدخل في حوزته الإشارات ، والإيماءات ، والحركات الجسمية ، وتعبيرات الوجه والعينين جميعاً ، وكما يقول محمد العبد " هو باختصار المصطلح المقابل للعبارة " (١) .

وقد توسّع الجاحظ في مفهومه ، فتناول بعض الجلسات ، وأنماطاً من المشيات وذلك في كتابه (البرصان والعرجان) ، وقد عرّج مهدي عرار على أنماط من المشيات أوردها الجاحظ ، وذكر منها : مشية الهلوك ، ومشية المرأة الرقيقة ، ومشية المتبخر المتكبر ، ومشية التحدي والمواجهة ، ومشية العدو ، ومشية الرضيع ، ومشية الصبي ، ومشية الشاب ، ومشية العجوز ، ومشية الشيخ ، ومشية التبهنس والتخلع ، ومشية الرحلة والأرملة ... إلخ ، وقد ساق الجاحظ أبياتاً من الشعر على ذلك (٢) ، كما تناول بعض المتممات المساندة للإشارة التي تعتبر كواشف للحالات النفسية والذهنية التي تعترى صاحبها ، كالعمامة ، والعصا ، والثوب ، والسيف ، والسوط ، وغيرها(٣) .

٢- الإشارة عند ابن جني :

وهي مسألة أخرى عرضها محمد العبد في كتابه ، والتي تعرض لها أبو الفتح عثمان بن جني تحت ما يسمّى بـ (الأحوال الشاهدة) (٤) ، وذلك في كتابه (الخصائص) ، حيث عقد باباً " في أنّ العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها ، وحملناه عليها " (٥) ، ملتفتاً في ذلك إلى ما يسميه (الغائب) بما يضم من أحوال شاهدة مختلفة صاحبت السلوك الكلامي ، أو ما يسميه محمد العبد بـ (السياق اللغوي ، أو السياق الخارج عن النص ، أو سياق الموقف) (٦) .

والغائب عند ابن جني هو : " ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ، ووجوهها وتضطر إلى معرفته من أغراضها وقصودها : من استخفافها شيئاً أو استنقاله ، وتقبُّله أو إنكاره ، والأنس به أو الاستيحاش منه ، والرضا به ، أو التعجب من قائله ، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود ، بل الحالفة على ما في النفوس ؛ ألا ترى إلى قوله (٧) :

تقولُ - وصكّت وجهها بيمينها - أبعلي هذا بالرحى المتقاعس ! " (٨) .

- ١ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٦٩ .
- ٢ انظر : مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ٨٨-٩١ . انظر أيضاً : الجاحظ ، البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، ط ٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص ١٤٠-١٥٥ .
- ٣ انظر : الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٧٧/١ - ٧٨ .
- ٤ محمد العبد ، م . س ، ص ١٧٠ .
- ٥ ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط ١ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٣١هـ / ١٩١٣م ، ١ / ٢٣٧ .
- ٦ محمد العبد ، م . س ، ص ١٧٠ .
- ٧ القائل : هو أبو محمّد السعدي ، وقد ورد بيته عند أبي تمام ، ديوان الحماسة ، تحقيق عبد المنعم أحمد صالح ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد - العراق ، ١٩٨٧م ، ص ١٩٨ . وابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ١ / ٩٩ .
- ٨ ابن جني ، م . س ، ١ / ١٤٥ .

ويضرب ابن جني هذا البيت مثلاً على الحال الشاهدة بالقصد . والشاعر هنا يسوق كلامه على لسان امرأة كان قد عقد له عليها النكاح ولم يدخل بها بعد ، فمرت به في نسوة وهو يطحن بالرحى لضيف نزلوا به ، فقالت : أبعلي هذا؟! تعجباً واحتقاراً له ، فقال الأبيات وهي عند المبرد . والمتعاس : هو الذي يخرج صدره ويدخل ظهره ، وذلك شكل من يطحن بالرحى(١). " فامرأته حين رأته متشاغلاً بالرحى لطمت وجهها ؛ لأنّ هذا العمل ليس من عاداته وأفعاله " (٢) .

وتعليقاً على البيت السابق يقول ابن جني : " فلو قال حاكيها عنها : أبعلي هذا بالرحى المتعاس - من غير أن يذكر صكّ الوجه - لأعلمنا أنها كانت متعجبة منكراً ، لكنه لما حكى الحال فقال : (وصكّت وجهها) علم بذلك قوة إنكارها ، وتعاضم الصورة لها ، هذا مع أنك سامع لحكاية الحال ، غير مشاهد لها ، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين ، وقد قيل (ليس المخبر كالمعائن) . ولو لم ينقل الشاعر حال هذه المرأة بقوله : وصكّت وجهها ، لم نعرف به حقيقة تعاضم الأمر لها " (٣) .

إن هذا ما فطن له ابن جني ، والذي يبين - كما يقول محمد العبد - : " إدراك ابن جني الواعي الفرق بين الاقتصار - في الإخبار - على قناة اتصال واحدة ، والجمع بين قناتين اثنتين في آن معاً : سمعية ومرئية ، فسماع حكاية الحال تجعلك عارفاً بالمقصد ، ولكن مشاهدتها تجعلك بالمقصد أعرف ولحقيقته أبين . وإنّ نقل الأحوال الشاهدة باللفظ أفضل في الكشف عن المعنى وتفسيره وثباته بالذهن من تركها . كذلك فإن مشاهدة الأحوال ذاتها ، ومعاينتها ، وحضورها ، تفيد أكثر مما تفيد بسماعها فحسب " (٤) . ويوضح ابن جني ذلك بقوله : " وليست كل حكاية تروى لنا ، ولا كل خبر ينقل إلينا ، يشفع به شرح الأحوال التابعة له ، المقترنة - كانت - به . نعم ولو نقلت إلينا لم نغد بسماعها ما كنا نفيده لو حضرناها " (٥) .

" وقال الهذلي(٦) :

رفوني(٧) وقالوا : يا خويلد لا تُرْعَ فقلت - وأنكرتُ الوجوه - : هُمُ هُمُ

١ انظر المبرد : الكامل ، ٢٢-٢٣ . انظر أيضاً ما ورد في الحاشية: ابن جني ، الخصائص ، ١ / ٢٤٥ . وابن عبد ربه ، العقد الفريد ، ٩٩/١ .
٢ ابن عبد ربه ، م . ن ، ٩٩ / ١ .
٣ ابن جني ، م . س ، ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦ .
٤ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٧٢ .
٥ ابن جني ، م . س ، ١ / ٢٤٦ .
٦ هو أبو خراش خويلد بن مرة . وقد ورد بيته الشعري عند الباحثي ، ديوان الحماسة ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، ص ٤٩ . وشعر الهذليين ، طبعة دار الكتب المصرية ، د . ت ، ٢ / ١٤٤ . والأصفهاني ، الأغاني ، شرحه ورتب هوامشه سمير جابر وعلي مهنا ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، د . ت ، ٢١ / ٢١٣ .
٧ رفوني : من رفا ، إذا رفا فلان فلاناً ، أي : أزال فزعه ، وسكنه من الرعب ، وترافوا على الأمر ؛ أي : تظاهروا . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (رفا) . وإبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٣٨٧ .

أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه ، وجعلها دليلاً على ما في النفوس . وعلى ذلك قالوا :
(ربّ إشارة أبلغ من عبارة) " (١) .

حقّاً ؛ لقد انطلق ابن جني بموكبه الإشاري لينقل القارئ إلى عالم المشاهدة المكوّن من الحالة أو الصورة المرئية المؤثرة في الاتصال ؛ فيكشف بدوره عن المعنى الخفي في النفس ، فيفسره ، ويثبته في الذهن .

وهنا ، قد يدرك المرء حقيقة (مشاهدة الأحوال) عند ابن جني ، هذا في الوقت الذي يؤكد فيه محمد العبد في كتابه " أن بعض شيوخ ابن جني قد سبقوا إلى إدراك أثر المشاهدة في إنجاز التخاطب " (٢) ، مستدلاً على ذلك بقول ابن جني : " وقال لي بعض مشايخنا - رحمه الله - أنا لا أحسن أن أكلّم إنساناً في الظلمة " (٣) . وهذا يعكس صعوبة الاتصال في الظلمة ؛ لأن الاتصال يحتاج أن يكون هناك رؤية المشاركين أحدهما للآخر ، فالمتكلم قد يرى في وجه سامعه أثر كلامه ، سواء كان ذلك في التخاطب ، أو في الحديث بينهما ، وذلك من خلال رؤية التفاعل بإشارات الآخر ، وحركاته ، وتعبيراته (٤) .

وبناءً على ذلك ؛ راح ابن جني يؤكد أنّ المشاهدة والحضور يؤديان في معرفة وجوه الخطاب ، وتحديد المقاصد والأغراض ، ما لا تؤديه الحكايات ، ولا تضبطه الروايات ، وما يوضح ذلك ، قوله : " فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو ، وابن أبي إسحاق ، ويونس ، وعيسى بن عمر ، والخليل ، وسيبويه ، وأبو الحسن ، وأبو زيد ، وخلف الأحمر ، والأصمعي ، ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين ، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها ، وتقصد له من أغراضها ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات فئضطر إلى قصود العرب ، وغوامض ما في أنفسها ، حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة ، لا عبارة ، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقاً فيه ، غير متّهم الرأي والنحيظة (٥) والعقل " (٦) . ولم يكن هذا فحسب ، فقد فطن ابن جني إلى أثر تعبيرات وجه المتكلم في العملية التبليغية ، حيث تقوم تلك التعبيرات والإيماءات مقام اللفظ ؛ فتغني المستمع أو المشارك في الاتصال عن بعض

١ ابن جني ، م.س ، ١ / ١٤٦ - ٢٤٧ .

٢ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٧٤ .

٣ ابن جني ، الخصائص ، ١ / ٢٤٧ .

٤ " يقرر المحذوثون الذين يتناولون لغة الإشارة بالدرس والتحليل الدلالي ، أنّ المتخاطبين يتبادلان النظرات في تواصلهما الكلامي الحي تبادلاً مقداره (٣٠% - ٦٠%) من مدة وقت الحدث الكلامي ، وإذا ما زاد ذلك النظر على الحد الأعلى الذي هو (٦٠%) ، فإنّ لذلك دلالات مخصوصة ، منها : أن يكون اهتمام أحدهما بالشخص لا بما يقول ، أو بخصوصية الحدث الكلامي وأهميته " . انظر : مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٢٨ .

٥ النحيظة : طبيعة الرجل ، أو طريقته . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نحر) .

٦ ابن جني ، م . س ، ١ / ٢٤٨ .

المنطوقات (١) . يقول ابن جني : " وكذلك إن ذمته ، ووصفته بالضيق ، قلت : سأله وكان إنساناً ! وتزوي وجهك وتقطبه ، فيغني ذلك عن قولك : إنساناً لثيماً أو لحزاً ٢١ أو مبخلاً أو نحو ذلك (٣)

ومن هنا يتضح لنا كما - يقول محمد العبد - : " أن الإشارة عند ابن جني كما هي عند الجاحظ اسم جامع للإشارات ، والإيماءات ، والتلويحات ، والحركات الجسمية ونحوها ، وما لها من مقدرة على الدلالة على الأغراض " (٤) .

وهكذا ، انطلقت المحاولتان ، الأولى للجاحظ من منظور بياني بؤرته الدلالة على المعنى بوسيط من الوسائط المختلفة وإبانته ، والثانية لابن جني من منظور لغوي بؤرته أغراض المتكلمين ومقاصدهم في ضوء مشاهدة الأحوال ، بالإضافة إلى عنايته الجوهرية بدور المشاهدة في الإلمام بمحددات الموقف الاتصالي المتباينة من خلفيات تاريخية وما ينتج عن المشاركين من إشارات ، وسلوكيات حركية مصاحبة للكلام ، أو متممة له ، أو نائبة عنه ، أو مساعدة في تفسيره (٥) .

إن هذه النظرية الإشارية التي جاء بها كل من الجاحظ وابن جني ، أدت إلى وضع منهج إشاري ، اكتمل بفضل منظوريهما البياني واللغوي ؛ الأمر الذي أدى إلى فتح آفاق جديدة في عالم الإشارة والاتصال لدى علماء البلاغة واللغة من بعد ، مما جعلهم يتجهون نحو بلاغة جديدة ، ولغة جديدة .

وبتكامل المنظورين السابقين ، ينبه محمد العبد إلى أن التأريخ للسلوكيات الاتصالية الحركية في الفكر اللغوي والسميائي الإنساني ، ينبغي له أن يبدأ من التراث العربي منذ منتصف القرن الثالث الهجري على وجه التقريب (٦) .

وإذا كانت هاتان المحاولتان المتميزتان قد اجتهدتا في تقصي حقيقة الإشارة في تراثنا العربي فإن ذلك لم يمنع عالماً آخر - من بعد- كأبي منصور الثعالبي (ت ٤٣٠ هـ) ، أن يجتهد في كتابه (فقه اللغة وسر العربية) ليرسي لنا أسس نظرية رائدة في الحقول الدلالية في مختلف الأغراض ، فقد عقد باباً في (الحركات والهيئات والأشكال) (٧) ، تناول فيه مختلف أغراض الحركة والتصرفات ، والسكنات التي تعرض للناس في شتى أغراض حياتهم ، كما يرصد أيضاً

١ محمد العبد ، م . س ، ص ١٧٥ . انظر أيضاً : محمد العبد ، اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ، ط ١ ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٠ م ، ص ١٦٨ .

٢ الحز : الضيق الشحيح النفس الذي لا يكاد يعطي شيئاً . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حز) .

٣ ابن جني ، الخصائص ، ٢ / ٣٧١ .

٤ انظر : محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

٥ م . ن ، ص ١٧٥ .

٦ م . ن .

٧ أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، ط ٣ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت ، ص ١٩٢ .

مراتب الحب ، والكراهية ، والفرح ، والحزن ، وصنوف الضرب . ومما يذكره الثعالبي في فصول هذا الباب قوله : " إذا ضربوا براحة اليد على مقدمة الرأس فهو صقع ، وعلى القفا فهو صفع ، وعلى الوجه صك ، وعلى الخد ببسط الكف فهو لطم ، وإن كان يقبضها فهو لكم ، وبكلتا اليدين فهو لدم ، والضرب على الذقن وهز ، وعلى الصدر والجنب وكز ، وعلى الجنب فقط باستخدام الإصبع فهو وخز ، وبالساق ركل وأحياناً رفس " (١).

كما وضع الثعالبي فصلاً في محاسن العيون ، وفصلاً في معاييبها ، وفصلاً في عوارضها ، وفصلاً في تفصيل كيفية النظر وهيئاته في اختلاف أحواله (٢).

ويدخل في هذا المجال ما قام به فخر الدين الرازي في كتابه (الفراسة) حول معرفة أخلاق الناس وطبائعهم ، وقد اعتمد في كتابه على ست طرق يُعرف بها أخلاق الناس (الإشارة) ، أو يسمّى بوسائل الاستدلال وهي : الأشكال والهيئات الجسدية ، والأصوات ، والمقابلة ، والنوع ، والجنس ، والأعضاء (٣) ، كالوجه والجبهة والعين والضحك وغيرها ، فنجد مثلاً يتحدث عن أحوال العين ودلائلها ؛ وذلك من حيث مقدارها (عظمها أو صغرها) ، ووصفها (جاحظة أو غائرة) ، ولونها (سوادها وسائر ألوانها) ، وأحوال الجفن (غليظة ، دقيقة ، مستوية ، منقلبة ، كثيرة الطرف ، قليلة الطرف) ، وأحوال المآقي ، ومشابقتها لسائر الأشياء ، أو ما يتركب من كل هذه الأحوال . فيذكر على سبيل المثال :

- من كانت عيناه جاحظتين فهو جاهل مهذار .
- من كانت عيناه غائرتين فهو خبيث .
- من كانت عيناه بارزتين فهو وقح .
- من كانت عيناه نيرتين برّاقتين فهو شيق .
- من كانت عيناه حمرأوين مثل الجمر فصاحبها غضوب مقدام .
- من كان حاد النظر فهو مكار .
- إذا كانت العين مرتعدة فصاحبها كسلان .
- إذا كانت العين صغيرة خفيفة الحركة فصاحبها رديء جداً (٤) .

١ انظر : أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، ص ١٩٢-٢٠٨ .
٢ انظر : م.ن ، ص ١٢١-١٢٤ .
٣ انظر : الرازي ، الفراسة ، ص ١٠٨-١١٧ . ومهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٥٧ .
٤ انظر : م.ن ، ص ١٥١-١٥٢ . وهيكل نعمة الله ، الفراسة وقراءة الأفكار ، ط١ ، جروس برس ، طرابلس- لبنان ، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ص ٩٧-١٠٢ .

ب- الإشارة عند المحدثين :

شغلت الإشارة كثيراً من العلماء والباحثين المحدثين . منهم اللغويون ، والسيميائيون ، وعلماء الاجتماع ، والأنثروبولوجيا ، وعلماء النفس ، والتربية ، وغيرهم ، خاصة في الغرب ؛ وذلك لأن لغة الإشارة أخذت تحتل حيزاً واسعاً في الثقافة الغربية أكثر من ثقافتنا العربية ، وإن كانت هناك بعض الجهود الرامية إلى هذا الهدف ، ولكنها لا تصل إلى الحد الذي وصلت إليه العقلية الغربية في وضع المفاهيم ، والأفكار ، والمصطلحات الحديثة ، التي تعبر بدورها عن لغات التواصل الإنساني .

" إن ظاهرة الإشارة لم تدرس عملياً على أي مقياس إلا منذ الستينيات من هذا القرن ، كما أن الجمهور لم يعر وجودها إلا عندما نشر (دجوليوس فاست) كتابه عن لغة الجسد في سنة (١٩٧٠ م) . فكان ذلك موجزاً للعمل الذي قام به علماء السلوكية حول الاتصال غير الشفهي حتى ذلك الحين . وحتى يومنا هذا فإن معظم الناس ما زالوا جاهلين بوجود مثل هذه اللغة ، بغض النظر عن أهميتها في حياتهم " (١) ، وإن كان (شارل دارون) صاحب نظرية التطور أول من دعا إلى الاهتمام بلغة الجسد في كتابه الشهير (التعبيرات عن العواطف لدى الإنسان والحيوان) .

إن لغة الإشارة في ثقافتنا العربية اليوم هي امتداد للثقافات الغربية التي أخذت فيها هذه اللغة تتسع لتشمل كل ما يتعلق بالتواصل الإنساني - خاصة في عصر العولمة - والذي صنّف في الأدبيات الغربية الحديثة والمعاصرة ضمن فئات ، قد يكون فيها من التداخل والتعارض وهذه الفئات هي :

- ١- لغة الجسد : وتشمل الإيماء ، ووضع الجسم ، وتعبيرات الوجه ، وحركات اليدين ، والرأس ، ووضع الجسد وقوفاً أو قعوداً أو ركوعاً أو سجوداً ، ودلالاتها المختلفة من ثقافة إلى أخرى .
- ٢- لغة العيون : فالعيون تحب ، تكره ، وتقتل ، وتتقرب ، وتنفر ، وتخاف ، وتضطرب ، وتحزن ، وتصدق ، وتكذب ، وتخدع.... إلخ (٢) .
- ٣- لغة اللمس والملامسة : حيث يتباين الأفراد ، وتتباين الثقافات فيما يتصل باللمس أو الملامسة ، فهناك اللمسة المقبولة وغير المقبولة . فالتقبيل - مثلاً - تختلف أنواعه ودلالاته من ثقافة إلى أخرى ، والقبلة قد تختلف بالنظر إلى وظيفتها التواصلية ، فمنها ما يعبر عن التبجيل ، أو الاحترام ، أو الحب ، أو الشهوة ، ومنها ما يعبر عن الاعتذار أو مجرد التحية

١ آلن بيز ، لغة الجسد ، تعريب سمير شيخاني ، ط ١ ، الدار العربية للعلوم ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ١٧٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٧٠ .

٢ انظر : أيمن أبو الروس ، فن قراءة الوجوه وكشف خبايا النفوس ، ص ٦٧ - ٧٠ .

العابرة ، ولهذا فقد تتعدد معاني القبلية (١) .

- ٤- **لغة المظهر** : وتشمل نوع الملابس ، ودلالاته ، وتعبيره عن السياق ، والثقافة ، والألوان المفضلة ، ومزية الألوان في الثقافات المختلفة ، ووجهات النظر في الجمال ، والسّمانة والنحافة ، والطول والقصر ، والدلالات المختلفة للحية والشارب ، والحجاب والنقاب والعمامة ، وما إليه ، إضافة إلى لون الشعر ولون العينين ، وما هو جذاب وغير جذاب(٢).
- ٥- **الروائح** : فهناك روائح مختلفة يفضلها كل شخص أو جماعة ، وروائح مقبولة وغير مقبولة .

٦- **السمات المصاحبة للغة التقليدية** : مثل نبرة الصوت وحدته ودرجته ، ومن ذلك : الهمس والبكاء ، والصمت .

٧- **توظيف الحيز الشخصي** : الذي يشير إلى المسافة المقبولة بين المرء والآخرين ، وقد تكون مسافة عامة في محاضرة ، أو اجتماعية في مجال العمل ، أو خطاب سياسي ، أو مسافة خاصة بين الأصدقاء وأفراد الأسرة ، أو بين الزوجين إلخ . وتختلف الثقافات في توظيف تلك الأنواع من المسافات .

٨- **الأدوات والحلي والبيئة المحيطة وما إليها** : كالهيا ، والأثاث ، والديكور ، وأدوات الزينة وأنواع الحلي ، والمجوهرات ، و(الأكسسورات) (٣) ، ودلالاتها ، وتعبيرها عن الحالات الشعورية والاقتصادية ، والتوجهات الثقافية ، ... وتصميم المنازل والبنائيات ، وتخطيط المكان ، ودلالة كل ذلك على الثقافة والميول الشخصية ، مع الإشارة إلى عدم الانفصال عن لغة السياسة والدعاية والإعلان وما إليها ، التي تستوعبها النصوص المعاصرة ، فضلاً عن الصور ، و(الكاريكاتير) ، وما تحمله من إشارات تخاطب الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي (٤) .

ويمكن اختصار هذه الفئات ، وضمّها تحت ثلاثة أقسام ، وهي : الحركات ، والهياآت الجسمية ، والمتممات المساندة . وستبرز هذه الأقسام وتوضح أكثر في هذه الدراسة لاحقاً .

لقد لاقت هذه الأصناف صداها لدى الباحثين العرب المحدثين ، فكانت لهم جهود رامية نحو الهدف ، فتناولوا موضوع الإشارة بواقعية عربية ، وسأذكر بعض هذه الجهود المتمثلة ببعض المصادر العربية التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة ، وما صاحبها من ترجمات عربية أخرى :

١ انظر : فؤاد إسحاق الخوري ، لغة الجسد ، ط١ ، دار الساقى ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٠م ، ص٦ - ٩ .
٢ انظر : آلن بيز ، لغة الجسد ، ص١٩١ - ٢٠٤ .
٣ وتسمى المتممات التي نستخدمها اليوم في حياتنا ، مثل : النظارات ، والسيجارة ، والغليون ، والقلم ، والتليفون ، والعصا ... إلخ ، والتي تكشف عن حالات نفسية وذهنية ودلالية ؛ لكونها تتبع حركاتنا وتمدّها أحياناً . انظر : ناتالي باكو ، لغة الحركات ، ص٧٠ .
٤ انظر : بهاء الدين محمد مزيد ، تجديد البلاغة العربية ، ص٦-٧ . موقع : <http://www.Ofouq.com/art/balaga.jpg> .

١- **كتاب(العبرة والإشارة) (١):** للدكتور محمد العبد ، وهو دراسة في نظرية الاتصال ، تناول فيه المؤلف موضوع الإشارة ، التي أدخلها ضمن الاتصال غير اللفظي أو ما يسمى بالسلوك الحركي . حيث اعتمد أولاً على تحليل السلوكيات الحركية من اللغة المنطوقة بين المتكلمين ودورها المؤثر في عملية الاتصال ، ومن ثم اللغة المكتوبة بمفهومها العلمي الدقيق ، ممثلة بالقرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والشعر العربي ؛ بهدف تأسيس بناء معرفي للسلوك الاتصالي الحركي الخاص عند العرب ، بما يعرضه من عادات اتصالية مختلفة عرفتها الجماعة الكلامية في البيئة العربية ، وكي يكون هناك رغبة في بحث السلوك الاتصالي الحركي في اللغة المنطوقة الآن .

٢- **كتابا (أيدولوجيا الجسد) و (لغة الجسد) (٢) :** وهما للمؤلف فؤاد إسحاق الخوري ، يتناول في كتابه الأول بعض معاني الجسد ، ومفاهيم الطهارة ، والنجاسة ، وما يترتب على هذه المفاهيم من مسالك اجتماعية ، وطقوس دينية . أما كتابه الثاني (لغة الجسد) - وهو الأهم في هذا الموضوع - فيتحدث فيه عن لغة الإشارة (الجسد) ، وما تمثله من إشارات وحركات جسدية ، مثل وضع حركة اليدين والأصابع والساقين ، ودلالة هيئة الوقوف والجلوس لكل من الجنسين (الرجل والمرأة) ؛ وذلك لإظهار المدى التفاعلي والاجتماعي والنفسي بين الناس ، وما يصاحب ذلك من أمزجة وطبائع ، وحالات نفسية متفرعة ومتنوعة يمارسها الناس يومياً في مجتمعنا العربي والإسلامي .

٣- **كتاب (فن قراءة الوجوه وكشف خبايا النفوس) (٣) :** للدكتور أيمن أبو الروس ، وقد أدخله المؤلف ضمن علم الفراسة مازجا بين القديم والحديث ، ولكنه يقدم الفراسة بطريقة عصرية تناسب الأجيال الجديدة ، فيشرح كل حركات الجسم ، وما تدل عليه ، وما قد يستنبطه المرء من شكل الجسم ، وما يميزه عن غيره ، وكذلك طريقة الفرد وأسلوبه في التعامل مع الآخرين ، وما قد يدل عليه ذلك من طبيعة العلاقة بين المتعاملين ، سواءً أكانت علاقة صداقة أو ميول عدوانية أو غيرها . وكل ذلك توضحه لنا الحركات والهيئات ، والملامح الجسدية .

٤- **البيان بلا لسان(دراسة في لغة الجسد) (٤):** للمؤلف مهدي أسعد عرار ، ويُعد من الكتب القيمة في هذا المجال ، حيث قام المؤلف باستشراف الدلالة التي تتخلق من لغة الجسد ، وقد ارتضى هذه الدراسة في ثلاثة مطالب :

١ محمد العبد ، العبرة والإشارة ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٦١هـ / ١٩٩٥م .
٢ فؤاد إسحاق الخوري ، لغة الجسد ، ط١ ، دار الساقى ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٠م .
٣ أيمن أبو الروس ، فن قراءة الوجوه وكشف خبايا النفوس ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .
٤ مهدي أسعد عرار ، البيان بلا لسان ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

أمّا المطلب الأول ، فقد أتى الباحث فيه على مهاد يستجمع حديثاً عن البيان بلا لسان ، وحديثاً آخر عن سهمة لغة الجسد المتجلية " بالصمّيّات والحركيّات " في الإبانة والتواصل ، كما أتى الباحث على لغة الإشارة التي ينعقد عليها إجماع الصم والبكم ، والتمثيل الصامت الذي يفى أهله إلى لغة الجسد ، التي تتردد بين الفطري والمكتسب ، والعام والخاص والتواصل والتفاصيل . أمّا المطلب الثاني فقد قام فيه المؤلف بتلمس مواضع ورود لغة الجسد في بعض دراسات القدماء عند البلاغيين ، والمعجميين ، واللغويين ، والأصوليين ، والفلاسفة .

أمّا المطلب الثالث ، فقصد الباحث فيه تلمس هذه الظاهرة في نصوص العربية المتقدمة ، وتلمس تجلياتها ، ودلالاتها ، وأغراضها ؛ وذلك في مضمّار التنزيل العزيز ، والحديث النبوي الشريف ، وأدب العشق والعشاق . وقد بدا للمؤلف في هذا أنّ (لغة الجسد) قد تكون معززة للمعنى المتخلق من (جسد اللغة) ، أو نائبة عنه في مقامات ، أو ناسخة له في مقامات .

أمّا أهم الكتب الأجنبية المترجمة إلى العربية في هذا المجال فهي :

١- الاتصال والسلوك الإنساني (١) : للمؤلف الإنجليزي (برنت روبن) ، قام على ترجمته نخبة من أعضاء قسم الوسائل وتكنولوجيا التعليم بكلية التربية ، جامعة الملك سعود . ويتحدث الكتاب عن الاتصال الإنساني في الحياة المعاصرة ، من خلال السلوك الإنساني الذي يعتمد على استخدام الرموز سواءً أكان ذلك في الشفرات اللفظية أو الشفرات غير اللفظية ، وتشمل الشفرات غير اللفظية :

- المظهر : (الوجه ، وتحديق العين ، والثياب ، والحلي ، والإشارات ، ... إلخ)
- الحركات : (الإيماءات ، والإشارات المعززة ، واللافتات ، وحركات التأنق ، والهندمة ، واللمس ، إلخ) .
- المكان : (مجال حركة الشخص ، والبنية الطبيعية)
- الزمان : (التوقيت ، والوقتيّة)

وكل ذلك يدخل ضمن السلوك غير اللفظي الذي يسهم في الجاذبية ، واستقبال المعلومات ، والاعتماد على تقنية الاتصال من قبل الفرد أو العلاقات أو الجماعات والمنظمات .
وفي النهاية يبين صاحب الكتاب أصول هذه الإيماءات والإشارات وكيف جاءت بطبيعتها وتعبيراتها .

١ برنت روبن ، الاتصال والسلوك الإنساني ، ترجمة نخبة من أعضاء قسم وسائل وتكنولوجيا التعليم بكلية التربية ، جامعة الملك سعود ، معهد الإدارة العامة للبحوث ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

٢- لغة الحركات(١): للمؤلف (ناتالي باكو) عربّيه وترجمه سمير شيخاني ، وفيه يتناول الكاتب لغة الحركات باعتبارها وسيلة اتصال عند كل من الإنسان والحيوان ، ثم يتحدث عن كيفية بعض الأوضاع المميزة ، كوضع الجلوس ، ووضع الرأس ، وأنماط المشية ، وحركات الساقين والقدمين ، وأوضاع الجسم الأخرى ، واستخدام بعض المتممات ، مثل : النظارة ، والغلغليون ، والسيجارة ، وقلم الرصاص أو الحبر ، والتليفون ... إلخ . ويتطرق الكتاب أيضا إلى البعد النفسي باعتبار هذه الحركات والهيئات وسيلة اتصال تعبر عن الحزن ، والثقة بالنفس ، والسيطرة على الذات ، والانزعاج ، والقلق ، والخوف ، والسطوة ، والإقناع ، والخضوع ، والقبول ، والرفض ، والدهشة إلخ . ويتحدث الكتاب أيضا عن (الحركية كعلم جديد) من حيث أهدافها ، وطرقها ، وأسلوبها .

٣- لغة الجسد (٢): للمؤلف الاسترالي (آلن بيز) ، وترجمه سمير شيخاني أيضا للعربية ، وقد اعتبر الكاتب الاسترالي هذا الكتاب نظامًا للتفاهم بين البشر ، معولًا على ذلك من خلال الإيماءات ، والإشارات ، والهيئات ، والأشكال ، والألوان ، وما هو جذاب وغير جذاب ... إلخ معتمدًا في ذلك أيضا على المقياسين الاجتماعي والنفسي في بعض البلدان ، مثل الزواج ، أو الانفصال الزوجي ، والطلاق ، والوفاء ، وفقدان الوظيفة أو العمل ، وعادات الأكل والنوم والمسكن ، وتغير ظروف المعيشة ... إلخ . وقد قام الكاتب بدراسة استغرقت عشر سنوات قبل أن يكتب هذا الكتاب .

٤- إشارات ، رموز وأساطير(٣): للمؤلف الفرنسي (لوك بنوا) ، عربّيه وترجمه فايز كم نقش .

٣- أهمية اللغة الإشارية :

كان أول من دعا إلى الاهتمام باللغة الإشارية ، ومنها (لغة الجسد) (دارون) صاحب نظرية التطور (١٨٧٢ م) ؛ وذلك لما لهذه اللغة من دور مميز في تطور الكائنات الحية ، غير أن أهميتها كما رآها الآخرون من بعده لا تقع في علاقاتها بتطور الكائنات فحسب ، إنما تأتي أيضا من أهميتها في التناقل والتفاعل اليومي بين البشر ؛ لأن جزءًا كبيرًا من المعلومات التي يتناقلها الناس فيما بينهم وعن بعضهم ، يتم بواسطة الإشارات والحركات الجسدية ، التي تستعمل إما للتأكيد على

١ ناتالي باكو ، لغة الحركات ، تعريب سمير شيخاني ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
٢ آلن بيز ، لغة الجسد ، تعريب سمير شيخاني ، ط١ ، دار العربية للعلوم ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
٣ لوك بنوا ، إشارات ، رموز ، أساطير ، تعريب فايز كم نقش ، ط١ ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠١م .

صحة ما يقال ، أو لإثارة الشك ، أو لإخفاء شعور باطني لا يريد المتكلم أن يبوح به جهراً ، أو للإيحاء باتجاه معين (١) ، أو لتبادل المعرفة وإرساء دعائم التفاهم والحياة المشتركة إلخ . لذا فإن اللغة الإشارية تساهم في اكتساب مهارة عالية في فهم نفوذ الآخرين وتأثيرنا فيهم ، وقد أثبتت الدراسات والبحوث العلمية أن ما يزيد عن (٩٠%) من قدراتنا على التأثير في الآخرين يقع خارج إطار الكلام الذي نستخدمه (٢) .

إن الإشارات تساعد في نقل المحتوى الفعلي للحدث ، وتختبرنا بطريقة ما عما لا يستطيع الكلام أن يخبر عنه ، خصوصاً إذا كان هذا المحتوى ينطوي على مكونات مكانية أو شعورية يصعب أن تعبر عنها الكلمات والجمل ، فالناس تصدر عنهم إشارات وهم يتكلمون ، والتأشير في الحقيقة ينقل أحياناً معلومات مهمة لا يحملها الكلام؛ على سبيل المثال، عندما يتحدث شخص عن سمكة يزعم أنه اصطادها ، قد يقول : (حسن ، إنها بهذا الحجم) مفسحاً بين يديه بمقدار طول الضحية التي يتذكرها ، أو ربما أكثر قليلاً ، ومعظم الناس عندما يطلب منهم وصف شيء ملتو يلجؤون إلى تمثيله باليد (٣) ؛ ولهذا قالوا : " ربّ إشارة أبلغ من عبارة " (٤)؛ لما في الإشارة الواحدة من أساس تركيب كامل . والإشارة قد تكون بديلاً ، وضدًا ، ومساندًا ، ورافدًا .

وتشكل الإشارات عنصراً رمزياً قوياً لدى العلماء والمفسرين ، وعن أهمية ذلك يقول أحد الباحثين الغربيين : " إن الإشارة مليئة بالفصاحة للناظرين الحكماء واليقظين ، الذين يملكون مفاتيح تفسيرها ، ويعرفون كيف يلاحظون ، وماذا يلاحظون " (٥) .

إنّ الإشارة لغة غنية بالمعرفة الداخلية للإنسان ، والجسد هو المرآة لشخص صاحبه ، تعكس بُعد الإيمان الديني بقدر ما تعكس منزلة المرء ، فوضع الجسد وما فيه من إشارات وحركات يشير إلى عالم مملوء بالمعاني ، والرموز ، والدلالات . كما أن للجسد حضوراً يوازي لغة الكلام ، وقد يوظف بنويًا خاصة في المسرح (٦) .

وفي البدء كانت الإشارة ، " فقد لجأ الإنسان البدائي كي يعبر عن نفسه إلى إشارات حركية لا تزال مستعملة حتى اليوم ، وحين بدأ المتكلم الأول بالتعبير عن علاقاته بالأشياء المحيطة به ، استعان بأوضاع جسمه ، وحركات يديه ، في مختلف الاتجاهات ، فبدأ أولاً بإصبعه الدالة ،

١ فؤاد إسحاق الخوري ، لغة الجسد ، ص٥ .

٢ انظر : فاطمة سعد الدين ، أسرار لغة الجسد في التأثير والإقناع ، ص٣ ، موقع :

<http://www.vb1.com/shouthead.php?i=1159> .٨٧. ٨٣. ١٤٧/vb1

٣ مايكل كوربليس ، في نشأة اللغة من إشارة الفم إلى نطق اليد ، ترجمة محمود ماجد عمر ، سلسلة عالم المعرفة ، شركة مطابع المجموعة الدولية ، الكويت ، ٢٠٠٦م ، ص١١٨ .

٤ ابن جنّي ، الخصائص ، ١/٢٤٧ .

٥ مايكل كوربليس ، م. س ، ص٨٢ .

٦ إكرام الأشقر ، الرقص لغة الجسد ، ط١ ، دار الفرات ، بيروت ، ٢٠٠٣م ، ص٤٤-٤٥ .

فالسبابة ، فيده اليمنى التي وجهها إلى الشيء الذي يريد الدلالة عليه ليلفت انتباه المخاطب " (١).

ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب ، " فالكائنات في المجتمعات الحيوانية تتصل فيما بينها بفضل إشارات مختلفة ، فهناك رقصات النحل الإعلامية ، وإشارات النحل ذات الرائحة أو فوق الصوتية ، وتغريد الطيور وعروضها الطقسية ، هذا فضلاً عن عشرات الإشارات الرثانة التي تتبادلها الغربان ، والنخير الذي تصدره الدلافين ، ورادارات الخفافيش وغيرها ، كما دخلت الإشارات في اختبار ذكاء الحيوانات ، فنجد البعض بالتحدث مع قرد (الشامبنزي) باستعمال حركات الصم والبكم " (٢) .

وما تقدمه اللغة الإشارية من أهمية " أنها أخذت تضيف قدرًا عظيمًا إلى نسيج العمل الأدبي في بنيته وأهميته " (٣). فكثيرًا ما يلجأ الشعراء والخطباء إلى التعبير عن المعنى للفعل بالإشارة أو الرمز ؛ لأن ذلك أبلغ وأسمى للغة . ومن أكثر الشعراء الذين فاضت في شعرهم هذه اللغة الشاعر عمر بن أبي ربيعة ، الذي استخدم الإشارات بديلاً للرسائل الشفهية ، وذلك عن طريق امرأة ترسل إليه نظرة قاتلة في رسالة جلية دون أن تفتح فاهها ، يقول الشاعر (٤) :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ، ولم تتكلم
فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبًا وأهلاً وسهلاً بالحبیب المتيم

ويعبر الشاعر أبو تمام في أبيات قليلة عما يسمّى بـ (اللغات الصامتة) وما تؤديه من دور في عملية الاتصال في بعض المواقف قائلًا (٥) :

يُترجمُ طرفي عن لساني بسرّه فَيُظهِرُ من وَجدي الذي كنتُ أكنهُ
أليسَ عجبًا أنَّ بيئًا يضمُنني وإيّاك لا نخلو ولا نتكلمُ
إشارة أفواهٍ ، وغمز حواجبٍ وتكسيرُ أبصارٍ ، وطرفٌ يُسلمُ
والسُنننا ممنوعة عن مرادنا وأبصارنا عنا تُجيبُ وتُفهمُ

١ لوك بثوا ، إشارات ، رموز ، أساطير ، ص ١٤-١٥ .

٢ انظر : م . ن . ، ص ١٤-١٥ .

٣ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٢٩ .

٤ عمر بن أبي ربيعة ، الديوان ، ص ٣١١ .

٥ أبو تمام ، الديوان ، تقديم وشرح محيي الدين صبحي ، ط ١ ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٧م ، ٢ / ٤٥٤ - ٤٥٥ .

وإذا كان هذا في الشعر ، فلا بد أن نذكر أيضاً أن بعض الحركات التعبيرية والتعبير بالوجه أصبحت اليوم من عناصر الدراما الجمالية والتمثيل الصامت (المايم) (١) ، فطريقة العرض في الدراما ليست محصورة في اللغة وحدها ، بل يمكن لحركات الممثل وتعبيرات وجهه أن تحكي الحدث أو الحالة التي يوحي بها الحوار وتعززهما ، كما أن هذه الحركات والتعبيرات قد تثير مشاركة وجدانية تتبدى في رد فعل المشاهدين على شخصية الممثل ، كما أن الحركات قد تنتج مادة مناسبة تمنح خلفية ، وتوفر طابعاً درامياً يضيف حياة ولوناً خاصاً على المسرحية (٢) . لذا كان (شكسبير) مدركاً - بالتأكيد - لاستخدام مثل هذه القوة الإشارية في مسرحياته ، خاصة في مسرحيته المشهورة (هنري الثامن) (٣) . وعلى المستوى اللغوي تساهم اللغة الإشارية من خلال اليدين ، واتجاه نظرة العين ، وحركة الجسم ، وهز الكتفين ، والفم ، والوجه ... الخ في تحديد المعنى ، وتركيب الجملة ، ووظيفة الكلمة ، كما تستخدم في نطاق زمني ونطاق مكاني ، إذ تستعمل الحركة في اتجاهات مختلفة في نطاق الأبعاد للتعبير عن دلالات نحوية معينة (٤) .

إنّ اللغة الإشارية وما تحمله من حركات وعلامات ، كهز الكتفين ، ورفع الحاجب ، وحركة الرأس ، تختلف بحسب اختلاف الثقافات ، فالليونانيون - مثلاً- يركون رؤوسهم من أسفل إلى أعلى علامة النفي (٥) . وإذا أراد اليابانيون والألمان أن يؤديوا التحية ، يقومون بإحناء الجسم إلى الأمام بصورة عميقة نوعاً ما ، عكس ما يؤديه الأمريكيون من حركة غامضة بالرأس أو باليد (٦) ، أو بالمصافحة كما في بعض البلدان العربية ؛ ولهذا فإن لغة الإشارة تتخذ ضمن الحضارة الواحدة نماذج معبرة من المعاني يتوارثها القوم جيلاً بعد جيل تماماً كاللغة المحكية (٧) .

وهكذا فإنّ للإشارة أهمية خاصة ؛ فقد نجد في القرآن الكريم أشكالاً متعددة من الإشارات فيها شيء من جمال البلاغة والتبليغ والاتصال والتواصل والدعوة إلى الله تعالى .

تأتي الإشارة في القرآن الكريم ؛ كي تنهض على أساس التحقيق والإنجاز العقلي للغة ، وما لها من طرق ووسائل تبليغية وبلاغية مختلفة ، وذلك من خلال تدقيق النظر في آيات من القرآن الكريم ، فيها من الإشارات التي تعين على تجديد الفكر اللغوي لدى الباحث ، وتمدّه بمفاتيح موضوعية ، ومنهجية ، وفكرية جديدة .

١ المايم : " مصطلح وتعبير مسرحي فنيّ خلاق قائم على التمثيل الحركي الصامت المتجافى عن الكلام ، وقد تطور تطوراً غدت فيه النظرية ذات أسلوب تمثيلي خاص يتعلم تعلمًا ، فله تركيباته ، وحركاته ، وهيئاته المحفوظة " . انظر : مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص٦٦ .

٢ انظر : محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص١٢٨-١٢٩ .

٣ انظر : مايكل كورباليس ، في نشأة اللغة ، ص١٥٠ . حيث عرض نصوصاً من هذه المسرحية .

٤ انظر: المهند ، لغة الإشارة ودورها في عملية الدمج التربوي والاجتماعي والاقتصادي ، ص٢ ، موقع : <http://www.4uarab.com>

٥ محمد العبد ، اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ، ص١٠٧ .

٦ ناتالي باكو ، لغة الحركات ، ص١٠١

٧ فؤاد إسحاق الخوري ، لغة الجسد ، ص٦ .

وبناء على ذلك سيكون مفهوم الإشارة في دراستي للآيات القرآنية ففضافاً(١)، يتّسع لما أورده القدما و غيرهم من المحدثين .

الفصل الثاني : الإشارات في القرآن الكريم

١- الإشارة الجسميّة :

- أ- الحركات الجسميّة .
- ب- تعبيرات الوجه والعينين .
- ج- تعبيرات الضحك .
- د- الهيئات والأوضاع الجسميّة .
- هـ- المتمّمات المساندة .

٢- الإشارة الضويّة :

- أ- الألوان .
- ب- العلامات .

٣- الإشارة الصوتيّة :

- أ- المستوى المرتفع .
- ب- المستوى المنخفض .

١ استعمل ابن رشيق مفهوم الإشارة بأسلوب فضااض حيث يتّسع لما أورده الجاحظ وغيره من مباحث إذ إنه يشتمل على غرائب الشعر ومُلجه ، والتفخيم ، والتلويع ، والكنابة والتمثيل ، والرمز ، واللحة واللفز ، والتعمية ، والحركة الجسديّة . انظر : ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٣ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، ٣٠٢/١ - ٣١١ . ومهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ٧٨ .

١- الإشارة الجسمية

تشمل الإشارة الجسمية كل ما يتعلّق " بالحركات والإيماءات التي تصدر عن أعضاء الجسد ، وتقوم بوظيفة التعبير ، ويطلق عليها (لغة الجسد)"(١) ، ويضاف إليها أيضاً بعض الهيئات والتميمات المساندة ، والإشارة الجسمية لها الحيّز الأكبر في الدراسة، ويمكن تقسيمها كما يلي:

أ- الحركات الجسمية :

وهي كل ما يتعلق بأجزاء الجسم المختلفة من أعضاء ، وأطراف من الرأس حتى أخصص القدمين . وقد قسم الدكتور محمد العبد هذه الحركات إلى قسمين ، هما :

أولاً : الحركة الجسمية البسيطة : " وهي التي تصدر بكاملها عن عضو بعينه أو عن جزء محدد من الجسم"(٢) ، كحركة اللسان ، وحركة الرأس ، وحركة الخد ، وحركة العنق...الخ.
ثانياً : الحركة الجسمية المركبة : " وهي التي تصدر عن عضو بعينه في علاقته بأعضاء أو أجزاء أخرى من الجسم ، بحيث لا تبدو هيئة الحركة مكتملة إلا بمثل هذه العلاقة "(٣) كحركة اليد مع الوجه ، وحركة اليد مع الفم ، وحركة الأصابع مع الأذن ، الخ .
وتفصيل ما جاء في القرآن الكريم بخصوص هذه الحركات وتقسيماتها وما تشير إليه كما يلي :

أولاً : الحركة الجسمية البسيطة :

من يمعن النظر في كتاب الله العزيز يجد كمّاً من هذه الحركات البسيطة ، التي تشكل بمفردها تعبيرات خاصة ، ومنها :

١- حركة اللسان :

وصف بعض البلغاء اللسان بأنه " أداة يظهر بها حسن البيان ، وظاهر يخبر عن الضمير ، وشاهد ينبئك عن غائب "(٤). ومع أن اللسان عنصر فعال في التعبير عن الكلام ، فهو أيضاً يشكل إشارة

١ محمد كشاش ، لغة الإشارة من البدائية والتلقائية إلى لغة عالمية ، مجلة الفكر ، ٩٥ع ، السنة العشرون ، شتاء ، ١٩٩٩م ، ص ١١ .

٢ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٩٧ .

٣ م . ن .

٤ عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تعليق محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ،

مهمة في الاتصال الحركي ، وقد ورد في القرآن الكريم بصورته الحركية كما في قوله - تبارك وتعالى - : ((وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)) (١) .

ومنه أيضاً قوله تعالى : ((وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيًّا يَا أَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ)) (٢) .

و(يلوون ألسنتهم بالكتاب) قال الشوكاني : " يعني طائفة من اليهود يحرفون الكلم ويعدلون به عن القصد . وأصل اللي : الميل . لوى بيده ، ولوى برأسه ، وقوله تعالى : (لِيًّا بِالْأَلْسِنَتِمْ) أي عناداً عن الحق وميلاً عنه إلى غيره " (٣) . وقال الأصفهاني : " لوى لسانه بكذا ، كناية عن الكذب وتخرّص الحديث " (٤) . وهنا يتخذ اللسان وظيفة أخرى - كما يقول محمد العبد - وذلك " عندما تتخذ هيئته الحركية علامة على التظاهر بالانخراط في اللفظ بالشيء في الوقت الذي يكون منها من التحريف والميل " (٥) .

٢ - حركة الخد :

أما حركة الخد فقد جاءت في القرآن الكريم باعتبارها حركة انفعالية إظهاراً للتكبر والاحتقار ، وقد وردت كلمة (الخد) مصاحبة للفعل (صعّر) ؛ وذلك من أجل الميل أو الإعراض بالوجه عن الآخرين ، كما في قوله تعالى : ((وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ)) (٦) . "والأسلوب القرآني يختار هذا التعبير للتفجير من الحركة المشابهة للصعّر (٧) ، حركة الكبر والازورار ، وإمالة الخد للناس في تعالٍ واستكبار " (٨) . وهنا يدعو القرآن الكريم إلى التواضع بعيداً عن الغرور والكبرياء . وقد صدق الشاعر بشار حين قال (٩) :

إذا الملكُ الجبارُ صعّرَ خَدَّهُ
مشينا إليه بالسيفِ نعاتبُهُ

١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م ، ص ٧٦ - ٧٧ .

١ آل عمران ، آية : ٧٨ .

٢ النساء ، آية : ٤٦ .

٣ الشوكاني ، فتح القدير ، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م ، ٤٤٦/١ .

٤ الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ضبط وتصحيح وإخراج إبراهيم شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٥١١ .

٥ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٩٨ .

٦ لقمان ، آية : ١٨ .

٧ الصعّر : " ميل في العنق أو الوجه إلى أحد الجانبين ، خلقة أو مرضاً ، وهو داء يأخذ البعير في رأسه فيقلب رأسه في جانب ، ويشبهه به الرجل الذي يتكبر على الناس " انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (صعّر) . وإبراهيم أنيس ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ص ٥٤٠ .

٨ محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ط ١ ، دار الثقافة للنشر ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٤٦٩ .

٩ بشار بن برد ، الديوان ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م ، ٣٣٤/١ .

٣ - حركة العنق :

وقد وردت هذه الحركة في القرآن الكريم بشكلين ، هما :

أ- ليّ العنق :

وهذه الحركة تكون في الإعراض عن الشيء يلوي الشخص عنقه على أحد ، وفي القرآن الكريم قوله - تعالى - : ((إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ)) (١) .

قال القرطبي : "ومعنى (تلوون) تعرجون وتقيمون ، أي لا يلتفت بعضكم إلى بعض هرباً ، فإن المعرج على الشيء يلوي إليه عنقه أو عنان دابته على أحد " (٢) . ويقال : " فلان لا يلوي على أحد ، إذا أمعن في الهزيمة " (٣) ، ومع أن هذا العضو (العنق) الذي صدرت عنه هذه الحركة لم يذكر حرفياً في الآية الكريمة ، إلا أنه مفهوم من السياق بدلالة الفعل (لوى) " (٤) .

ب- إخضاع العنق :

وهذه الحركة تعبر عن الإذلال والقهر ، كما في قوله تعالى : ((إِنْ نَشَأْ نُذَلِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ)) (٥) . والخاضع هو الذليل ، وقال الطبري : " (فظلّت أعناقهم لها خاضعين) أي : ملقين أعناقهم ، فلا يلوي أحد عنقه إلى معصية الله " (٦) .

٤ - حركة الرأس :

تتخذ حركة الرأس أشكالاً متعددة ، فقد يكون الرأس مرفوعاً أو مخفوضاً أو منحنيّاً إلى جانب ، وسواءً أكنّا واقفين أو جالسين فإن كل حركة لها ما يميزها عن الحركات الأخرى ، ولها دلالاتها الخاصة ، فقد يميل الشخص برأسه إلى الأسفل علامة على الموافقة ، أو يميل إلى جانب ما لإظهار الاهتمام بموضوع ما وقت الاستماع من الخطيب أو المحاضر مثلاً ، وفي القرآن الكريم كان لحركة الرأس حضور مميز ، فقد وردت في النص القرآني بأشكال متعددة ، منها :

أ- ليّ الرأس : كما في قوله تعالى : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ)) (٧) . " و(لَوَّا رُءُوسَهُمْ) : أمالوها " (٨) ، وإمالة

١ آل عمران ، آية : ١٥٣ .

٢ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، راجعه صدقي محمد جميل وخرج حديثه وعلق عليه الشيخ عرفات العنّاش ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ٤ / ٢٢٦ .

٣ الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٥١١ .

٤ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٩٩ .

٥ الشعراء ، آية : ٤ .

٦ ابن جرير الطبري ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، هذبّه وقرّبه صلاح عبد الفتاح الخالدي ، وخرج أحاديثه إبراهيم محمد علي ، ط ١ ، دار القلم (دمشق) ، والدار الشامية (بيروت) ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ٥ / ٦٣٨ .

٧ المنافقون ، آية : ٥ .

٨ الراغب الأصفهاني ، م.س ، ص ٥١١ .

الرأس هنا حركة تعبر عن الصد والاستكبار كما أوضح سياق الآيات اللغوي ، ولعل مثل هذه التلوية لا تخلو من الاستهزاء " (١) ، قال القرطبي : " لوّوا رؤوسهم ، أي حركوها استهزاء " (٢) . وقال مهدي عرار : " في تلوية الرأس يتجلى معنى الاستهزاء والإباء " (٣) .

ب- إنغاض الرأس (هزّ الرأس) : كما في قوله - تعالى - : ((فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا)) (٤) .

فإنغاض الرأس هو هزّها ، قال السعدي : " فسينغضون إليك رؤوسهم ، أي : يهزونها إنكاراً وتعجباً مما قلت " (٥) ، وقد يحركونها على سبيل التكذيب والاستبعاد (٦) ، وقال ابن كثير : " الإنغاض هو التحرك من أسفل إلى أعلى ، أو من أعلى إلى أسفل " (٧) . إذن ، نجد أنّ حركة الرأس في الآيتين الكریمتین السابقتین اتخذت وضعاً خاصاً ، يدل على الاستهزاء ، أو الإنكار ، أو الاستبعاد والتكذيب .

ج- رفع الرأس :

ومن ذلك قوله - تعالى - : ((أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ . وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ . وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ)) (٨) . والسامد : " اللاهي الرافع رأسه ، كما في قولهم : سمد البعير في سيره " (٩) . ومع أنهم (سامدون) رافعون رؤوسهم ، إلا أنهم غافلون لاهون عما يطلب منهم " (١٠) . ومن هذه الهيئة التي تعبر عن لهوهم أيضاً ، قوله - تعالى - : ((إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ)) (١١) .

ف- (مقنعي رؤوسهم) : " رافعيها إلى السماء مع إدامة النظر بأبصارهم إلى ما بين أيديهم من غير التفات إلى شيء . يقال : أفنع رأسه ، إذا نصبه ورفعته ، أو لم يلتفت يميناً وشمالاً " (١٢) .

١ محمد العبد ، م.س ، ص ١٩٩-٢٠٠ .

٢ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ١١٧/١٨ . انظر أيضاً : ابن جرير الطبري ، م . س ، ٣١٩/٧ .

٣ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٧١ .

٤ الإسراء ، آية : ٥١ .

٥ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ط ١ ، دار المغني للنشر والتوزيع (الرياض) ، ودار ابن حزم ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ٤٩٠ .

٦ انظر : أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ، ٤٤/٦ .

٧ محمد علي الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير ، ط ٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ٣٧٩/٢ .

٨ النجم ، آية : ٥٩ - ٦١ .

٩ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٢٧١ .

١٠ جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص ٧٠٤ .

١١ إبراهيم ، آية : ٤٢ - ٤٣ .

١٢ محمد عتريس ، م . س ، ص ٣٤٥ .

وقال المبرد : " ومن قال : هو الرافع رأسه ، فتأويله عندنا أنه يتناول ، فينظر ، ثم يطأطيء رأسه ، فهو بعد يرجع إلى الإغضاء والانكسار (١) .

د- نكس الرأس :

ويسمى بـ " الرأس الخفيض المتطامن " (٢) .

ومنه قوله - تعالى - : ((وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ)) (٣) . وكذلك قوله - تعالى - : ((فَارْجِعُوا إِلَىٰ أَنفُسِكُمْ فَقَالُوا لِنُكْمِ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ . ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ)) (٤) .

فالنكس هو : " قلب الشيء على الرأس " (٥) . وقال القرطبي : " ناكسو رؤوسهم) ؛ أي : من الندم والخزي والذل والغم " (٦) . والقصد من ذلك كما يقول الزركشي : " هو تفضيع حالهم " (٧) .

وقال أبو عبيدة في آية الأنبياء : " (ثم نكسوا على رؤوسهم) مجازة قلبوا . ويقال : نكست فلاناً على رأسه ، إذا قهره وعلاه ونحو ذلك " (٨) . وكل ذلك يعبر عن هيئتهم الذليلة وقهرهم .

هـ - شد الرأس إلى الخلف :

كما في قوله - تعالى - : ((إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ)) (٩) .

فالمقمحون : هم " الرافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها لكون الأغلال تجمع أيديهم مع أعناقهم " (١٠) . ويقال : " أقمحتُ البعير ؛ أي شددت رأسه إلى الخلف ، وأقمح الغلُّ الأسير : ضاق على عنقه ، فجعل يرفع رأسه متضرراً " (١١) . وقال الأصفهاني : " وقوله (مقمحون) تشبيهه بذلك ، ومثل لهم ، وقصد إلى وصفهم بالتأبي عن الانقياد للحق ، وعن الإدعان لقبول الرشد ، والتأبي عن الإنفاق في سبيل الله ، وقيل : إشارة إلى حالهم في القيامة " (١٢) .

١ المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ٩٧ / ٢ .

٢ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٧٠ .

٣ السجدة ، آية : ١٢ .

٤ الأنبياء ، آية : ٦٤ - ٦٥ .

٥ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٥٦١ .

٦ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ٨٩ / ١٤ .

٧ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٩٧٢م ، ١١٤ / ١ .

٨ أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، علق عليه محمد فؤاد سزكين ، ط ٢ ، مكتبة الخانجي ، دار الفكر ، مصر ، ١٩٧٠م ، ٤٠ / ٢ .

٩ يس ، آية : ٨ .

١٠ انظر : جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص ٥٧٩ .

١١ انظر : الأصفهاني ، م.س ، ص ٤٦٠ . و محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٤٩١ .

١٢ الأصفهاني ، م.س .

إنّ هذه الآية تعبّر عن هيئتهم المتأبّية ، وترسم لنا " مشهداً محسوساً لهذه الحالة النفسية ، يصورهم كأنهم مغلولون ممنوعون قسراً عن النظر ، فالأغلال واصلت إلى الأذقان ، ملزوزة إليهما ، ومن ثمّ فإنّ رؤوسهم مرفوعة إلى أعلى ، فلا يملكون حرية النظر والرؤية وهم في هذا المشهد العنيف " (١) .

٥ - حركة اليد :

قد يعبر الإنسان عن انفعالاته بحركات يديه ؛ لأنّ اليد هي أداة امتداد للدماغ ، وهي وسيلة اتصال يعزّز نظيرها ، وقد تكون بديلاً للكلام ؛ ولهذا اعتبرت اليدين هما اللغة الرسمية لدى الصم والبكم في أكثر الأحيان (٢).

ومع أنّ حركة اليدين لها أشكال متعددة ، يحمل كل شكل دلالة خاصة ، فإنّ في القرآن الكريم أشكالاً لهذه الحركة ، منها :

ب- بسط اليد أو الكف : بسط اليد أو الكف يعني مدّها ، وقد وردت هذه الحركة في القرآن

الكريم في أكثر من موضع تحمل أكثر من معنى ، فبسط اليد أو الكف " يستعمل تارة للطلب ، وتارة للأخذ ، وتارة يستعمل للوصول والضرب ، وتارة يستعمل في مدها للبدل والإعطاء ، وتارة للتوسط والاعتدال " (٣) .

وقد يكون بسط اليد للتسلط والهيمنة والشر وإلحاق الأذى بالآخرين . والقرآن الكريم يبسط لنا ذلك في صفحاته كما يلي :

- بسط الكف للتعبير عن اليأس : ومن ذلك قوله تعالى : ((وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَأَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَلَهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَا الْكَاْفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ)) (٤) . وعن هذا المشهد الجميل في هذه الآية الكريمة يقول محمد عتريس : " فهو مشهد ناطق متحرك لاهف مكروب ، والصورة حيّة تنبض ، يكاد القارئ يرى الشخص الضمآن منبطحاً على حافة البئر مادّاً يديه إلى الماء يدعوه أن يرتفع من البئر ليصل إلى فمه ، فلا يستجيب له الماء ولا يبلغ فاه ، وكيف وهو لم ينله أبداً بيده ؟ ثمّ إنّ الماء جماد لا يشعر بشيء ، فكيف يشعر بظماً الظامئ حتى ولو بسط إليه يديه ؟ إنّ تعبير رائع عن اليأس " (٥) .

١ محمد عتريس ، م . س ، ص ٤٩١ .

٢ ناتالي باكو ، لغة الحركات ، ص ٤٢ - ٤٣ .

٣ محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ١٨١ .

٤ الرعد ، آية : ١٤ .

٥ محمد عتريس ، م . س ، ص ٣٢٨ .

- بسط اليد للأخذ : من ذلك قوله تعالى : ((وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ))(١).
- بسط اليد للبذل والإعطاء : ومنه قوله تعالى : ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ))(٢).
- بسط اليد للتوسط والاعتدال والتوازن : كما في قوله تعالى : ((وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا)) (٤) .
- بسط اليد للصولة والضرب : كما في قوله تعالى : ((إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ))(٥) .
- بسط اليد للتسلط والاعتداء : وذلك حملاً للشر والأذى للآخرين ، وإحداثاً للفتنة والظلم . ومن ذلك قوله تعالى : ((لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ))(٦).

ج- قبض اليد : يقال : قبض الشيء إذا أخذه بقبضة يده(٧) ، " فألصق أصابع اليد براحتها وطواها خشية أن تعطى شيئاً ، ويقال قبض يده عن النفقة وعن المعروف ؛ أي : امتنع عنهما "(٨). وقال الأصفهاني : " القبض تناول الشيء بجميع الكف ، نحو قبض السيف وغيره وقبض اليد على الشيء جمعها بعد تناوله ، وقبضها عن الشيء جمعها قبل تناوله ، وذلك إمساك عنه ، ومنه قيل لإمساك اليد عن البذل قبض "(٩) ، وفي القرآن الكريم قوله تعالى : ((

١ الأنعام ، آية : ٩٣ .

٢ المائدة ، آية : ٦٤ .

٣ و من هذا النوع قوله تعالى : " يد الله فوق أيديهم " (الفتح ، آية : ١٠) ، فليس لله يد على وجه الحقيقة ، بل أولت اليد هنا بالنعمة ، أو القوة . انظر : مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٩٢-١٩٣ . و الزركشي ، البرهان ، ٧٨/٢ .

٤ الإسراء ، آية : ٢٩ .

٥ الممتحنة ، آية : ٢ .

٦ المائدة ، آية : ٢٨ .

٧ انظر : إبراهيم أنيس ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ص ٧٤٤ .

٨ محمد عنتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٢٦٢ .

٩ الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٤٣٧ .

٩ التوبة ، آية : ٦٧ .

الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ
أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ((١)).

فقبض اليد هنا في هذه الآية يعبر عن حال النفوس الشحيحة والبخيلة للمنافقين والمنافقات ؛ لذا
يقال : " إنَّ الرجل البخيل يكون مقبوض اليد ، يضم أصابعه إلى الكف ، مع التوجه بها قليلاً نحو
الأرض ، أما الرجل الكريم فتكون يده مفتوحة وممدودة إلى الآخرين لمساعدتهم" (٢).

د - **اللمس باليد** : " اللمس هو إحدى الحواس الخمسة الظاهرة ، وهي قوة منبئة في العصب
تدرك بها الحرارة والبرودة ، والرطوبة واليبوسة ونحو ذلك " (٣) ، " واللمس إدراك بظاهر
البشرة ، كاللمس ، ويعبر به عن الطلب " (٤) . وحركة اللمس باليد تدخل فيما يسمى بالإدراك
الحسي النابع من الحواس الجلدية ، ومنها حاسة اللمس التي هي في الأساس وحدة اتصال بين
الإنسان وذاته ، يستعين بها لتحسس الأشياء للتعرف عليها(٥).

وقد أشار القرآن الكريم إلى مثل هذه الحركة في قوله تعالى : ((وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي
قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ)) (٦) .

قال القرطبي في تفسير هذه الآية : " (فلمسوه بأيديهم) أي ؛ فعاينوا ذلك ومسوه باليد كما
اقترحوا وبالغوا في ميزه وتقلبه جساً بأيديهم ليرتفع كل ارتياب ويزول عنهم كل إشكال ؛ لعاندوا
وتابعوا كفرهم " (٧) .

وجاء في البحر المحيط : " ذكر اللمس لأنهم لم يقتصروا على الرؤية لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ،
ولما كانت المعجزات مرئيات ومسموعات ذكر الملموسات مبالغة في أنهم لا يتوقفون في إنكار هذه
الأنواع كلها حتى إن الملموس باليد هو عندهم مثل المرئي بالعين والمسموع بالأذن ، وذكر اليد -
هنا - قيل إنه مبالغة في التأكيد ولأن اليد أقوى في اللمس من غيرها من الأعضاء ، وقيل الناس
منقسمون إلى بصراء وأضراء ، فذكر الطريق الذي يحصل به العلم للفريقين - أو ما يمكن أن

٢ فؤاد إسحاق الخوري ، لغة الجسد ، ص ٨٩ .

٣ إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٨٧٥ .

٤ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٥٠٩ .

٥ انظر : محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، ط ٣ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

٦ الأنعام ، آية : ٧ .

٧ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ٦ / ٣٠٤ .

يطلق عليه الطريق الثالث في الاتصال – وقيل : اللمس باليد مقدمة الإبصار ولا يقع مع التزوير ، كما أن اللمس هنا يراد به الفحص عن الشيء والكشف عنه .(١)

ومهما قيل فتبقى حركة اللمس أداة للكشف والمعرفة والتأكد من الأشياء ، وهي برهان للنفس الإنسانية ؛ لكونها وحدة اتصال بين الإنسان وذاته .

هـ - الدفع باليد :

ويعبر بها عن القهر والظلم ؛ وذلك باستخدام الفعل (دَعَّ) ، كما في قوله - تعالى - : ((فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ))(٢). والدَّعُ : هو الدفع الشديد أو العنيف (٣). قال القرطبي : (يَدْعُ) أي يدفع(٤). وقال السعدي : " أي يدفعه بعنف وشدة ولا يرحمه لقساوة قلبه ، ولأنه لا يرجو ثواباً ولا يخاف عقاباً(٥). وجاء في تفسير الطبري : " أن الذي (يدعُ اليتيم) هو الذي يدفعه عن حقه ، ويقهره ويظلمه " (٦). ومن يفعل ذلك يلق المصير نفسه في جهنم كما توضحه لنا الآية الكريمة في قوله تعالى : ((يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً))(٧). فهؤلاء " يساقون إلى جهنم ويدفعون دفعاً ، وهذا تقريع وتوبيخ لهم " (٨).

هـ - نزع اليد : نزع الشيء جذبه من مقره أو قلعه من مكانه ، ونزع يده من جيبيه أخرجها(٩). ويكون نزع اليد من الجيب عادة لإخراج شيء عظيم لعرضه على الناس ، وفي القرآن الكريم وردت هذه الحركة في قوله - تعالى - : ((وَنَزَعَ يَدَهُ فَيَدْأِي أَيْمَانًا لِلنَّاطِرِينَ))(١٠). فكان خروج اليد وهي تلمع ببياضها النوراني أمراً عظيماً يبهر الناظرين .

v ملاحظة : قال - تعالى - في النمل : ((وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ))(١١). وقال في القصص : ((اسْأَلْكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ))(١٢) .

١ انظر : أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ٨٢ / ٤ .

٢ الماعون ، آية : ٢ .

٣ انظر : الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ١٩٠ . وإبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٣٠٩ .

٤ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ١٨٠ / ٢٠ .

٥ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ١٠٢٢ .

٦ الطبري ، جامع البيان ، ٧ / ٧٠٢ .

٧ الطور ، آية : ١٣ .

٨ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص ١٧٧٠ .

٩ انظر : إبراهيم أنيس ، م. س ، ص ٩٥٣ . والأصفهاني ، م. س ، ص ٥٤٢ .

١٠ الشعراء ، آية : ٣٣ .

١١ النمل ، آية : ١٢ .

١٢ القصص ، آية : ٣٢ .

قال فاضل السامرائي هنا : " إنَّ الإدخال أخصّ من السلك أو السلوك اللذين هما مصدر الفعل سلك ، لأنَّ السلك أو السلوك قد يكون إدخالاً وغير إدخال ، تقول سلكتُ الطريق وسلكتُ المكان أي : سرتُ فيه ، وتقول : سلكتُ الخيط في المخيط ، أي : أدخلته فيه . فالإدخال أخص وأشق من السلك والسلوك . فإنَّ السلك قد يكون سهلاً ميسوراً ، ... فناسب وضع السلوك في موطن السهولة واليسر ، ووضع الإدخال في موطن المشقة والتكليف الصعب " (١).

و- خفض الجناح (اليد) :

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الإسراء : ((وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)) (٢). وكذلك قوله - تعالى - : ((وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ)) (٣). وقوله أيضاً : ((وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)) (٤) .

فالجناح هو : اليد أو العضد أو الجانب ، ويقال خفض فلان جناحه للناس : ألان جانبه وتواضع لهم (٥) . والجناح في الآيات الثلاثة السابقة هو تعبير عن هيئة التواضع . ويقول محمد عتريس في آية الإسراء : " أضاف الجناح إلى الذل كما أضيف حاتم إلى الجود بمعنى : اخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول ، أو اجعل لذلك لهما جناحاً خفيضاً كما جعل لبيد للشمال يداً (٦) ، وللقوة زماماً ، مبالغة في التذلل والتواضع " (٧) . وقال الزركشي : " فإنه يستحيل حمله على الظاهر ؛ لاستحالة أن يكون آدمي له أجنحة ، فيحمل على الخضوع وحسن الخلق (٨) . وقال ابن كثير : (وخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أي تواضع لهما بفعلك " (٩) . كما استعار لفظ الجناح مع الذل ؛ قصدًا إلى ما يرفع الإنسان لا إلى ما يضعه أو يذلّه (١٠) .

ز - شدّ العضد :

-
- ١ فاضل السامرائي ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، ط٣ ، دار عمار ، عمان- الأردن ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، ص ١١١ - ١١٢ .
٢ الإسراء ، آية : ٢٤ .
٣ الحجر ، آية : ٨٨ .
٤ الشعراء ، آية : ٢١٥ .
٥ انظر : إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ١٦٠ . والأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ١١٣ . ومحمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٣٦٨ .
٦ قال لبيد بن ربيعة :
وَعْدَاة رِيحٍ قَدْ وَزَعَتْ وَقِرَّةً إِذْ أَصْبَحَتْ بَيْدَ الشَّمَالِ زَمَامُهَا .
انظر : لبيد بن ربيعة العامري ، الديوان ، دار صادر ، بيروت ، د . ت ، ص ١٧٦ .
٧ محمد عتريس ، م . س .
٨ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ٢ / ٢٠٦ .
٩ محمد علي الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير ، ٢ / ٣٦٩ .
١٠ قال الأصفهاني : وقوله عز وجل : { وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ } ، فاستعارة ، وذلك أنه لما كان الذل ضربين : ضرب يضع الإنسان ، وضرب يرفعه - وقصد في هذا المكان إلى ما يرفعه لا إلى ما يضعه - فاستعار لفظ الجناح له ، فكأنه قيل : استعمل الذل يرفعه عند الله من أجل اكتسابك الرحمة ، أو من أجل رحمتك لهما . انظر : الأصفهاني ، م . س ، ص ١١٣ .

ويعبر به عن المساندة والمعاونة والقوة كما في قوله - تعالى - مخاطباً موسى - عليه السلام -
: ((قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا)) (١).

والعضد : " ما بين المرفق إلى الكتف ، وشدّ العضد كناية عن تقويته ، فاليد تشتد بشدّة العضد " (٢). وتقول العرب في باب الاستغاثة : " شدّ على عضده ، أو شدّ فلان على عضد فلان إذا أعانه ، والمعاودة المعاونة " (٣). و(سنشدّ عضدك بأخيك) ؛ أي : " سنقويك ونعيّنك بأخيك " (٤). وقال القرطبي : " أي تقويك به ، وهذا تمثيل ؛ لأنّ قوّة اليد تكون بالعضد " (٥)

٦- حركة الرّجل ، ومنها :

أ- ضرب الرجل :

" تعد الأرجل وسيلة من وسائل التعبير عن الذات ، وتتخذ حركاتها أشكالاً واتجاهات متشعبة عدة ، تتم كل واحدة منها عن معان ومضامين متنوعة منها ما هو مثير للشهوة أو الجنس ، ومنها ما هو يدعو إلى البلادة واللامبالاة ... ففي الوضع التعاطفي المثير والجذاب ، أو الداعي إلى الألفة يميل المتفاعل - خاصة النساء - إلى ضرب الأرض بطرقات خفيفة بقدميه ، وكأنه يدعو الآخر إلى التقرب منه والإقرار بوجوده " (٦) ، والقرآن الكريم يظهر لنا هذه الحقيقة وذلك في مخاطبة النساء ، اللواتي يضربن الأرض بالرجل " للإثارة إلهاباً وتهيبجاً باعثة على لفت النواظر ، واستدعاء الشهوة من مكانها " (٧) ، كما في قوله - تعالى - : ((وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (٨).

إن القرآن الكريم ينهى النساء عن أن يضربن بأرجلهن في الأرض للفت الأنظار إليهن والدعوة إلى التطلع والميل إليهن ؛ وذلك سداً لذريعة الفتنة أو الفساد (٩) ، ويقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : " إن المرأة في الجاهلية كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخالٌ صامت لا يعلم صوته ، وكانت تضرب برجلها ليسمع الرجال طنينه فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك ؛ لأنّ النهي عن

١ القصص ، آية : ٣٥ .

٢ انظر : محمد عتريس ، م.س ، ص ٤٥٩ . وإبراهيم أنيس ، م.س ، ص ٦٣٦ .

٣ الهمداني ، الألفاظ الكتابية ، راجعه وقدم إليه السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٦٧ . انظر أيضاً : الطبري ، جامع البيان ، ٢٨ / ٦ .

٤ الطبري ، جامع البيان ، ٢٨ / ٦ .

٥ القرطبي ، م الجامع لأحكام القرآن ، ١٣ / ٢٦٣ .

٦ انظر : فؤاد إسحاق الخوري ، لغة الجسد ، ص ٤٧ - ٥٠ .

٧ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٩٠ .

٨ النور ، آية : ٣١ .

٩ انظر : محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٤٤٥ .

ذلك كالنهي عن إبداء الزينة " (١) ، " والغرض من هذا النهي عن هذه الحركة هو التستر ؛ لأنّ سماع هذه الزينة أشد تحريكاً للشهوة من إبدائها " (٢).

وعن مثل هذه الحركات المثيرة يقول محمد عتريس إنها : " تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون - وبعده - إما الإفشاء الفوضوي الذي لا يتقيد بقيد ، وإما الأمراض العصبية والعقد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة ! وهي تكاد تكون عملية تعذيب " (٣).

ب- التشمير (كشف الساق) :

ويعبر به عن الجديّة وشدة الأمر وكشف الحقائق ، كما في قوله - تعالى - : ((يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ)) (٤). فكشف الساق أو التشمير هو كناية عن اشتداد الخطب وعظم الأمر ، وفي المثل (كشف عن ساقه) يضرب في شدة الأمر ، كقولهم : شمّرت الحرب عن ساقها ، وقام فلان على ساق : إذا عني بالأمر واجتهد فيه " (٥). وتقول العرب في باب الاحتراز وشذذ الرأي : " تشمّر... ، وضمّ جناحيه ، وضمّ أطرافه " (٦).

والأصل في معنى هذا التعبير : " أن من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجِدِّ شمّر عن ساقه ، فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة (٧). و (يوم يكشف عن ساق) هو يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والكرب والشدة والزلال والبلاء والامتحان (٨). وجاء في تفسير القرطبي " ساق الشيء أصله الذي به قوامه ، كساق الشجرة وساق الإنسان ، ويكون المعنى على هذا : يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصلها " (٩).

وتظهر الصورة أكثر وضوحاً في المشهد الذي يعرضه لنا النص القرآني عن (بلقيس) ملكة سبأ ، وذلك في قوله - تعالى - : ((قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ

١ محمد علي الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير ، ٢ / ٦٠٠ .

٢ انظر : مهدي عرار ، م . س ، ص ١٩١ .

٣ محمد عتريس ، م . س ، ص ٤٤٥ .

٤ القلم ، آية : ٤٢ .

٥ انظر : ابن جني ، الخصائص ، ٣ / ٢٥١ . ومحمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٥٧٦ . وإبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٤٩٠ .

٦ انظر الهمداني ، الألفاظ الكتابية ، ص ٨١-٨٢ .

٧ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ١٨ / ٢٣٠ .

٨ انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص ١٩٠٨ . والطبري ، جامع البيان ، ٧ / ٣٨٥ .

٩ القرطبي ، م . س .

سَاقِيهَا)) (١). فحين كشفت بلقيس عن ساقها لتدخل صرح سليمان - عليه السلام - كان الموضع موضع الامتحان لها واختبار ذكائها . وهذا يكشف عن أصل الأمر وحقيقته لسليمان عليه السلام

v ملاحظة :

وردت لفظة (الساق) في القرآن الكريم بتعبير آخر كما في قوله - تعالى - : ((وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ . إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ)) (٢). فقيل : " إن التفاف الساقين هو لفهما في الكفن حيث تلتف ساقا الإنسان عند الموت من شدة الكرب " (٣)، وقيل : " الأمر العظيم بالأمر العظيم أو شدة أمر الدنيا بشدة أمر الآخرة " (٤). ولا ننسى في هذا التعبير - أيضاً - ما يشير إلى انتهاء الحركة والعمل ، والتحول من نشاط وحيوية إلى صمت وسكون منقطع النظير .

ثانياً : الحركة الجسمية المركبة :

أما الحركات الجسمية المركبة التي يشترك فيها أكثر من عضو لحدوث المعنى والاتصال ، فيمكن إدراجها تحت الأشكال الفرعية التالية :

١- حركة اليد مع اليد (حركة تقليب الكف) :

ذكر القرآن الكريم ما يقوم به الإنسان من تقليب كفيه خاصة في حالة الندم الشديد ، كما في قوله تعالى : ((وَأَحْيِطْ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا)) (٥). قال الأصفهاني : " وتقليب اليد : عبارة عن الندم ذكراً لحال ما يوجد عليه النادم ، قال تعالى : (أصبح يقلب كفيه) ؛ أي يصفق ندامة " (٦) . وعن هذه الحالة (الندم) يقول الدكتور محمد نجاتي : " وهذه الحالة تنشأ عن شعور الإنسان بالذنب ، وأسفه على ارتكابه ، ولومه لنفسه على ما فعل ، وتمنيه لو أنه لم يفعل ذلك . ولوم الإنسان لنفسه ، وندمه على ما فعل من العوامل المهمة في تقويم شخصيته ، ودفعه إلى تجنب الأفعال المشينة وارتكاب الذنوب التي تسبب له الندم ولوم النفس " (٧).

١ النمل ، آية : ٤٤ .

٢ القيامة ، ٢٩ - ٣٠ .

٣ القرطبي ، م. س ، ١٩ / ١٠١ .

٤ الطبري ، جامع البيان ، ٧ / ٤٧٧ .

٥ الكهف ، آية : ٤٢ .

٦ الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٤٥٩ . انظر أيضاً : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ٢ / ٢١٣ .

٧ محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، ط ٣ ، ص ٩٦ .

٢ - حركة اليد مع الوجه :

ويعني ذلك الضرب بباطن الكف على الوجه (اللطم) ، وهذا السلوك تختص به عادة النساء ، خاصة عند حدوث أمر عجيب قد يثير الدهشة والاستغراب لدى المرأة فتكون ردة الفعل سواء في الأفعال أو الأقوال ، وقد ينتج عن ذلك احمرار الوجنتين ، وتفتح العينين .

وقد ورد هذا السلوك الحركي في القرآن الكريم في سورة الذاريات في الآية التي تصف زوج ابراهيم - عليه السلام - حين بشر بسلام ، وكانت عجوزاً عقيماً ، فصكت وجهها وصاحت كما في قوله - تعالى - : ((فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَءٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ))(١).

قال القرطبي : " (صكت وجهها) ، أي ضربت يدها على وجهها على عادة النسوان عند التعجب ، وقال ابن عباس صكت وجهها لطمته ، وأصل الصك الضرب " (٢) . وهكذا تبقى هذه الحركة دلالة على التعجب ، وتكشف عن الحالة النفسية لصاحبها .

أما الصرة ، فهي الصرخة العظيمة أو الصيحة (٣) ، والتي ترافق هذه الحركة ، أو ما يطلق عليها فؤاد إسحاق الخوري بـ (الحركات المرافقة) (٤) .

٣ - حركة اليد مع الفم :

قد يضع الإنسان يده في فمه ليعبر عن استغرابه واستنكاره ، وقد توضع الأيدي على الأفواه في حالة السكوت وعدم الإجابة والكذب ، وقد لاحظ علماء النفس أن إخفاء الفم بالأصابع في أثناء التحدث يجعل المخ يعمل بصورة لا واعية على إخفاء الحقائق وادعاء الكذب ، وقد يلاحظ ذلك عند صغار السن ، فعندما يروي طفل عمره خمس سنوات أكذوبة - مثلاً - سرعان ما يضع يديه على فمه بعد خروج الأكذوبة ، وقد ينطبق ذلك على الكبار أحياناً (٥) .

ووصفاً لهذه الحالة ، فإنّ القرآن الكريم يعرض لنا هذا السلوك الحركي في قوله - تعالى - : ((أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ)) (٦) .

١ الذاريات ، آية : ٢٩ .
٢ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ١٧ / ٤٤ .
٣ انظر : الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٣١٣ . ومحمد علي الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير ، ٣ / ٣٨٢ .
٤ فؤاد إسحاق الخوري ، لغة الجسد ، ص ٧٧ .
٥ انظر : أيمن أبو الروس ، فن قراءة الوجوه وكشف خبايا النفوس ، ص ٤٧ - ٤٩ . وناتالي باكو ، لغة الحركات ، ص ٦٧ .
٦ ابراهيم ، آية : ٩ .

وقد تعددت التفسيرات حول هذه الآية فقيل : " وضعوا أيديهم على أفواههم استهزاءً وتعجباً كما يفعل من غلبه الضحك من وضع يده على فيه ، وقيل : المعنى ردّوا على الرسل قولهم وكذبوهم بأفواههم ... ، وقيل : إن الأيدي هنا النعم ؛ أي : ردّوا نعم الرسل بأفواههم ؛ أي : بالنطق والتكذيب " (١) . وعدّ الزركشي أنّ حرف الجر (في) هنا بمعنى : (إلى) (٢) .

وعن هذا التعبير يقول أبو عبيدة : " مجازه مجاز مثل ؛ أي : لم يؤمنوا ولم يجيبوا ولم يسلموا والعرب تقول للرجل إذا أمسك عن الجواب وسكت ردّ يده في فمه " (٣) . ويدعم محمد العبد هذا الرأي بقوله : " إنّ هذا السلوك الحركي المركب علامة مرئية على الإمساك عن الإجابة ، وهنا إجابة النعم بشكر " (٤) . أو كما يقول الزركشي : " لم يتلقوا النعم بشكر " (٥) . كما أنّ هذه الحركة الإشارية قد " تتردّد بين إيماءة السكوت وإبداء الغيظ " (٦) .

وكأنهم هنا لا يريدون أن يدخلوا النعمة في أفواههم ، بل يخرجوها عناداً ، وهذا كله يكشف عن طبيعة عدوانية تحمل الكذب والافتراء والشك والخداع .

٤ - حركة اليد مع الأسنان :

وتشمل هذه الحركة المركبة عنصرين هما :

أ- عض اليدين : وينشأ هذا السلوك الحركي عند " شعور الإنسان بالذنب سواءً أكان كبيراً أم صغيراً ، وأسفه على ارتكابه ، ولومه لنفسه على ما فعل ، فيكون في حالة ندم شديد ، وحسرة عظيمة على ما فات ، وما ارتكب من فعل وخيم " (٧) .

والقرآن الكريم يصف لنا هذا السلوك في العنق من قبل بعض الكفار ، وما سيحدث لهم من ندم شديد يوم القيامة ؛ لعدم إيمانهم بالله ، وتصديقهم لرسالة رسوله الكريم . فيقول - تعالى -

عن هذه الحالة : ((وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا)) (٨) .

(ويوم يعض الظالم على يديه) قال الراغب الأصفهاني : " عبارة عن الندم لما جرى به عادة الناس أن يفعلوه عند ذلك " (١) ، وقال الأندلسي : " هو مجاز عبّر به عن التحير والغمّ والندم والتفجّع ... ، وفي المثل : يأكل يديه ندماً ويسيل دمه دمًا " (٢) .

١ الشوكاني ، فتح القدير ، ١١٨/٣ - ١١٩ .
٢ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ٣٠٣/٤ .
٣ أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ٣٣٦/١ .
٤ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ٢٠٢ .
٥ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ٢١٣/٢ .
٦ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٧٩ .
٧ محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، ص ٩٦ - ٩٧ .
٨ الفرقان ، آية : ٢٧ .

ب- عض الأنامل : وهذه الحالة شبيهة بالحالة السابقة ، وتنشأ حين يكون باعث العض هو الغيظ (٣) ؛ وذلك بسبب الغضب الناتج عن توجيه السلوك العدوانى إلى الذات ، " وقد ذكر القرآن الكريم مثلاً واقعيّاً يوضح عملية نقل العدوان وتوجيهه إلى الذات بدلاً من توجيهه إلى الشخص المثير للغضب في الحقيقة ، وذلك حينما وصف القرآن الكريم المنافقين وذكر أنهم يعضون أناملهم من غيظهم من المؤمنين " (٤) ، قال - تعالى - : ((هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا يَغِيظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)) (٥) .

" وحينما يعض الإنسان أنامله من الغيظ ، فهو إنما يوجه العدوان إلى نفسه ويقوم بإيذائها - ولو بشكل رمزي - بدلاً من توجيه العدوان إلى الآخرين وإيذائهم " (٦) . وقال الزمخشري : " عض الأنامل واليدين ، والسقوط في اليد ، وأكل البنان ، وحرق الأسنان ، والأرَمَ وفروعها كنايةات عن الغيظ والحسرة لأنها من روادفها " (٧) . ومثل هذه الإشارة في هذا السياق تقوم على " المقابلة التصويرية ؛ وذلك من خلال تصوير المقابلة في المشاعر بين الباطن والظاهر ، ظاهر النفاق واصطناع التواد ، وباطن الكفر والغيظ والإنكار المتمثل في الحركة الجسدية ، فكان جوابهم إتيانهم عض الأنامل من الغيظ " (٨) . وقد يكون عض الأصابع ووضعها في الفم كما يقول آل بييز : " محاولة لا شعورية تحدث عندما يكون الشخص تحت الضغط ، وهي في المقابل ظاهرة خارجية لحاجة داخلية " (٩) .

٥ - حركة الأصابع مع الأذن :

وهذه الحركة المركبة تنشأ عندما يقوم الشخص بوضع أطراف أنامله في أذنه اضطرارياً ، وذلك في حالتين هما :

- ١ الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٣٧٧ .
- ٢ أبو حيان الأندلس ، البحر المحيط ، ٦ / ٤٤٥ .
- ٣ الغيظ : أشد الغضب ، وهو الحرارة التي يجدها الإنسان من فوران دم قلبه ، كما أنه ألم يعرض للنفس إذا هضم حق من حقوقها المادية كالمال ، أو المعنوية كالشرف ، والعرض ، والكرامة . والتغيظ هو إظهار الغيظ مع صوت مسموع ، وهو حالة انفعالية تتسم بالغضب الشديد سواء كان غضباً ظاهراً أو داخلياً يسيطر عليه صاحبه ، ومن أجاب داعياً الغيظ لا يقف عند حد الاعتدال بل يتجاوزهُ إلى اليغي والتشفي والانتقام ، فكان من الحكمة كتم الغيظ ، " ومن كتم غيظاً وهو يستطيع أن ينفذه فلم ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء " . انظر : محمد عبد المجيد عبد العال ، المفاهيم النفسية في القرآن ، ط ١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ، ص ١١٨ . والأصفهاني ، م.س ، ص ٤١٣ .
- ٤ محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، ص ٧٥ - ٧٦ .
- ٥ آل عمران ، آية : ١١٩ .
- ٦ محمد عثمان نجاتي ، م.س ، ص ٧٦ .
- ٧ الزمخشري ، الكشاف ، رتبه وصححه وضبطه محمد عبد السلام شاهين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، ٣ / ٢٦٨ .
- ٨ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٨٢ .
- ٩ آل بييز ، لغة الجسد ، ص ٥٨ - ٥٩ .

أ- حالة الفرار من الشدة وما تسببه من الخوف والإزعاج والهلاك ، والقرآن الكريم يصف لنا هذه الحالة عند حدوث الرعد أو الصواعق(١) ، وذلك في قوله -تعالى - :
((يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ))(٢).

وهذا الأمر العظيم الذي فيه من الشدة العظيمة يخيف الكافرين ؛ فيجعلون أصابعهم في آذانهم ، وتفسير الأصابع بالأنامل هنا على المجاز ، وهو ما يطلق عليه " بتسمية الجزء باسم الكل"(٣) ؛ لأنهم يدخلون أناملهم في آذانهم بغير المعتاد فراراً من شدة الصوت ، فكأنهم جعلوا الأصابع (٤) .

ب- أما الحالة الثانية ، فتكون في حالة عدم الإصغاء للآخرين ، وعدم تقبل آرائهم ودعواتهم ومنه قوله -تعالى - : **((وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا))**(٥).

" فوضع الأصابع في الأذان هو من باب منعها تماماً من الإصغاء للدعوة ، وهو معنى مؤكد بهيئة استغشاء الثياب"(٦) التي جعلوها غشاوة على أسماعهم - كما يقول الراغب الأصفهاني - " وذلك عبارة عن الامتناع من الإصغاء ، وقيل استغشوا ثيابهم عن العدو ، كقولهم : شمّر ذيلاً وألقى ثوباً "(٧) . وقال الأندلسي : " سدّوا مسامعهم حتى لا يسمعوا ما دعاهم عليه ، وتغطوا بثيابهم حتى لا ينظروا إليه كراهة ، وبغضاً من سماع النصح ، ورؤية الناصح ... ، فهم بمنزلة من سدّ سمعه ومنع بصره "(٨) . ومثل هذه الحركة الإشارية تدل " على التصامم والمبالغة في الإنكار "(٩) .

٦- حركة تقييد اليد إلى العنق :

- ١ الصواعق : يقال : " الصاعقة والصاقعة ، وهما يتقربان في المعنى ؛ أي : الهدة الكبيرة ، إلا أن الصقع يقال في الأجسام الأرضية ، والصعق في الأجسام العلوية ، وقال بعض أهل اللغة : الصاعقة على ثلاثة أوجه : الموت ، والعذاب ، والنار . وفي التنزيل العزيز : من سورة الرعد ((وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ)) ، وكذلك في سورة الزمر : ((وَتُفَخَّ فِي الصُّورِ فَصَيْقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ)) . لذا فإن الصاعقة هي الصوت الشديد من الجو ، ثم يكون منه نار فقط أو عذاب أو موت ، وهي في ذاتها شيء واحد ، وهذه الأشياء تأثيرات منها " . انظر : الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٣١٤-٣١٥ . وإبراهيم أنيس ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ص ٥٤٠ . انظر أيضاً : كوكب ديباب ، المعجم المفصل في الأصوات ، ط١ ، جروس برس ، طرابلس - لبنان ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، ص ٥٦ .
- ٢ البقرة ، آية : ١٩ .
- ٣ الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي ، ط٣ ، دار الجيل - بيروت ، د . ت ، ٢٦/٥ .
- ٤ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ٢/٢٦٢ .
- ٥ نوح ، آية : ٧ .
- ٦ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ٢٠٣ .
- ٧ الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٤٠٤ .
- ٨ أبو حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، ٨/٣٣٢ .
- ٩ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٧٩ .

وتعبّر هذه الحركة عن الإفراط أو التقدير المتمثلين بالشح أو البخل ، وقد نهى الله - عزوجل - عن ذلك كما في قوله - تعالى - : ((وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا)) (١) .

وتعليقاً على هذه الآية يقول محمد عتريس : " عندما يستمع الإنسان إلى هذا التعبير أو يقرؤه ، تبرز أمامه صورة لشخص عضده وذراعه ملتصقتان بصدرة ، ويده مربوطة إلى عنقه بقيد ، فلا تنفك من رباطها ولا تمتد لتعطي . صورة تعبّر بطريقة التجسيم عن الشح والتقدير في أكثر درجاته حدّة ، ... فالتعبير يرسم البخل يدًا مغلولة(٢) إلى العنق ، ويرسم الإسراف يدًا مبسوطةً كل البسط فلا تمسك شيئاً . ويرسم نهاية البخل ونهاية الإسراف قعدة كقعدة الملموم المحسور(٣) . وهنا استطاعت الكناية أن تنقل المعنى قوياً ومؤثراً (٤) .

٧- حركات جسدية أخرى :

أ- الركوع والسجود :

تؤدي الإيماءات والحركات والأوضاع الجسمية الأخرى في العقيدة الدينية وظائف ذات دلالة ، فالركوع والسجود ، والوقوف في الأوقات المناسبة ، والانحناء ، وتشابك الأيدي في الصلاة ، كلها تشكل رموزاً ذات دلالة يشارك الفرد من خلالها في طقوس عقيدته(٥) . ففي القرآن الكريم يكثر ذكر حركات الركوع والسجود في مواضع كثيرة ؛ للتعبير عن الخشوع والخضوع لله - عزوجل - . ومن ذلك قوله - تعالى - : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) (٦) .

وكذلك قوله - تعالى - : ((تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ)) (٧) .

وقال - تعالى - أيضاً في سورة البقرة ذاكراً للركوع دون السجود(١) : ((وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)) (٢) . وقد يذكر السجود دون الركوع كما في قوله - تعالى - : ((

١ الإسراء : آية : ٢٩ .

٢ العُلُّ : جمع أغلال ، وهو طوق من حديد أو جلد ، يوضع في عنق الأسير أو المجرم ، أو في أيديهما ، وغلاً فلاناً : وضع في يده العُلُّ ، وغُلَّت يده إلى عنقه : كناية عن أمسكها عن الإنفاق . انظر : إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٦٩٢ .

٣ محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٣٧٠ .

٤ انظر : صلاح الدين عبد التواب ، الصورة الأدبية في القرآن ، ط ١ ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٥م ، ص ٨٩ - ٩٠ .

٥ انظر : برنت روين ، الاتصال والسلوك الإنساني ، ص ٢٠٣ .

٦ الحج ، آية : ٧٧ .

٧ الفتح ، آية : ٢٩ .

فَأَلْقِي السَّحْرَةَ سَاحِدِينَ)) (٣). وأما في قوله - تعالى - : ((يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي
وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)) (٤) فقد قدّم السجود على الركوع (٥).

ومهما يكن فيبقى وضع الركوع والسجود في هذه الآيات يشير إلى الخشوع والتعبد والتواضع
والرضا ، وهذا يدل " على الخضوع المكرس لله تعالى الذي تتجم عنه دوماً الطاعة " (٦).
ب- خرُّ الأذقان (السقوط على الأرض) :

ويأتي خرُّ الأذقان في القرآن الكريم للتعبير عن الخشوع للخالق - عزوجل - ، كما في
قوله - تعالى - : ((إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا)) (٧).
وقوله تعالى أيضاً : ((وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا)) (٨) .

ومعنى (خرّ) : " سقط سقوطاً يسمع منه خريز . والخريز يقال لصوت الماء والريح وغير ذلك
مما يسقط من علو ، واستعمال الخرّ تشبيه على اجتماع أمرين : السقوط ، وحصول الصوت منهم
بالتسبيح أو البكاء خشوعاً " (٩) .

والأذقان : " جمع ذقن وهو أسفل الوجه أو مجمع اللحيين الذي في الوجه " (١٠) . ويقصد
الزركشي بـ (الأذقان) الوجوه ، ويجعلها من إطلاق اسم الجزء على الكل (١١) .

ج- ثني العطف (تثنية الجانب) :

ومثل هذه الحركة يستدل بها أيضاً على معنى الكبر والإعراض ، ومنه قوله - تعالى - : ((

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ . ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
)) (١٢) .

وعطفا الإنسان : " جانباه من لدن رأسه إلى وركه ، ويقال ثنى عطفه إذا أعرض وجفا ، نحو
قولهم : نأى بجانبه ، وطوى كشحه ، وصعّر خذّه ، وزوى طرفه ، وشمخ أنفه ، وازور جانبه

١ يذكر القرآن الكريم غالباً الركوع قبل السجود ، وهنا في آية البقرة يعبر عن الصلاة بالركوع ؛ لأنّ الركوع هو ركن من أركان
الصلاة ؛ ولأنّ صلاة اليهود لم يكن فيها ركوع ، وكأته قيل : صلّوا صلاة ذات ركوع . انظر : البيهقي ، معالم التنزيل ص ٣٠ .

٢ البقرة ، آية : ٤٣ .

٣ الشعراء ، آية : ٤٦ .

٤ آل عمران ، آية : ٤٣ .

٥ قدّم السجود على الركوع في هذه الآية لأنّ الواو - كما يقول القرطبي - " لا توجب الترتيب ، فإذا قلت قام زيد وعمرو جاز أن
يكون عمرو قام قبل زيد ، فعلى هذا يكون المعنى : واركعي واسجدي ، وقيل كان شرعهم السجود قبل الركوع (مع الراكعين) فقيل :

معناه افعلي كغفلهم وإن لم تصلي معهم ، وقيل المراد به صلاة الجماعة " . انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٨٠ / ٤ .

٦ ناتالي باكو ، لغة الحركات ، ص ١٠٢ .

٧ الإسراء ، آية : ١٠٧ .

٨ الإسراء ، آية : ١٠٩ .

٩ الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ١٦٢ .

١٠ انظر : الطبري ، جامع البيان ، ١٢٨ / ٥ . ومحمد علي الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير ، ٤٠٢ / ٢ .

١١ انظر : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ٢٦٦ / ٢ .

١٢ الحج ، آية : ٨ - ٩ .

، وكفهر حاجبه " (١) . فيمكن للإنسان أن يثني جانبه ، فيعبر بتلك الحركة عن الإعراض والنأي ، فيقال : ثنى عطفه (٢) . وقال أبو عبيدة : " جاءني فلان ثاني عطفه ؛ أي : يتبخر من التكبر " (٣) . وقال الزركشي : " (ثاني عطفه) أي : متكبراً " (٤) .

د - الإعراض ونأي الجانب :

ومن ذلك قوله - تعالى - : ((وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ جَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا)) (٥) .

" (الإعراض عن الشيء) يكون بأن يوليه عرض وجهه ، و(نأي الجانب) يكون بأن يولي عنه عطفه ويوليه ظهره ، وهو تأكيد للإعراض ؛ لأنّ شأن المعرض المستكبر أن يبعد ولا يقارب " (٦) . وقال أبو عبيدة : " (نأي بجانبه) أي : تباعد بناحيته وقربه " (٧) . وهذا من عادة المتكبرين .

هـ - ثني الصدور واستغشاء الثياب :

ويعبّر بهما عن الاستخفاء ، كما في قوله - تعالى - : ((أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)) (٨) * .

قال الفراء : " الثني هو الإخفاء " (٩) . " وأخفى ما يكون العبد إذا حنى ظهره ، واستغشى ثوبه ، وأضر في نفسه همّه " (١٠) . و(يثنون صدورهم) ؛ أي : " يطوونها على عداوة المسلمين ، ففيه حذف ، أو المعنى : يطوون ما في صدورهم من كفر وعداوة ويسترونه في محاولة منهم للاستخفاء ؛ أي إخفاء حقيقتهم عن النبي (صلى الله عليه وسلم) " (١١) .

وقال الزركشي : " (يثنون صدورهم) أي : يسرون ما في ضمائرهم " (١٢) .

١ انظر : الأصفهاني ، م. س ، ص ٣٧٨ . والهمذاني ، الألفاظ الكتابية ، ص ٧٦ .

٢ انظر : محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٤٢٦ .

٣ أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ٤٥ / ٢ .

٤ الزركشي ، م. س ، ٢١٣ / ٢ .

٥ الإسراء ، آية : ٨٣ .

٦ محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٣٨٣ .

٧ أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ٣٨٩ / ١ .

٨ هود ، آية : ٥ . * قيل : إنّ الآية نزلت في الأحنس بن شريق ، كان إذا مرّ بالنبي (صلى الله عليه وسلم) ، ثنى صدره وظهره ، وطأ رأسه ، وغطى وجهه ؛ لكي لا يراه النبي فيدعوه إلى الإسلام . وقيل : إنه كان رجلاً حلو الكلام ، حلو المنطق ، يلتقى الرسول (صلى الله عليه وسلم) بما يحب ، وينطوي له بقلبه على ما يسوء . انظر : حول هذه الآية ما جاء في تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٦ / ٩ .

٩ الفراء ، معاني القرآن ، إعداد إبراهيم الدسوقي ، وإشراف عبد الصبور شاهين ، ط ١ ، مركز الأهرام للترجمة والنشر القاهرة ،

١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م ، ص ١٦٨ .

١٠ انظر : القرطبي ، م. س ، ٦ / ٩ .

١١ م. ن .

١٢ الزركشي ، البرهان ، ٢١٣ / ٢ .

ويعلق الدكتور محمد العبد على ذلك قائلاً: " وقد أبان المنطوق اللفظي عن تعبيرية هذا السلوك الحركي ، فهو عندهم للاستخفاء من الخالق جل شأنه ، ولعلّ ثني الصدر - باعتبار ارتباطه بالعنق والرأس من جانب ، والجذع من جانب آخر - مما يعرض هيئة جسمية أو وضعاً بدنياً كاملاً ، تخفي فيه ملامح الشخص الظاهر والدالة عليه ، ولعل هذه الهيئة علامة مرئية على سرائر مخفية " (١) .

أما قوله : (يستغشون ثيابهم) أي : " يغطون رؤوسهم بثيابهم ؛ كي لا يُروا ولا يُسمعوا ، وهو استكمال لسلوكهم الذي يتبعونه في محاولة إخفاء عداوتهم للنبي وللمؤمنين ، وهم بهذا السلوك يظنون أن تخفي على الله أحوالهم فيستروا بأغطيّتهم ، ولكن جاء الرد عليهم في باقي الآية : (يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) . فالله - تعالى - يكون وراء هذه الأستار حاضرًا ناظرًا قاهرًا ، ويعلم ما تكنه صدورهم من النيات والضمائر والأسرار " (٢) .

و- ضيق الصدر وتصعده :

ويعبر بهما عن حالة الضيق المعنوي أو النفسي ، ومن ذلك قوله - تعالى - : ((فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ)) (٣) .

وتصعد الصدر في هذه الآية يدل على شدة الضيق . والضيق هو نقيض السعة قد " يدل على الفقر والبخل والغم والحزن والشر " (٤) . وقد يدل ضيق الصدر على العجز ، كما في قوله - تعالى - : ((وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ)) (٥) .

وقد يضيق الصدر وينقبض أحياناً من الكذب والاستهزاء ، كما في قوله - تعالى - : ((وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ)) (٦) .

فالآية تسلية من الله لرسوله الكريم عما كان يتعنت به المشركون فيما كانوا يقولونه عن الرسول ، فأمره الله تعالى وأرشده أن لا يضيق بذلك منهم صدره ... ، ومن ضاق صدره به تألم أو ضجر منه ، أو شقّ عليه وعجز عنه " (٧) .

١ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ٢٢٩ .
٢ انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٧/٩ - ٧ . والفراء ، معاني القرآن ، ص ١٦٨ . ومحمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٢٩٣ .
٣ الأنعام ، آية : ١٢٥ .
٤ انظر : محمد عبد المجيد عبد العال ، المفاهيم النفسية في القرآن ، ص ٩٨ .
٥ الشعراء ، آية : ١٣ .
٦ الحجر ، آية : ٩٧ - ٩٨ .
٧ محمد ، عتريس ، م.س ، ص ٢٩٦ .

ز- نبذ الشيء وراء الظهر :

ويعبر به عن الإهمال والإعراض واللامبالاة ، ومن ذلك قوله - تعالى - : ((وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَلِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)) (١) . وقوله - تعالى - أيضاً : ((وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَيَسْسَ مَا يَشْتَرُونَ)) (٢) . وقوله كذلك : ((قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)) (٣) .

(و) نبذ الشيء وراء الظهر) في هذه الآيات يعني : إهمالاً للشيء و إعراضاً عنه ، أو حاجة لكونها ملقاة وراء الظهر (٤) ، ولم يلتفت إليها . قال أبو عبيدة : " (واتخذتموه وراءكم ظهرية) مجازة : ألقيتموه خلف ظهوركم ، فلم تلتفتوا إليه . ويقال للذي لا يقضي حاجتك ولا يلتفت إليها : ظهرت بحاجتي وجعلتها ظهريّة أي خلف ظهرك " (٥) . وقال السكاكي : " فالنبذ وراء الظهر وهو : أن تلقي الشيء خلفك أمر حسّي ، ثم وقع مستعاراً للتعريض للغفلة ، وأنه أمر عقلي ، والجامع الزوال عن المشاهدة " (٦) .

وقال الشوكاني في آية آل عمران : " وقوله (وراء ظهورهم) أي خلف ظهورهم ، وهو مثل يضرب لمن يستخف بالشيء فلا يعمل به . تقول العرب : اجعل هذا خلف ظهرك ودبر أذنك وتحت قدمك ، أي : اتركه واعرض عنه " (٧) . وهذا ما ينطبق على الذين أوتوا الكتاب " من اليهود والنصارى ومن شابههم ، فنبذوا العهود والمواثيق وراء ظهورهم فلم يعيؤوا بها ، فكتموا الحق وأظهروا الباطل ، وتجروؤوا على محارم الله ، وتهاونوا بحقوقه تعالى ، وحقوق البشر ، واشتروا بذلك الكتمان ثمناً قليلاً " (٨) .

ح - الصغير و التصفيق :

- ١ البقرة ، آية : ١٠١ .
- ٢ آل عمران ، آية : ١٨٧ .
- ٣ هود ، آية : ٩٢ .
- ٤ نسمع اليوم مثل هذه العبارة التي تلائم الواقع الحالي ، وذلك حين يقال في الإذاعات أو قنوات التلفاز أو غيرها : " تلقي إسرائيل بالقوانين ، والمواثيق ، والأعراف الدولية خلف ظهرها " .
- ٥ أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ٢٩٨/١ . انظر أيضاً : الميرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ١٥/١ .
- ٦ أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ضبطه وعلق عليه نعيم زرزور ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، ص ٣٩١ .
- ٧ الشوكاني ، فتح القدير ، ١٤٩/١ .
- ٨ انظر : الطبري ، جامع البيان ، ١/١٦٠-١٦٢ .

يرتبط الصفير بالتصفيق في القرآن الكريم للتعبير عن المعارضة والمقاطعة من أجل التخليط بالآخرين ، أو الاستهزاء بهم . ويتمثلان في القرآن الكريم بما يسمّى بـ (المكاء والتصديّة) (١) ، كما في قوله - تعالى - : ((وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)) (٢) .

قال السعدي : " (مكاءً وتصديّةً) أي صفيرًا وتصفيقًا " (٣) . وقال الشنقيطي في أضواء البيان : " والمقصود عندهم بالصفير والتصفيق التخليط ، حتى لا يسمع الناس القرآن من النبي (صلى الله عليه وسلم) (٤) . فقد كان نفر من الكفار يعارضونه في الطواف ويستهزئون به وبالمؤمنين ، ويدخلون أصابعهم في أفواههم ويصفرون ويصفقون ؛ ليخلطوا بذلك على النبي صلواته (٥) .

ب- تعبيرات الوجه والعينين :

للوجه والعينين دور في الإشارة والاتصال ، فعندما يلتقي شخصان وجهًا لوجه فإن الاتصال يتم بينهما بتبادل النظرات ، ثم ابتسامة . أو قد يحدث العكس أن يعبس أحدهما في وجه الآخر أو يقطب حاجبيه ، أو يحدّق بصره ، " وهذه التعبيرات قد ينشأ عنها بعض الانفعالات الأساسية لدى الإنسان مثل : الرضا ، والبهجة ، والسرور ، والدهشة ، والحزن ، والاشمئزاز ، والخوف ، والغضب ، والنفور ... إلخ . وقد يحدث ذلك عند كل من الرجال والنساء والأولاد وحتى الحيوانات بالنسبة إلى بعضها ؛ ولكنّ تعبيرات الوجه والعينين ليست انعكاسًا للانفعالات فحسب ، بل هي انعكاس للشخصية أيضًا ، فكل شخص يتمتع بمجموعة من التعبيرات التي يستخدمها مرارًا في كل يوم " (٦) . لذا فقد حاول الناس منذ زمن بعيد الاستدلال على طبائع ومواصفات الشخصية من خلال طبيعة الملامح ، وأشكالها المختلفة للوجوه والعينين (٧) .

وبناء على ذلك سيتم تناول تعبيرات الوجه والعينين كلاً على حدة ، وما ورد منها في القرآن الكريم ، وما تشير إليه من دلائل مختلفة .

١ المكاء : هو النافخ في يده ، حيث يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما في فيه ثم يصيح ، فيخرج صفير . ويقال أيضاً : إن (المكاء) طائر أبيض صغير ، يعيش في الحجاز ويألف الرفيف ، يجمع يديه ثم يصفر فيهما صفيرًا حسنًا . أما التصديّة : كل صوت يجري مجرى الصدى في أن لا غناء فيه ، ويقال : صدّى فلان بيديه تصديّة : صفق بهما . ولهذا اتخذت التصديّة رمزاً للمعارضة ، فيقال : تصدّى لفلان : عارضه . انظر : الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، ص ٢٢٢ . وإبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٥٣٦ + ص ٩٢٠ . والأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٣١٢ + ص ٥٢٦ .

٢ الأنفال ، آية : ٣٥ .

٣ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٣٣١ .

٤ محمد أمين الشنقيطي ، أضواء البيان ، إشراف مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ، ٥٤ / ٢ .

٥ انظر : البغوي ، معالم التنزيل ، ص ٥٢٥ . وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص ٨٣٨ .

٦ انظر : ناتالي باكو ، لغة الحركات ، ص ٦٢-٦٣ .

٧ انظر : أيمن أبو الرّوس ، فن قراءة الوجوه وكشف خبايا النفوس ، ص ٧ .

أولاً : تعبيرات الوجه :

يقال : " إنَّ الأحوال الظاهرة في الوجه قوية الدلالة على الأخلاق الباطنية ، فقد يكون للخجل لون مخصوص في الوجه ، وللخوف لون آخر ، وللغضب لون ثالث ، وللفرح لون رابع ، وهذه الألوان متى حصلت في الوجه ؛ فإنه يقوي دلالاتها على الأخلاق الباطنية ، والأحوال النفسية . وقد ثبت أن دلالة الأحوال الظاهرة الموجودة في هذا العضو (الوجه) أتم من دلالة الأحوال الظاهرة الموجودة في سائر الأعضاء " (١) ؛ لما قد يحمله الوجه من ملامح مختلفة تؤدي الموقف أو الحدث بتفاصيله .

وإذا انفعَل الإنسان قد تحدث تغيرات فسيولوجية كثيرة في بدنه ، من خلال حالات متباينة تظهر في ملامح الوجه (٢) ، وتشكّل دلالات مختلفة . وقد ذكر القرآن الكريم كثيراً من أحوال الوجه المختلفة ومنها :

١ - الوجه السوء :

ومن ذلك قوله - تعالى - : ((فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ

بِهِ تَدْعُونَ)) (٣) . " والسوء كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ، ومن الأحوال النفسية والبدنية ، ونسب ذلك إلى الوجه من حيث إنه يبدو في الوجه أثر السرور والغم " (٤) . وقال الشوكاني : " (سيئَتْ وجوه الذين كفروا) أي : اسودّت وعلّتها الكآبة وغشيتها الذلّة ، يقال ساء الشيء يسوء ، فهو سيء إذا قبح " (٥) .

ومن هذه الحالة أيضاً قوله - تعالى - : ((فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا)) (٦) .

وجاء في تفسير البحر المحيط : " أنه أريد بالوجوه الحقيقة ؛ لأن آثار الأعراض النفسانية في القلب تظهر على الوجه ، ففي الفرح يظهر الإسفار والإشراق ، وفي الحزن يظهر الكلوح والغبرة " (٧) .

٢ - الوجه المنكر :

١ هيكَل نعمة الله ، الفراسة وقراءة الأفكار ، ص ٩٥ - ٩٦ . انظر أيضاً : مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٥٧ .
٢ انظر : محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، ص ٩٨ .
٣ الملك ، آية : ٢٧ .
٤ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٢٧٦ .
٥ الشوكاني ، فتح القدير ، ٣٢٨ / ٥ .
٦ الإسراء ، آية : ٧ .
٧ أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ١٠ / ٦ .

والذي يعرف من خلال كل فعل قبيح ، ومنه قوله - تعالى - : ((وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتُلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُسَّ الْمَصِيرُ)) (١).

والمنكر : " كل فعل تحكم العقول الصحيحة بقبحه ، أو تتوقف في استقباحه واستحسانه العقول ، فتحكم بقبحه الشريعة " (٢) . وقال الأندلسي : " والمنكر المساءة والتجهم والبسور والبطش الدال ذلك كله على المعتقد وخبث السريرة ؛ لأن الوجه يظهر فيه الترح والفرح اللذان محلها القلب " (٣) . (و) تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر (- كما يقول القرطبي - أي : " الغضب والعبوس " (٤) .) . وكأنما ظهر على وجوههم ما هموا به أن يفعلوه من منكر ، وما دلّ عليه قوله تعالى : (يكادون يسطون) ، والسطو هو : " البطش برفع اليد " (٥) ؛ ولهذا فقد عبّر بالوجوه عن أصحابها (٦) ؛ لما في ذلك من " دلالة الاشمزاز المقرونة بالغضب والتجهّم والبسور " (٧) .

٣- الوجوه المغبرة والمقترة :

وهذه الوجوه يظهر عليها الإرهاق والتعب والمشقة والغم ، كما في قوله - تعالى - : ((وَوَجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ . تَرَهَقَهَا قَتْرَةٌ . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ)) (٨) . والغبرة : " ما يعلق بالشيء من غبار ، وما كان على لونه من سواد . والقطرة : شبه دخان يغشى الوجه من الكذب أو الكرب أو الهول " (٩) . " وكأنما عبّر بهذه الأشياء المرئية عمّا في النفس من مشاعر الغم ، وما في القلب من فجور " (١٠) . وهذه الأشياء التي تظهر على وجوه الكافرين ، لا تظهر على وجوه المؤمنين كما يبين لنا القرآن الكريم : ((لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) (١١) . " فالقتر حالة حسية ، والذلة حالة نفسية " (١٢) .

١ الحج ، آية : ٧٢ .

٢ الأصفهاني ، م . س ، ص ٥٦١ .

٣ أبو حيان الأندلسي ، م . س ، ٦ / ٣٣٨ .

٤ انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ١٢ / ٨٩ .

٥ الأصفهاني ، م . س ، ص ٢٦١ .

٦ أبو البقاء العكبري ، التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، دار الحديث ، القاهرة ، د . ت ، ٢ / ١٤٦ .

٧ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٨٤ .

٨ عبس ، آية : ٤٠ - ٤٢ .

٩ انظر : محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٢٨١ . والأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٣٩٩ + ص ٤٣٩ .

١٠ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٨٥ .

١١ يونس ، آية : ٢٦ .

١٢ محمد عتريس ، م . س ، ص ٢٨١ .

٤- الوجوه المبيضة والوجوه المسودة :

يتخذ ابيضاض الوجوه واسودادها علامات على حالتين متضادتين ، ومصيرين متعاكسين ، كما في قوله - تعالى- : ((يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) (١) . " فابيضاض الوجوه عبارة عن المسرة ، واسودادها عبارة عن الغم . والبياض أفضل لون عند العرب ، وقد عبّر به عن الفضل والكرم حتى قيل لمن لم يتدنس بمعيب : هو أبيض اللون . أما السواد فهو أهول لون عند العرب " (٢) ، يحمل معنى الغضب والكآبة والحزن والكذب . قال - تعالى - : ((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ)) (٣) . وفي ذلك " دلالة على الغضب " (٤) .

وقال - تعالى - أيضاً : ((وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ)) (٥) . هكذا يبقى اللونان الأبيض والأسود نقيضين ، وسأخوض أكثر تفصيلاً في دلالة هذين اللونين عندما أتناول الإشارة اللونية في المبحث القادم.

وعلى غرار ابيضاض الوجوه واسودادها ، ذكر القرآن الكريم أصنافاً وحالات أخرى للوجوه تحمل علامات ودلالات على أصحابها ، وكما يقول القرآن : ((سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ)) (٦) * . ومن هذه الأصناف التي ذكرها القرآن الكريم :

أ- الوجوه الناضرة :

ومن ذلك قوله - تعالى - : ((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ . إلی رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)) (٧) . ومنه أيضا قوله - تعالى - : ((عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ . تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ)) (٨) . والوجوه الناضرة هي : " الوجوه الحسنة المضيئة " (٩) . وقال السعدي : " حسنة بهيئة ، لها رونق ونور مما هم فيه من النعيم ، وبهجة النفوس ، ولذة الأرواح " (١٠) . وفي ذلك " دلالة على الراحة والتنعّم " (١) .

١ آل عمران ، آية : ١٠٦ - ١٠٧ .

٢ الأصفهاني ، م . س ، ص ٧٨ .

٣ النحل ، آية : ٥٨ .

٤ مهدي عرار ، م . س ، ص ١٨٣ .

٥ الزمر ، آية : ٦٠ .

٦ الفتح ، آية : ٢٩ . * في الدلالة على العبادة وحسن السمات .

٧ القيامة ، آية : ٢٢ - ٢٣ .

٨ المطففين ، آية : ٢٣ - ٢٤ .

٩ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص ٧٧٩ .

١٠ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٩٨٥ .

ب- الوجوه الناعمة :

كما في قوله - تعالى - : ((**وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِسَعِيهَا رَاضِيَةٌ . فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ**)) (٢). وهذه الوجوه تحمل علامات النور والبياض التي تظهر على المؤمنين يوم القيامة بسبب السعادة والسرور لما هم فيه من الراحة والتعم " (٣) .

ج- الوجوه المسفرة الضاحكة :

وتظهر في قوله - تعالى - : ((**وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ**)) (٤) . فالإسفار هو " إشراق اللون سروراً " (٥) ؛ لذا فإن هذه الوجوه المشرقة تحمل علامات الفرح والبشارة يوم القيامة ، وفي ذلك " دلالة على البهجة والحبور " (٦) . وكل هذه الأوصاف للوجوه تختص بالمؤمنين ، أما الكافرون فوجوههم تكون عابسة كالحكة كئيبة المنظر ؛ لما يصاحب ذلك من قطوب في الوجه ، وضيق في الصدر (٧) ؛ ولهذا فقد وصفهم القرآن الكريم بأنهم يعرفون بعلاماتهم الدالة عليهم خلافاً لعلامات المؤمنين ، فقال - تعالى - عنهم : ((**يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ سِيَّمَاهُمْ فَيُوْخِذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ**)) (٨) .

د- الوجوه الباسرة :

والتي يوصف بها الكافرون ، ومن ذلك قوله - تعالى - : ((**وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ . تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ**)) (٩) . وباسرة : " كالحكة شديدة العبوس ، ومغبرة ومسودة " (١٠) . وفي ذلك " دلالة على الخوف " (١١) .

هـ - الوجوه العابسة :

- ١ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٨٣ .
- ٢ الغائبية ، آية : ٨ - ١٠ .
- ٣ محمد عنتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٥٤٣ .
- ٤ عيس ، آية : ٣٨ - ٣٩ .
- ٥ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٢٦٢ .
- ٦ مهدي عرار ، م . س ، ص ١٨٣ .
- ٧ محمد عنتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٥٤٣ .
- ٨ الرحمن ، آية : ٤١ .
- ٩ القيامة ، آية : ٢٤ - ٢٥ .
- ١٠ البغوي ، معالم التنزيل ، ط ١ ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ١٣٧٦ .
- ١١ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٨٣ .

ومنها قوله - تعالى - في سورة عبس : ((عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى)) (١) . وقوله -
تعالى - أيضاً في سورة المدثر واصفاً الكافر (الوليد بن المغيرة) : ((ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ .
ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ)) (٢) .

فالعبوس : هو " قطوب الوجه من ضيق الصدر " (٣) . ويقال أيضاً : " إنَّ العبوس نوع من
أنواع الفرار النفسي من الشيء بعكس الألفة والانشراح له " (٤) .
وقال البغوي : " (ثم عبس وبسر) ؛ أي كبح وقطب وجهه ، ونظر بكرهية شديدة كالمهتم المتفكر
في شيء " (٥) . وفي ذلك " دلالة على الغضب " (٦) . وعبوس الوليد بن المغيرة في وجه
المؤمنين هو عبوس مقصود ، فيه كراهية وحقد وإدبار واستكبار على الدين ؛ أما عبوس النبي -
صلى الله عليه وسلم - في وجه الأعمى (٧) فهو غير مقصود ، ليس فيه من الحقد أو الكراهية ؛ بل
ليخدم أغراض الدعوة .

و- الوجوه الخاشعة الذليلة :

ونظير في قوله - تعالى - : ((وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ . عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ . تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً)) (٨).
وهذه الوجوه الذليلة للكافرين تكون " ذات نصب وتعجب ، حيث تؤخذ بالسلاسل والأغلال " (٩).

ز- الوجوه العمياء والبكماء والصمّاء :

كما في قوله - تعالى - : ((وَتَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا)) (١٠)
" فعمياً : لافتقاد البصر والبصيرة " (١١) ، " وبكماً : لا ينطقون بحجة ، وصمّاً : لا يسمعون
شيئاً يسرهم " (١٢) . هكذا عبّر القرآن الكريم بالوجوه عن أصحابها ؛ لكونهم لا يصغون إلى
الحق ولا يقبلونه ، وكانوا يجحدون عن آيات الله ، فهم كالأعمى والأبكم والأصم (١٣) .

١ عبس ، آية : ١ - ٢ .
٢ المدثر ، آية : ٢١ - ٢٣ .
٣ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٣٥٨ .
٤ فاضل السامرائي ، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، ص ١٩٧ .
٥ البغوي ، م . س ، ص ١٣٦٢ .
٦ مهدي عرار ، م . س ، ص ١٨٣ .
٧ الأعمى : هو عبدالله بن أم مكتوم ، الذي جاء إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليهتدي ، فأعرض عنه الرسول ، وعبس في وجهه ،
وتولى نحو قوم من أشرف قريش ؛ أملاً في أن يسلموا ، ويكونوا عزاً لدين الله .
٨ العاشية ، آية : ٢ - ٣ .
٩ جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص ٨٠٤ .
١٠ الإسراء ، آية : ٩٧ .
١١ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٣٨٩ .
١٢ البغوي ، معالم التنزيل ، ص ٧٦٠ .
١٣ الأبكم : هو الذي يولد أخرس ، فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم ، ويقال : بكّم عن الكلام ، إذا ضعف عنه لضعف عقله فصار
كالأبكم . أما الأصم : فهو الذي يفقد حاسة السمع ، وبه يوصف من لا يصغي على الحق ولا يقبله ، ويقال : صمّت أذنه ؛ أي :
صنّت . انظر : الأصفهاني ، م . س ، ص ٦٩ + ص ٣٢٠ . و إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٥٤٩ . ومحمد عبد المجيد عبد

ح- الكبُّ على الوجوه :

ذكر القرآن الكريم هذا التعبير في الدلالة على " الضلالة و التخبط " (١) ، كما في قوله تعالى - : ((أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ)) (٢).

v ملاحظة :

ذكر القرآن الكريم تعبيراً آخر عن الوجوه ، وهو (الاستقبال بالوجوه) ، الذي يرتبط بالعبادة والطاعة لله تعالى ، والإقبال بقصد النية والاستقامة . والاتجاه بالوجه " يكون استجابة عامّة عند الفرد ويستدل عليه من خلال السلوك الملاحظ أو الاستجابات اللفظية التي يمكن توجيهها نحو الموضوعات والمواقف المتعلقة بالاتجاه " (٣). وكثيراً ما يعبر القرآن الكريم عن الاتجاه أو التوجه بالوجه (٤) كما في قوله - تعالى - : ((إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)) (٥). وقوله أيضاً : ((فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا)) (٦). وكذلك قوله - تعالى - : ((فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ)) (٧). وقوله - تعالى - أيضاً : ((وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ)) (٨).

فذكر الوجه في هذه الآيات يشير إلى التوجه المرتبط بالاستقامة القائمة على نهج الفطرة البشرية ، كما أنّ هذا التوجه والاستقبال للكعبة في كل صلاة هداية للمسلمين إلى شعائر دينهم (٩).

ثانياً : تعبيرات العينين :

اهتم الإنسان بعلاقة العين ونظراتها بالسلوك والتصرف منذ زمن بعيد ، ف قيل : " هذه عين حاسدة ، وهذه عين فاحصة ، وهذه نظرات غير مهذبة ، وهذه نظرات وديعة . ويقال : له عينان مخادعتان ، وأصابني بالعين الشريرة ... الخ " (١٠) .

العال ، المفاهيم النفسية في القرآن ، ص ٣٦ + ص ٩٦ .
١ مهدي عرار، البيان بلا لسان ، ص ١٨٣ .
٢ الملك : آية : ٢٢ .
٣ محمد عبد المجيد عبد العال ، المفاهيم النفسية في القرآن ، ص ١٤٨ .
٤ يقال : واجهت فلاناً ؛ أي جعلت وجهي تلقاء وجهه ، ويقال للقصد وجه : وللمقصد جهة ووجهة ، وهي حيثما نتوجه للشيء ، ووجهت الشيء : أرسلته في جهة واحدة فتوجهه ؛ ولهذا فإن ذكر الوجه للتوجه على سبيل المذهب أو الطريق . انظر : الأصفهاني ، م.س ، ص ٥٨٥ .
٥ الأنعام ، آية : ٧٩ .
٦ الروم ، آية : ٣٠ .
٧ البقرة ، آية : ١٤٤ .
٨ الأعراف ، آية : ٢٩ .
٩ انظر : محمد عادل القليقي ، نظرات جديدة في القرآن المعجز ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص ٥٤ - ٥٦ .
١٠ انظر : أيمن أبو الروس ، فن قراءة الوجوه وكشف خبايا النفوس ، ص ٦٧ . ألن بيز ، لفة الجسد ، ص ٩٤ .

وهناك النظرات الحاقدة ، والنظرات الفلقة المضطربة ، والنظرات المستسلمة ، والنظرات الساخرة ، والنظرات السارحة ، وقد سمى القرآن الكريم بعض النظرات (خائنة الأعين) (١)، أو ما يسمى " بالعين الهامزة الغامزة " (٢) ، قال - تعالى - : ((يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)) (٣) .

" إن العين تنطق بما يفكر به الإنسان في كثير من الأحيان ، وهناك لغة خاصة بالعيون تعتمد أساساً على درجة اتساع العين والمجال الذي تدور فيه من خلال تعاملات الناس مع بعضهم بعضاً ، ففي أثناء الحديث بين شخصين أو أكثر قد تأخذ العيون أشكالاً متعددة ، فقد (تكون العين في العين) (٤) ، وقد تنظر العين في اتجاه آخر ، أو قد يجمع بين الأمرين ، وقد يغلق الشخص عينيه ، وهكذا ... " (٥) .

ويعتبر علماء اللغة والسلوك أن " حركة العين ، وسعتها ، واتجاه النظر ، واتحاد الأجزاء معها ، كلها تتعاون لتؤدي معاني ودلائل شتى .. فهناك النظرة الجانبية المختلطة التي تؤدي معنى السر ، والنظرة مع انسداد نصف الجفون تدل على العشق واليهام ، والنظرة المحدقة في الغموض علامة الملل واللامبالاة والخوف من التورط والرغبة في الهرب ؛ والنظرة المباشرة تؤدي معنى الصراحة المباشرة وحسن الحال والاستمتاع بالحياة ؛ ويحمل اتجاه النظرة إلى أعلى وأسفل ويمين ويسار معاني مختلفة " (٦) .

لقد اتسعت لغة العيون ، واتسعت تعبيراتها ؛ لتشمل أغراضاً شتى من انفعالات وعواطف وخطاب ، فكل شيء صار يُقرأ في العينين فهو " إما حنون ، أو دنف ، أو غاضب ، أو معجب ، أو وقح ، أو مهدد ، أو متواطئ ، أو محتقر ، أو شرس ، أو مخادع ، أو مذهول ، أو مذعور ، أو هارب ، أو كذاب ، أو خبيث... إلخ (٧) . كما أصبح حديث العداوة والبغضاء والكراهية ، والمنهي عنه - خاصة في المجالس والمنديات - من أهمية كلام العيون ، ومواقعها التعبيرية التي باتت معلماً يلجأ إليها المتكلمون ، ويفهمها الناظرون (٨) .

١ قيل : " إن خيانتها مسارقة النظر إلى ما لا يحلُّ النظر إليه ، وقيل هو الرمز بالعين " . انظر : الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م ، ٣٣٥/٨ .
٢ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٧٤ .
٣ غافر ، آية : ١٩ .
٤ أي : عندما تتحدث لشخص ما ، يكون مجال رؤيته محدداً تجاهك .
٥ أيمن أبو الروس ، فن قراءة الوجوه وكشف خبايا النفوس ، ص ٦٧ - ٦٨ .
٦ انظر : ناتالي باكو ، لغة الحركات ، ص ٦٥ - ٦٦ . ومحمد كشاش ، لغة الإشارة من البدائية والتلقائية إلى لغة عالمية ، مجلة الفكر العربي ، ع ٩٥ ، السنة العشرون ، شتاء ١٩٩٩ م ، ص ١٦ .
٧ ناتالي باكو ، م.س ، ص ٦٣ .
٨ محمد كشاش ، م.س ، ص ١٦ .

لم يكن هذا فحسب ، فالقرآن الكريم يزخر بمثل هذا السلوك البصري ، ويعرض لتعبيرات العين في حالات متنوعة منها :

١- ما يعبر عن العفة بنوع النظرة أو طبقاتها(١) ، ومن ذلك :

أ- غَضَّ البصر : كما في قوله - تعالى - : ((قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ))(٢) .

وغض البصر هو : " كف النظر على ما يحرم النظر إليه ، والغض هو إطباق الجفن على الجفن بحيث يمنع الرؤية " (٣) . وعليه فإن الإغضاء سلوك بصري مستحسن كما يقول محمد العبد(٤) .

ب- قصر الطرف : كما في قوله - تعالى - : ((وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ))(٥) . وقوله - تعالى - أيضا : ((فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ))(٦) .

والطرف هو : " تحريك الجفن ، ويعبر عنه بالنظر إذا كان تحريك الجفن قد لازمه النظر"(٧) ، وقصر الطرف هو : " غضه أو حبسه عن النظر ، وقاصرات الطرف هن نساء قصرن أعينهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ، ولا يمددن طرفاً إلى غيرهم حياءً وعفة"(٨) . ويحسن من المرأة قصر الطرف إذا كانت لا تمد طرفها إلى ما لا يجوز(٩) . وإذا كان العرب يصفون الطرف بالمرض ؛ فإن قصر الطرف كغض البصر " يعد حالة سلوكية من موجبات الحسن في حق النساء "(١٠) العفيفات اللواتي لا ينظرن إلى غير أزواجهن .

٢- ما يعبر عن سلوك بصري مستقبح ، مثل الإشارة بالجفن والحاجب ؛ لما فيه عيب ، وهو ما يسمى بالغمز(١١) . كما في قوله - تعالى - : ((إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

١ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٨٧ .

٢ النور ، آية : ٣٠ - ٣١ .

٣ محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٤٤٣ .

٤ محمد العبد ، م.س ، ص ١٨٧ .

٥ الصافات ، آية : ٤٨ .

٦ الرحمن ، آية : ٥٦ .

٧ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٣٣٩ .

٨ محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٤٩٥ .

٩ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٨٧ .

١٠ هيكل نعمة الله ، الفراسة وقراءة الأفكار ، ص ١٠١ .

١١ انظر : الأصفهاني ، م.س ، ص ٤٠٩ . وإبراهيم أنيس ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ص ٦٩٤ .

يُضْحَكُونَ . وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ)) (١) . جاء في تفسير القرطبي : " (يتغامزون
 ؛ أي يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم ، وقيل الغمز بمعنى العيب " (٢) . وقال البغوي : "
 يشيرون إليهم بالعين استهزاءً " (٣) .

إن هذا السلوك البصري المستقبح من الغمز ، والذي يتم بواسطة العين استهزاءً أو استهجاناً
 أو سخرية ، يختلف - كما يقول فؤاد إسحاق الخوري - عن " الغمز الذي يهدف إلى الغزل الذي
 يترافق مع انفتاح في أسارير الوجه ، وابتسامة الفم ، واتساع بؤبؤ العين . وهو أيضاً ، بخلاف
 الغمز الذي يدل على سرية التعامل مع الأصدقاء ، وبترافق مع انحسار الوجه وتقطيب الحاجبين
 ، وتضييق بؤبؤ العين " (٤) .

٣- ما يدل من خلال حركة العين ، ومقدار انفتاحها ، واتجاه نظرها على حالات نفسية
 متفاوتة (٥) . وكلها تتمثل بأنواع النظر ، ومنها :
 أ- ما يعبر عن درجات مختلفة من الخوف ، مثل :
 ١- النظر الخفي : ومنه قوله - تعالى - : ((وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ
 مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ)) (٦) .

والنظر الخفي هو النظر المستتر الضعيف الذي يكون فيه استراق للنظر (٧) . أو كما يقول
 أبو عبيدة : " نظر لا تفتح معه العين ، وإنما ينظر ببعضها " (٨) .
 و(ينظرون من طرف خفي) ، قال بعضهم : " يخفونه من الذل الذي بهم ، وقال بعضهم :
 نظروا إلى النار بقلوبهم ولم يروها بأعينهم لأنهم يحشرون عمياً " (٩) .

ويسمى (ناتالي باكو) هذا النوع من النظر "ب- النظرة الجانبية المختلطة) ، المعروفة بعين
 الحمامة ، نظرة من يود الرؤية دون أن يرى " (١٠) . وقد تسمى " بالعين الضيقة الكلية

١ المطففين ، آية : ٢٩ - ٣٠ .

٢ انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ٢٢٩ / ١٩ .

٣ البغوي ، معالم التنزيل ، ص ١٣٩٢ .

٤ فؤاد إسحاق الخوري ، لغة الجسد ، ص ١٠ - ١١ .

٥ انظر : محمد العبد ، م.س ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

٦ الشورى ، آية : ٤٥ .

٧ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص ٦٤٥ .

٨ أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ٢ / ٢٠١ .

٩ الفراء ، معاني القرآن ، ص ٣٢١ .

١٠ ناتالي باكو ، لغة الحركات ، ص ٦٥ .

"(١) ، وهي " نظرة الخائف الذليل والمرتاب الظنين الذي لا ينظر إلا مستترقاً ، ولا يغضُّ إلا مشفقاً "(٢).

ولهذا فقد نشاهد أحياناً بعض المذنبين وأصحاب الجرائم المخزية حين يمثلون أمام القاضي في المحكمة ، وهم في قفص الاتهام ، قد ينظرون خفية بأعينهم ؛ بسبب خيبتهم وخزيهم ، فكأنهم يودّون أن يتواروا عن الأنظار فيسترقوا النظر بأعينهم .
ولعلّ النظر الخفي كما يقول محمد العبد : " يعبر عن المذلة والإحساس بالخيبة والخسران ، كما أنه يدل على استسلام لا مفرّ منه " (٣) .

٢- النظر الخاشع (الخاضع) : ومنه قوله - تعالى - : ((خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ))(٤) . وفي موضع آخر من القرآن الكريم نجد قوله - تعالى - : ((خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذُلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ)) (٥).

فالنظر الخاشع " يطلق على من يرمي ببصره نحو الأرض "(٦) . " والخشوع : الضراعة ، وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح ، والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ؛ ولذلك قيل إذا ضرع القلب خشعت الجوارح "(٧) . والخشوع في هاتين الآيتين هو خشوع الذلّة لا ضراعة الإيمان "(٨) . الذي يكون فيه خضوع وإذعان ، أو ما يسمّى بـ (الخضوع الهلع) (٩) ، الذي يؤدي إلى الجبن والجزع ، ويتحدّد بالشّدّة والعجز والاضطراب (١٠) .

٣- النظر الشاخص : ومن ذلك قوله - تعالى - : ((وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا)) (١١) . والنظر الشاخص هو " الذي يكون فيه اتساع لحدقة العين ، وعدم غمضها لشدة الفزع من هول ما ترى "(١٢) . ويقال : " شخص فلان بصره ؛ أي فتح عينيه ولم

١ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٧٦ .

٢ م . ن .

٣ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٨٨ .

٤ المعارج ، آية : ٤٤ .

٥ القلم ، آية : ٤٣ .

٦ محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٥٧٦ .

٧ الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ١٦٧ .

٨ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٨٨ .

٩ ناتالي باكو ، لغة الحركات ، ص ١٠٣ .

١٠ محمد عبد المجيد عبد العال ، المفاهيم النفسية في القرآن ، ص ١٤٥ .

١١ الأنبياء ، آية : ٩٧ .

١٢ محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، ص ١٠٣ .

يطرف بهما متأملاً أو منزعاً " (١) . (فشاخصة أبصارهم) ؛ أي : " أجنانهم لا تطرف " (٢) .

وتتضح الصورة في قوله - تعالى - : ((إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ . مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ)) (٣) .

فقوله : (تشخص فيه الأبصار) و (لا يرتد إليهم طرفهم) ، وصف دقيق لشدة تحديق العينين ، حيث لا تكاد تطرف من شدة الخوف في ذلك اليوم . " فأهل المحشر لا تطرف أجنانهم من هول ما يرونه يوم القيامة ، وتظل أبصارهم مفتوحة مذهولة من الفزع والهلع " (٤) ، " كأنما نزع هول يوم العرض عنها حركاتها المعهودة " (٥) .

٤- النظر الزائغ : النظر الزائغ هو " الذي يخرج عن مستوى النظر ، فيذهب يميناً أو يساراً " (٦) . ومن ذلك قوله - تعالى - : ((إِذْ جَاءَهُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا)) (٧) . وقوله تعالى أيضاً : ((أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ)) (٨) .

قال الفراء : " (إذ زاغت الأبصار) أي زاغت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها " (٩) " وكأنما الزيغ حركة تخرج عن حد الاستقامة الذي يكون في المواقف العادية لنظر العين ، وهو تعبير عن شدة الخوف أيضاً " (١٠) . وقال الراغب الأصفهاني : " يصح أن يكون إشارة ما بداخلهم من الخوف حتى أظلمت أبصارهم " (١١) .

٥ - النظر الدائر الوجل : كما في قوله (تعالى) في وصف المنافقين : ((فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ)) (١٢) .

١ انظر : إبراهيم أنيس ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ص ٥٠٠ .
٢ الراغب الأصفهاني ، م.س ، ص ٢٨٨ .
٣ إبراهيم ، آية : ٤٢ - ٤٣ .
٤ محمد عتريس ، م.س ، ص ٣٤٤ .
٥ محمد العبد ، م.س ، ص ١٨٩ .
٦ ناتالي بلكو ، م.س ، ص ٦٦ .
٧ الأحزاب ، آية : ١٠ .
٨ ص ، آية : ٦٣ .
٩ الفراء ، معاني القرآن ، ص ٢٨٨ .
١٠ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٨٩ .
١١ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٢٤٤ .
١٢ الأحزاب ، آية : ١٩ .

والنظر الدائر (١) هو : " النظر يميناً وشمالاً وفي كل جهة وبكل حدة ؛ لشدة خوفهم من أن يأتئهم القتل من كل جهة ، وهذا يصور جنبهم " (٢) .

إنّ دوران النظر في هذا التعبير القرآني هو " دوران غشيان ، مصدره الخوف ، لا دوران إحاطة مدركة واعية بالمكان والأشياء ، وهذا ما أفاده السياق اللغوي بالتشبيه ، للإبانة وكشف الهيئة " (٣) . لأنّ " سياق الآية الشريف يدور في مضمار خوفهم من القتال وانصرافهم عنه " (٤) .

٦- النظر المغشي : كما في قوله تعالى : " ((رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ)) (٥) .

فالمغشي هو من " الغاشية والغشاء والغشاوة : بمعنى الغطاء . ويقال الغاشية والغشاوة ؛ لغطاء خاص ، وهو جلدة تغشي القلب ، فإذا انخلع منها القلب مات صاحبه " (٦) .

وقال القرطبي : " (ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت) ؛ أي نظر مغموصين مغتاضين بتحديد وتحديق ، كمن يشخص بصره عند الموت ؛ وذلك لجنبهم عن القتال جزعاً وهلعاً وخوفاً " (٧) .

٧- النظر المتقلب (تقلب البصر) : ويتمثل في قوله تعالى : " ((يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)) (٨) .

والتقلب هو " التحول إلى حالة غير طبيعية ، فيكون الزرّق بعد الكحل ، والعمى بعد البصيرة ويكون تقلب الأبصار النظر بها إلى نواحي الأهوال " (٩) ؛ وذلك لشدة الهول والفرع في ذلك اليوم ، وإزعاجاً للقلوب والأبدان " (١٠) ؛ فينتج الخوف الذي يصاحبه خفقان واضطراب ورجف .

١ تذهب بعض الدراسات الحديثة إلى أنّ النظر الدائر فيه إحاطة مدركة ، واعية بالمكان والأشياء ، وتكشف عن روح نشطة وبقظة وفضولية بالنسبة إلى كل شيء . انظر ، ناتالي باكو ، لغة الحركات ، ص ٦٦ .
٢ محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٤٧٦ .
٣ محمد العبد ، م . س ، ص ١٨٩ .
٤ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٧٤ .
٥ محمد ، آية : ٢٠ .
٦ انظر : الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٤٠٣ . ومحمد عتريس ، م . س ، ص ٤٧٦ .
٧ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ٢٢٢ / ١٦ .
٨ النور ، آية : ٣٧ .
٩ محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٤٥٠ .
١٠ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٦١٥ .

٨- النظر البارِق (برق البصر) : ويظهر في قوله تعالى : ((فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ . وَخَسَفَ الْقَمَرُ . وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ))(١) .

حيث يلمع البصر ويشخص ، فتفتح العينان ولا تطرف ؛ لأن البصر فزع وبهت وتحير ؛ وذلك من شدة الهول العظيم(٢) . وعن هذا الموقف العظيم الذي يحدث فيه برق للبصر ، يقول محمد عادل القليلي : " تعرض الآية لوحة سريعة مفزعة لما يحدث للكافر يوم القيامة ، فبصره يبرق وينبهر حين يفاجأ باختلال الظواهر الكونية من شمس وقمر ، إنه يصاب بفزع شديد "(٣) .

ب- ما يعبر عن شدة الكراهية والسخط ، مثل :

١- النظر المزلق : ويعبر عن شدة الكراهية(٤) ، كما في قوله (تعالى) : ((وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ))(٥) .

قال الأصفهاني : " المزلق المكان الدحض ... ويقال : زلقه وأزلقه فزلق ، .. ولم يسمع الزلق والإزلاق إلا في القرآن الكريم "(٦) . ونظرة الكفار الداحضة هذه تشبه ما يسمّى بالنظرة الحاسدة الشريرة ؛ لما في قلوبهم من كراهية للرسول (صلى الله عليه وسلم) . وأطلق عليها أيضاً " العين الكارهة الساخطة : التي تؤذّن عن العداوة والبغض والإنكار لما يسمعونه "(٧) . وكأنهم يريدون أن يصرعوا الرسول عليه السلام بحدة نظرهم(٨) .

٢- النظر المسدود : ويعبر عن الرفض والعناد ، ويتمثل في قوله - تعالى - : ((وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ . لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ))(٩) .

ف(سكّرت أبصارنا) : " سدّت ومنعت من الإبصار ، وفيها مبالغة تتناسب هؤلاء المشركين الذين بلغ من غلوهم في العناد أن لو فُتح لهم باب من أبواب السماء ؛ وصعدوا إلى ملكوت السماوات ، ورأوا ما فيها من الملائكة العجاب ؛ لقالوا - لفرط عنادهم وجحودهم - إنما سكّرت

١ القيامة ، آية : ٧-٩ .
٢ انظر : الشوكاني ، فتح القدير ، ٤١٨/٥ .
٣ محمد عادل القليلي ، نظرات جديدة في القرآن المعجز ، ص ١٨٦ .
٤ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٨٩ .
٥ القلم ، آية : ٥١ .
٦ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٢٤٠ .
٧ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٧٣ .
٨ قد عزّج الطبرسي على ذلك قائلا : " فهذا مستعملٌ في الكلام ، يقولون : نظر إليّ فلان نظرةً يكاد يصرعني ، ونظراً يكاد يأكلني فيه وتأويله كله نظر إليّ نظراً لو أمكنه معه أن يأكلني أو يصرعني لفعل " . انظر : مهدي عرار ، م.س ، ص ١٧٣-١٧٤ . وما ذكره الطبرسي ، مجمع البيان ، ٧٨/١٠ .
٩ الحجر ، آية : ١٤-١٥ .

أبصارنا وحبست من الإبصار ، وما نرى إلا تخيلاً لا حقيقة له ، وقد سحرنا محمد " (١) . وهذا يدل - كما يقول فاضل السامراني - " على الامتناع والرفض ؛ لأن هؤلاء الكفار يرفضون الهداية ولو جنتهم بكل أسبابها " (٢) .

ج- ما يعبر عن درجات مختلفة من الحزن ، أو ما يمكن أن نسميه بالنظرة الحزينة التي تكون من خلال علامات تظهر في العين ، مثل :

١- الدموع : فقد تفيض العيون بالدموع (٣) كما في قوله - تعالى - : ((تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ)) (٤) ، وكذلك قوله - تعالى - : ((وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)) (٥) .

وتفيض العيون بالدمع " كي تطلق شحنة حبيسة من التأثر العميق العنيف ، وهي حالة معروفة في النفس البشرية حين يبلغ بها التأثر درجة أعلى من أن يفى بها القول " (٦) . وقال الشوكاني : " (وأعينهم تفيض من الدمع) أي تمتلئ فتفيض ؛ لأنّ الفيض لا يكون إلا بعد الامتلاء . جعل الأعين تفيض والفائض هو الدمع قصداً للمبالغة " (٧) ، أي "على سبيل المبالغة في البكاء ، وهذا وصف برقة القلوب والتأثر بسماع القرآن الكريم كما في الآية الثانية ، فأعينهم تفيض مملوءة من الدمع مما عرفوا من الحق " (٨) .

٢- البكاء : ومن ذلك قوله - تعالى - في سورة الإسراء : ((وَيَخْرُونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا)) (٩) . وقال - تعالى - في سورة يوسف : ((وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ)) (١٠) .

١ محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٣٤٩ . انظر أيضاً : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٩/١٠ .
٢ فاضل السامراني ، التعبير القرآني ، ط٤ ، دار عمّار ، عمان - الأردن ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ، ص ٣٠٥ .
٣ بيّنت البحوث والدراسات الحديثة في موضوع الدموع ، أن الدموع تحتوي على مادة طبيعية تقضي على الألم تدعى (إنكافالين) ، وهذه المادة الكيميائية تساعدك على الشعور أنك أفضل حالاً بمكافحة الحزن والألم ، ويوسع البكاء مضاعفة (الإنكافالين) التي تنتجها ، وتحريك من العواطف المكبوتة أو الحبيسة . كما اكتشف أيضاً أن الدموع لها دلالات صحية للجسم ، حيث تخرج الفضلات الكيميائية السامة . انظر : آلن بيز ، لغة الجسد ، ص ١٧٩ .
٤ التوبة ، آية : ٩٢ .
٥ المائدة ، آية : ٨٣ .
٦ محمد عتريس ، م . س ، ص ١٨٣ .
٧ الشوكاني ، فتح القدير ، ٨٥ / ٢ .
٨ أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ٧ / ٤ .
٩ الإسراء ، آية : ١٠٩ .
١٠ يوسف ، آية : ١٦ .

فالبكاء : هو سيلان الدمع عن حزن ووعيل(١) ، ويقال : " إنَّ البكاء يريح ويهدئ ، ويمكن أن يكون ممتعًا جدًا " (٢) .

والبكاء في آية سورة الإسراء هو بكاء خشوع وخضوع وتواضع ، فيه تصديق وإيمان ، كما كان يفعل الرسول - **صلى الله عليه وسلم** - في الصلاة ، فكان لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء (٣) . أمَّا البكاء في آية سورة يوسف مع أنه يحمل في ظاهره الأسف والجزع والحزن على يوسف من قبل إخوته ، إلا أنه يحمل في باطنه بكاء نفاق وخداع ، وما يذرفونه ما هو إلا دموع التماسيح(٤) .

٣- بياض العين : كما في قوله - تعالى - : ((**وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**))(٥) .

وهنا يبذل سواد العين بياضًا من كثرة البكاء ، وقد يؤدي ذلك إلى العمى بسبب الحزن .
(و ابيضت عيناه من الحزن) ، فهو : " يعقوب عليه السلام الذي ابيضت عيناه من البكاء ، وقيل لم يبصر بهما ست سنين ، وأنه عمي . وقد تبيض العين ويبقى شيء من الرؤية ، ولكن سبب البكاء الحزن ، فلماذا قال : من الحزن ! " (٦) .

٤- قرور العين : ومن ذلك قوله - تعالى - : ((**فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ**))(٧) .

وفي موضع آخر أيضًا ، قوله - تعالى - : ((**فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ**))(٨) .

ولا بدّ من وقفة هنا عند هذا التعبير (قرور العين) الذي لا يدركه كثير من الدارسين والباحثين ، ويغالطون في معناه ، فيعتقدون أنّ العين القريرة تطلق في لحظة الحزن المجرد فقط . ولكن ما يتوجب إدراكه هنا أنّ (قرور العين) قد يكون في لحظات السرور والفرح والاطمئنان ، و(قرور العين) يعني : برودها وانقطاع بكائها ، ومن سرّ ورضي فهو قرير العين ، فللسرور دمعة باردة ، وللحزن دمعة حارة ؛ لأن الدمع البارد لا يخرج إلا من الفرح(٩) . ومن معاني

١ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٦٩ .

٢ ألن بيز ، لغة الجسد ، ص ١٧٩ .

٣ انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ٣٠٦ / ١٠ - ٣٠٧ .

٤ **دموع التماسيح** : كناية عن النفاق والخداع ؛ لأن التماسيح يدمع إذا همّ بفرسته . انظر : إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٩٠٥ .

٥ يوسف ، آية : ٨٤ .

٦ القرطبي ، م . س . ٢١٦ / ٩ .

٧ طه ، آية : ٤٠ .

٨ القصص ، آية : ١٣ .

٩ انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (قرر) . وإبراهيم أنيس ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ص ٧٥٩ .

الفعل (قرّ) : " سكن واطمأنّ . فالعين إذا رأت ما كانت متشوّقة إليه سكنت إليه ولم تنظر إلى غيره . ويقال : قرّ بهذا الأمر عينا ؛ أي سرّ به (١) .

وخير مثال على ذلك ، ما يحصل في واقعنا للعروس في يوم الزفاف ، في لحظة خروجها من بيت والدها إلى بيت الزوجية ، حيث توكبها دموع باردة (قريّة) تظرفها عيناها في لحظات الفرح ، ثم سرعان ما تسكن وتطمئن .

وقوله - تعالى - : (كي تقرّ عيناها) ؛ أي " تسرّ برجوعك إليها بعد أن قذفتك في السيم " (٢) . و(قرور العين) الذي يؤدي معنى السرور والاطمئنان قد أكد في الآيتين الكريميتين السابقتين بعبارة (لا تحزن) . وما يبرر ذلك أيضا ، قوله - تعالى - في سورة مريم : ((فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا)) (٣) . فاجتماع الأكل والشرب مع قرور العين هو سرور واطمئنان بحد ذاته .

٤ - هناك أيضا ما يدل من خلال النظرة وحركاتها على المعاينة ، التي بدورها تؤدي ثلاث وظائف هي :

أ- نظرة المعاينة من أجل الرؤية والمشاهدة والحضور : ويعبر عنها بالعين كما في قوله - تعالى - : ((وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا)) (٤) .

وقوله - تعالى - أيضا : ((وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)) (٥) ؛ " أي تكون مكنوفاً برأفتي بك ، وكلاعتي لك ؛ كما أنّ من يشاهده الناظر له ، والكافل به ، أدنى إلى صلاح أموره ، وانتظام أحواله ، ممن يبعد عن يديه ، ويلي أمره " (٦) . فهنا يكون الشيء تحت مرأى العين الحاضرة الشاهدة ، وكأنه محروس بالعين لما له من شأن ؛ ولهذا عبّر عن الرؤية بالأعين لأنّ الرؤية تكون بها (٧) . ومثل هذه اللغة أكثرها جارٍ على المجاز .

ب- نظرة المعاينة التأملية : التي تهدف إلى الفحص والمراقبة والتدقيق ، أكثر من الاستغراق في التفكير . ومن ذلك قوله - تعالى - : ((فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ . ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ)) (٨) .

١ محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٤١٤ .

٢ م . ن .

٣ مريم ، آية : ٢٦ .

٤ هود ، آية : ٣٧ .

٥ طه ، آية : ٣٩ .

٦ ابن جني ، الخصائص ، ٢٤٩ / ٣ .

٧ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٨ / ٩ .

٨ الملك ، آية : ٣ - ٤ .

وهذه الآية تطالب الإنسان العاقل المفكر أن ينظر في الكون ثلاث نظرات تأملية (١) " منعماً النظر في أرجائه ، باحثاً عن عيوب ، عن تفاوت ، عن شذوذ . إنه إذا قام بهذه النظرات ؛ فإنّ بصره سيكلّ من طول قيامه بالبحث والتقيب ، ثمّ لا يجد أدنى عيب أو خلل في هذا الكون ، بل يجد فيه النظام والتدبير والانسجام والتناسق ؛ لأنّ يد القدرة الإلهية المسيطرة على كلّ شيء تحفظه من كلّ عيب (٢) .

ج- نظرة المعاينة الإيهامية : التي تهدف إلى التمويه بتفكر وتدبر لتحقيق غرض ما . كما في قوله - تعالى - عن سيدنا إبراهيم عليه السلام في مواجهة الكفار : ((فَتَنْظَرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ . فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ . فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ)) (٣) .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات : " يعني أنه نظر إلى السماء متفكراً فيما يلهيهم به ، والعرب تقول لمن تفكرّ نظر في النجوم " (٤) . ومن المعروف أنهم كانوا يعتقدون بعلم النجوم ويعتمدونه ؛ وسيدنا إبراهيم - عليه السلام - كان يعلم بمنطقهم ، فلما رأى نجماً قد طلع نظر إليه ، فادّعى أنه مطعون (مصاب بالطاعون) ، فتركوه مخافة أن يعديهم ، وخرجوا عنه ، وحينها حقق إبراهيم - عليه السلام - غرضه من ذلك ، وهو أن يبلغ من أصنامهم الذي يريده (٥) .

ج- تعبيرات الضحك :

الضحك نعمة مهمة يميّز بها البشر ، ينظر إليه على أنه دواء مهم لدفع التشاؤم واليأس ، والترويح عن النفس ، ووسيلة لدفع الملل (٦) . ويقال : " إنّ أكثر الأيام ضياعاً هو اليوم الذي لم يضحك فيه المرء " (٧) . وفي الفكاهة والسخرية والدعابة والهزل يحتل الضحك الموضوع الأساسي ، ولا ننسى أنّ هناك نوعاً من الضحك الهستيري الذي قد يتحوّل بسهولة إلى دموع نتيجة لبعض الاضطرابات النفسية (٨) ، " ونوبات الضحك البديلة للتشنج التي لا تكون خلالها سيطرة

١ يرى محمد عادل القليظي أن النظرات الثلاثة الواردة في هاتين الآيتين ، يمكن أن توجه على ثلاثة أشياء :
النظرة الأولى : يمكن توجيهها إلى الجمادات وحدها ، متبئين ما فيها من انسجام وتمائل يدل على بصمة يد القدرة الإلهية فيها .
النظرة الثانية : يمكن توجيهها إلى الأحياء وحدها .
النظرة الثالثة : توجه إلى الترابط بين عالمي الجمادات والأحياء ، والانسجام والتفاعل بينهما . انظر : محمد عادل القليظي ، نظرات جديدة في القرآن المعجز ، ص ٢٣٧ .
٢ م . ن ، ص ٢٣٦ .
٣ الصفات ، آية : ٨٨ - ٩٠ .
٤ انظر : محمد علي الصابوني ، مختصر تفسير ابن كثير ، ١٨٣ / ٣ .
٥ انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ٨٤ / ١٥ .
٦ انظر : علاء سعيد ، الضحك علاج فعال للأمراض النفسية والجسدية ، مجلة بلسم ، جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ، ع ٣٥٨ ، نيسان ، السنة الثلاثون ، ٢٠٠٥م ، ص ٥٤ .
٧ انظر : آلن بيز ، لغة الجسد ، ص ١٧٤ .
٨ انظر : م . ن ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .

العقل كاملة على السلوك ، ومنها الضحك نتيجة لمواد خارجية تؤثر على الأعصاب مثل غاز (أكسيد النيتريك) المعروف بغاز الأعصاب المستخدم في الحروب الكيماوية ، وهناك كثير من المواقف والملابس التي تسبب الاستجابة لدى الناس بالضحك ، فقد نضحك للدهشة عند حدوث مفاجئة ، وقد نضحك لمشاهدة أو سماع نكتة... إلخ " (١).

ومع هذا فقد أثبتت بعض البحوث والدراسات التي أجريت في (فسيولوجية الضحك) ، أن الضحك هو دواء للإنسان (٢) ، فإذا أردت أن تكون معافى عليك أن تضحك (٣).

إنّ الضحك يأتي للتعبير عن السعادة ، وفي الضحك ينبسط الوجه ، وتظهر الأسنان من سرور النفس (٤). " وقد يكون الضحك أو الابتسامة ليس تعبيراً عن السرور ، فهناك الضحك الاجتماعي لمجاملة الآخرين ، ففي اليابان - مثلاً - ينظر للضحك على أنه واجب اجتماعي ، وعلى الإنسان الذي ألمّت به كارثة أن يرسم على وجهه ابتسامة وهو يتلقى مواساة الآخرين " (٥).

وقد ينظر أيضاً للضحك على أنه استهزاء بالآخرين أو تعجب منهم ، والقرآن الكريم حافل بمثل ذلك ، حيث يعرض للضحك في حالات مختلفة في مواضع كثيرة ، ومن هذه الحالات التي يعرضها لنا القرآن الكريم :

١ - الضحك على سبيل الاستهزاء والسخرية والاحتقار ، ومن ذلك :

* قوله - تعالى - : ((أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ . وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ)) (٦).

أي : " أُنستعجلون الضحك والاستهزاء به (القرآن العظيم) مع أنه الذي ينبغي أن تتأثر به النفوس ، وتلين له القلوب ، وتبكي له العيون " (٧).

* وقوله - تعالى - : ((فَلَمَّا جَاءَهُمْ يَا أَيَّتُنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ)) (٨).

١ علاء سعيد ، م . س ، ص ٥٤ .

٢ آلن بيز ، م . س ، ص ١٧٧ .

٣ نشرت إحدى المجلات الطبية البريطانية دراسة أثبتت فيه بأسلوب علمي أنّ الضحك هو أفضل علاج للضغط النفسية ، ولحالات الصداع وآلام الظهر وسوء الهضم وضربات القلب . ويذكر الباحثون من فوائد الضحك أنه يمرّن الوجه والعنق والكتفين والحجاب الحاجز ؛ مما يؤدي إلى انخفاض ضغط الدم ، وتحسين الدورة الدموية ، ومضاعفة كمية الأكسجين في الدم ، كما أنه يخفض من نبض القلب ، ويثير الشهية ، ويسكن الآلام ، ويحرق السعرات الحرارية . انظر : علاء سعيد ، م . س ، ص ٥٣ . وآلن بيز م . س ، ص ١٧٧ - ١٧٩ .

٤ محمد عبد المجيد عبد العال ، المفاهيم النفسية في القرآن ، ص ٧٩ . انظر أيضاً : الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٣٢٧ .

٥ علاء سعيد ، م . س ، ص ٥٣ .

٦ النجم ، آية : ٥٩ - ٦٠ .

٧ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثلان ، ص ٩٠٣ .

٨ الزخرف ، آية : ٤٧ .

وهذا " الاستهزاء والسخرية بالأدلة والحجج والعبر صاحبه الردّ والإنكار من قبل المشركين
" (١).

* وقوله - تعالى - : ((إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ)) (٢).

* وقوله أيضاً : ((فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ . عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ)) (٣).
وفي هذه الآية يأتي الضحك من قبل المؤمنين للاستهزاء من الكفار ، وهم يعذبون في النار
يوم القيامة (٤).

٢- الضحك في السرور المجرد ، ومن ذلك :

* قوله - تعالى - : ((وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ)) (٥).

قال الطبري : " أي ضاحكة من السرور بما أعطها الله من النعيم والكرامة ، مستبشرة لما ترجو
من الزيادة " (٦). فهذه ضحكة السرور والفرح التي تكون عند أهل الجنة .

٣- الضحك في التعجب المجرد ، ومن ذلك :

* قوله - تعالى - : ((وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَّرَاءِ إِسْحَاقَ
يَعْقُوبَ . قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ . قَالُوا
أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ)) (٧).

فمع أن ضحكها صاحبه استبشار إلا أنه كان للتعجب . قال الأصفهاني : " ضحكها كان
للتعجب ، وذلك بدلالة قوله بعدها (أتعجبين من أمر الله) ويدل على ذلك أيضاً قوله (أألد وأنا
عجوز) إلى قوله (عجيب) " (٨).

٤- الضحك في التعجب والسرور معاً ، ومنه :

* قوله - تعالى - في سورة النمل : ((فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا)) (١).

١ السعدي ، م . س ، ص ١٤٧ .

٢ المطففين ، آية : ٢٩ .

٣ المطففين ، آية : ٣٤ - ٣٥ .

٤ انظر : الطبري ، جامع البيان ، ٥٧٨ / ٧ .

٥ عبس ، آية : ٣٨ - ٣٩ .

٦ الطبري ، م . س ، ٥٥١ / ٧ .

٧ هود ، آية : ٧١ - ٧٣ .

٨ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٣٢٨ .

لقد فهم سليمان - عليه السلام - قول النملة فتبسم ضاحكاً ؛ ولذلك أكّد (التبسم) بقوله (ضاحكاً) ، قال القرطبي : " قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا ، ألا تراهم يقولون تبسم تبسم الغضبان ، وتبسم تبسم المستهزئين ، وتبسم الضحك إنما هو عن سرور " (٢) . وقال السعدي : " (فتبسم ضاحكاً من قولها) أي إعجاباً منه ، بنصح أمّتها ، ونصحها ، وحسن تعبيرها . وهذه حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الأدب الكامل ، والتعجب في موضعه ، وأن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم ، كما كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) جل ضحكه التبسم ، فإنّ القهقهة تدل على خفة العقل ، وسوء الأدب ، وعدم التبسم والعجب مما يتعجب منه ، يدل على شراسة الخلق ، والجبروت ، والرسول منزّهون عن ذلك " (٣) .

٧ ملاحظة :

اختلف المفسرون حول هذا النوع من الضحك الذي قام به سليمان عليه السلام ، فمنهم من قال إن ضحكه كان للتعجب ، ومنهم من قال إن ضحكه كان في السرور المجرد . ولكن ما أراه هنا أن مثل هذا الضحك يحمل الأمرين معاً (التعجب والسرور) ، وارتباطهما بالإدراك الحسي والعقلي . فقد يبتسم المرء للوهلة الأولى حين يشاهد أمراً عجباً ثم يسرّ له فيحبه ، وهذا ما ظهر في وجه سليمان ، فحين شاهد النملة وسمع قولها تبسم ثم تدرج هذا التبسم إلى الضحك الذي ينجم عنه عادة انبساط الوجه والافترار عن الأسنان من سرور النفس ، ولهذا كان الضحك إدراكاً عقلياً لإدراك حسي .

د- الهيئات والأوضاع الجسمية :

إنّ الهيئة هي : " الحالة التي يكون عليها الشيء ، محسوسة كانت أو معقولة " (٤) أمّا الموضع فهو " الهيئة في حالة تغييرها من صورة إلى صورة مع تغيير موضع الكلام أو حالة الخطاب " (٥) . ولهذا فقد يتخذ الجسم من خلال " الحركات الجسمية السابقة ، هيئة بعينها ، أو

١ النمل ، آية : ١٩ .
 ٢ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ١٣ / ١٥٩ .
 ٣ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان ، ص ٦٥٤ .
 ٤ الراغب الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٥٨٠ .
 ٥ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ٢٢١ .

يسلك وضعًا بدنيًا جزئيًا خاصًا . وفي المقابل هناك أوضاع حركية جسمية كليّة لها الدور الأكبر في التعبير ، والإبانة عن الهيئة أو الوضع " (١) ، وهي ما ستسعف في هذا المجال .

إنّ الهيئات والأوضاع الجسمية تشكل نموذجًا إيجابيًا مستحبًا ، أو نموذجًا سلبيًا مستكرهاً لدى بعض الناس (٢) . روي عن مسروق عن عائشة - رضي الله عنها - " كانت تكره أن يجعل يده في خاصرته ، وتقول : إنّ اليهود تفعله " (٣) . ووضع اليد في الخصرة هو ما يستقبّحه العربي حتى اليوم .

ومهما يكن ، فإنّ وضع الجسد بدوره " يرتبط بالمدى التفاعلي والاجتماعي بين الناس ، في حين أنّ الهيئات ترتبط بالأمزجة والطبائع والحالات النفسية التي يمارسها الناس يوميًا " (٤) .

وإذا كانت بعض الهيئات والأوضاع الجسمية تتشكّل بفعل حالة لا إرادية ، ففي المقابل قد يلجأ شخص ما باتخاذ وضعية أو هيئة لجسمه من تلقاء نفسه ؛ لاعتقاده أنه أفضل بفضل هذه الوضعية أو الهيئة ، التي قد تنعكس على الذات أو على الآخرين ، وهذا كله يساعد في الكشف عن السمات المسيطرة على بعض النواحي الشخصية ؛ الأمر الذي يؤدي إلى تكوين رؤية شاملة لمظهر الشخص الخارجي (الجسدي) والبنية الداخلية ، ومن ثمّ نحتفظ بالانطباع العام الذي ينبثق عنه ، وبذلك تكون الرؤية أصح وأدق (٥) .

ومن ينعم النظر في آيات القرآن الكريم ؛ يجد في مواضع كثيرة سلوكيات حركية تتخذ هيئات وأوضاعاً جسمية دالّة تعبّر عن معان خاصة ؛ ولهذا سننّخذ الهيئات والأوضاع الجسمية مفتاحاً للكشف عن هذه المعاني ، وتمثّل هذه الهيئات والأوضاع فيما يلي :

١- هيئات المشي :

يقول (ناتالي باكو) : " إنّ لكل واحد منّا مشيته الخاصة ، وإيقاعه ، وترجيح ذراعيه ، وتوجيه قدميه وطول خطواته . إنّ مشيتنا تولّف جزءاً من هويتنا ، ومع ذلك فقد تختلف من يوم إلى آخر تبعاً للحالة النفسيّة التي نجد أنفسنا فيها ، حزينون ، أو مقطبون ، أو مشغولو البال ، أو سعداء في الحياة ، أو مغرمون ،... حتى إنّ للأرصاء الجويّة تأثيراً فيها ! ، وعلى الرغم من هذه المصادفات

١ انظر : م . ن ، ص ٢٢١-٢٢٢ .

٢ فؤاد إسحاق الخوري ، لغة الجسد ، ص ١١ .

٣ البخاري ، متن البخاري ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٩٧٨م ، ٢/٢٥٧ .

٤ فؤاد إسحاق الخوري ، م . س ، ص ١١

٥ انظر : ناتالي باكو ، لغة الحركات ، ٤٠-٤١ .

، نحن نحفظ مهما يحدث بنمطنا الخاص في المشية ، التي تقدم إشارات عن شخصيتنا ، فهناك المشية الرشيقة ، والمشية المخلعة ، والمشية البليدة ، ومشية الشبح ، والمشية إلى الداخل ، ... وغيرها من أنماط المشيات الأخرى" (١).

وإذا كانت هذه الأنواع من المشي تكشف لنا عن شخصية الإنسان وحالته النفسية ، أو الهيئة التي يكون عليها ، فإن القرآن الكريم حافل بأنماط وهيئات من المشي ، كل نمط يتخذ سلوكاً خاصاً ، يعبر عن الحالة التي يكون فيها الشخص ، فمنها " ما يدل على الكبر والتبخر ، ومنها ما يدل على الوفاق ، ومنها ما يدل على الحياء ، ومنها ما يدل على الجد والعناية ، ومنها ما يبعث على إثارة الشهوة ، ومنها ما يدل على الطمأنينة ... الخ" (٢) .

ومن هذه الهيئات التي يعرضها لنا القرآن الكريم في المشي :

أ- التَّمْطَى في المشي :

كما في قوله - تعالى - : ((ثُمَّ دَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى)) (٣) .

جاء في المعجم الوسيط " (المطا) : الظهر ، وتمطى في مشيته تبخر ومد يديه" (٤) .

وقال الأصفهاني : " يتمطى (٥) : يمد مطاه ؛ أي ظهره" (٦) .

فالتَّمْطَى إذن : هو التبخر في المشية إعجاباً أو تكبراً (٧) ، فيمد ظهره (٨) أو يلويه تبخرًا ، وهذه الخاصية كانت عند أبي جهل (٩) . وقيل : " المعنى المتعین من الآية التمدد من التناقل و التکسل ، فكأنه يتناقل عن الداعي إلى الحق ، وفي هيئة تلك المشية دلالة على التبخر وقلّة الاكتراث" (١٠) .

ب- المشي مرحباً :

-
- ١ ناتالي باكو ، لغة الحركات ، ص ٥٣ - ٥٥ .
 - ٢ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٨٧ .
 - ٣ القيامة ، آية : ٣٣ .
 - ٤ إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٩١٤ .
 - ٥ يذهب محمد عادل القليقلبي إلى أنّ الطاء المشددة الممدودة مع الألف هي من حروف الفاصلة ؛ توحى إلى التناقل والتكاسل والإهمال للحق والإعراض عنه ، واستخدامها بهذه الصورة للإيحاء بمعاني الآيات وتأكيداها ، هو توفيق بديع ، وسر عجيب ، وفتح جديد ، لم يرد في كلام البشر من قبل . إنه بصمة من بصمات الإبداع الإلهي . انظر : محمد عادل القليقلبي ، نظرات جديدة في القرآن المعجز ، ص ١٩٨ .
 - ٦ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٥٢٤ .
 - ٧ جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص ٧٨٠ .
 - ٨ تذكر بعض الدراسات الحديثة في هذا المجال أنّ الشخص الذي يمشي ممدداً ظهره للوراء ، ماداً ذراعيه ، هو شخص واثق من نفسه معتر بكيانه . انظر : أيمن أبو الروس ، فن قراءة الوجوه وكشف خبايا النفوس ، ص ٢٤ .
 - ٩ انظر : الطبري ، جامع البيان ، ٤٧٩ / ٧ .
 - ١٠ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٨٨ .

وقد نهى القرآن الكريم عن ذلك كما في قوله - تعالى - : ((وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا)) (١) . وقوله - تعالى - في موضع آخر : ((وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)) (٢) .

مع أنّ المرح يحمل بعض المعاني المحمودة كشدة الفرح والنشاط (٣) ، إلا أنّ القرآن الكريم يعكس لنا هذا المصطلح بوضعية أخرى ، وهي اقتترانه بالمشي ، حيث قيل إنّ المرح هو الخيلاء في المشي ، وقيل هو التكبر في المشي ، وقيل هو البطر والأشر (الاستكبار) ، وقيل يتجاوز الإنسان قدره ، وكلها معان مضمومة نهى عنها القرآن الكريم (٤) . لهذا في الآية " نهى صريح عن هذه المشية ذات الهيئة التي تثير في النفس اختيالاً ؛ ذلك أنها تومئ إلى الكبر ، والتطاول ، و الشدة ، وفي ذلك من التهكم والتفريع ما فيه " (٥) .

ويذكر (ناتالي باكو) أنّ هذا النوع من المشي يكون عادة " بشدة وطأة القدم على الأرض ، وكأنّ الكعب يغرز لدى كلّ خطوة في الأرض ، والخطوة تكون سريعة ثابتة ، والنظر مركز إلى الأمام . ولكنّ طريق المشي بهذه الهيئة كمشي الجبارين تجعل معظم الأشخاص متسلّطين" (٦) ، والقرآن الكريم نهى عن التسلّط والكبرياء وأمر بالتواضع .

ج- القصد في المشي :

وهذا النوع من المشي يعبر عن الاستقامة والاعتدال والتواضع ، كما في قوله تعالى : ((وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ)) (٧) .

فمن قصد في أمر اعتدل وسلك مسلكاً وسطاً بين المغالاة والتقصير ، أو بين الإفراط والتفريط " (٨) . و (اقصد في مشيك) : "توسّط بين الدبيب والإسراع ، وعليك السكينة

١ الإسراء ، آية : ٣٧ .

٢ لقمان ، آية : ١٨ .

٣ إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٨٩٨ .

٤ محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٣٧٦ .

٥ مهدي عرار ، م . س ، ص ١٨٨ .

٦ ناتالي باكو ، لغة الحركات ، ص ٥٥ .

٧ لقمان ، آية : ١٩ .

٨ انظر : الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، دار الجيل ، بيروت - لبنان ، د . ت ، ١ / ٣٣٩ . وإبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٧٧٢ . ومحمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية . ٤٦٩ .

والوقار (١) . وقال السعدي : " أي : امش متواضعاً مستكيناً لا مشي البطر والتكبر ولا مشي التماوت (٤) (٣) .

وذكر القرآن الكريم أيضاً ما يشبه القصد في المشي ، فيه من الاعتدال والتواضع والسكينة والوقار ، وهذا النوع من المشي يختص به المؤمن وهو مشي مندوب . ومن ذلك :

◆ المشي الهون : كما في قوله - تعالى - : ((وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)) (٤) .

◆ المشي السوي المعتدل : كما في قوله - تعالى - : ((أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) (٥) .

د- المشي باستحياء :

ويعبر به عن العفة كما في قوله - تعالى - واصفاً حال المرأة التي قابلت سيدنا موسى - عليه السلام - حين جاءت تمشي مشية المتأدب المستحي : ((فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ)) (٦) .

إنّ الحياء : " انقباض النفس عن القبائح وتركها لذلك ، وهو انفعال مركب فيه عناصر من الخجل والخوف ، وهو يعترى الإنسان إذا خاف أن يرى الناس فيه ما يمكن أن يعاب أو يذم ، وهو من السمات الإنسانية الحميدة ؛ لأنه يدفع الإنسان إلى تجنب الأفعال القبيحة المعيبة " (٧) . والحياء يختلف بدوره عن الخجل ؛ لكونه " ينتج عن شخصية قوية تستشعر قيمتها فهي كريمة تستعلي القبائح ، أما الخجل فهو ارتباك يحدث للإنسان نتيجة موقف قد ينتج عن جبن أو خوف " (٨) .

إنّ هذا النمط من المشي تختص به النساء العفيفات غالباً ، خاصة حين تكون بمفردها ؛ ولهذا حين جاءت تمشي الفتاة إلى سيدنا موسى عليه السلام لتكلمه ، كانت بمفردها " واضعة كم ذراعها على وجهها حياءً منه ؛ أي ساترة وجهها بثوبها " (٩) . فهكذا يكون حياء البنات ، كما يقول عمرو

١ جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص ٥٤٢ .
٢ يذكر ناتالي باكو : أن مشي التماوت يكمن في المشية البليدة ذات الخطوات المانعة والساق المجرجة ، والقدمان المثقلتان ، والعين الغامضة المبهمة . انظر : ناتالي باكو ، لغة الحركات ، ص ٥٥ .
٣ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٧٠٧ .
٤ الفرقان ، آية : ٦٣ .
٥ الملك ، آية : ٢٢ .
٦ القصص ، آية : ٢٥ .
٧ محمد عبد المجيد عبد العال ، المفاهيم النفسية في القرآن ، ص ٥٨ . انظر أيضاً : محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، ص ٩٨ .
٨ عمرو خالد ، خلق المؤمن ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ١٧٨ .
٩ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ٢٤٣ / ١٣ .

خالد : " كأنك تستشعر أن كلامها على استحياء ، ومشيتها على استحياء ، حالها كله استحياء ، إن الحياء حينما يذكر فالنظرة للمرأة تكون أشد ، وما تطالب به يكون - في الغالب - أشد مما يطالب به الرجل " (١).

هـ - الإهطاع في المشي :

ويعبر به عادة عن الخوف والذل ، ومنه قوله - تعالى - : ((مَهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ)) (٢). وقوله - تعالى - أيضاً : ((فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مَهْطِعِينَ)) (٣). وكذلك قوله - تعالى - : ((مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمَ عَسِيرٍ)) (٤).

فالإهطاع : " مشية المسرع الخائف ، ولا يقال للإسراع في السير : إهطاع ، إلا إذا كان معه خوف " (٥)، ويقال : " أهطع في عدوه إذا أسرع ، و(مهطعين) مسرعين إلى الداعي بذلة واستكانة كأسراع الأسير الخائف " (٦). وهذا كناية عن شدة الهول والخوف والدهشة تبعاً للحالة النفسية التي تسايرهم .

و- الرّكض :

جاء الركض في القرآن الكريم ليدل على أمرين ، وهما :

- أولاً : الفرار والهرب والانهمام .
- ثانياً : الدفع والضرب بالرجل .

فمن الأول قوله - تعالى - : ((فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَانَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ . لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ)) (٧).

والركض هو العدو بشدة الوطء (٨) ، وركض ركضاً أي عدا مسرعاً (٩)، وقال الشوكاني في فتح القدير : " الركض هو الفرار والهرب والانهمام " (١٠). (وإذا هم منها يركضون) أي :

١ عمرو خالد ، خلق المؤمن ، ص ١٥٨ .

٢ إبراهيم ، آية : ٤٣ .

٣ المعارج ، آية : ٣٦ .

٤ القمر ، آية : ٨ .

٥ انظر : أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، ص ٥٣ + ص ١٩٨ .

٦ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٩/ ٣٣٠ . انظر أيضاً : محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٣٤٥ .

٧ الأنبياء ، آية : ١٢ - ١٣ .

٨ القرطبي ، م. س ، ١١ / ١٨٤ .

٩ انظر : إبراهيم أنيس ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ص ٣٩٤ .

١٠ الشوكاني ، فتح القدير ، ٣ / ٤٩٦ .

يهربون مسرعين منهزمين" (١)، ويحدث ذلك غالبًا في مواقف الخطر التي تهدد الإنسان ، وتثير فيه انفعال الخوف بالابتعاد عنها أو الهرب منها(٢).

أما الركض الذي يقصد به الدفع والضرب بالرجل وهو الأصل ، فقد ورد في قوله - تعالى - مخاطبًا أيوب - عليه السلام - : ((اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ))(٣).

و(اركض بركلك) قال الطبري : " أي حركها وادفعها بركلك ؛ لأنّ الركض في الأساس هو حركة الرجل "(٤). وقال مهدي عرار : " أي الضرب الذي يساوقه حركة ، ويصدقّ هذا : ركض الدابة ، وركض الطائر إذا ضرب بجناحيه "(٥).

ز- المشي سرًّا :

ويعبر به عن السير خفية في الظلام كما في قوله - تعالى - : ((فَاسْرِبْ بِهَيْبِكَ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتُكَ))(٦). وقوله - تعالى - أيضًا في سورة الإسراء : ((سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى))(٧).
(فأسر ، وأسرى) هما من السري : وهو سير الليل ؛ لأنه لا يكون إلا في الليل(٨).

* تنبيه :

نوّه الدكتور مهدي عرار في كتابه إلى أنّ القرآن الكريم ذكر نوعًا آخر من المشي ، ومنه (مشية السعي) التي تدل " على الجد والعناية "(٩). كما في قوله - تعالى - في سورة يس : ((وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ))(١٠)، وقوله في سورة القصص : ((وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ))(١١).

١ جلال الدين المحلي وجمال الدين السيوطي ، تفسير الجلالين ، ص ٤٢١ .

٢ انظر : محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، ص ٦٨ .

٣ ص ، آية : ٤٢ .

٤ الطبري ، جامع البيان ، ٤٠٦ / ٦ .

٥ مهدي أسعد عرار ، ظاهرة اللبس في العربية ، ط ١ ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ٢٠٠٣م ، ص ٣٠٠ .

٦ هود ، آية : ٨١ .

٧ الإسراء ، آية : ١ .

٨ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٢٥٩ .

٩ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٨٩ .

١٠ يس ، آية : ٢٠ .

١١ القصص ، آية : ٢٠ .

ومن ينعم النظر في هيئة هذه المشية باعتبار حال الآيتين السابقتين ، فتظهر الدلالة المتعيّنة من " السعي "(١). فقد قيل في الآية الأولى : " إنّ هذا الرجل كان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة ، فلما بلغه أنّ قومه قد كذبوا الرسل وهموا بقتلهم جاء يدعو ويشتد "(٢). وأما في الآية الثانية فقد شرح هيئة هذه المشية ودلالاتها أبو حيان ، فقال : " يسعى : يشتد في مشيه ، ولما أمر فرعون بقتله خرج الجلاوزة من الشارع الأعظم لطلبه ، فسلك الرجل طريقاً أخرى أقرب إلى موسى - عليه السلام - "(٣) . وتعليقاً على ذلك يقول مهدي عرار : " للقارئ أن يتخيّل كيف ستكون هيئة مشية من يريد أن يقول لآخر يهّمه أمره إنّ الناس قد جمعوا لك ليقتلوك ... إنّها السعي والركض "(٤).

٢- الفرار والإدبار والتولية :

وتأتي هذه المفردات الثلاثة في القرآن الكريم لتشير إلى الخوف والهروب والانهازم ، ومن ذلك :

- قوله - تعالى - : ((فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُمْ))(٥).
- وقوله - تعالى - أيضاً : ((يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمُّهُ وَأُيُوبِهِ . وَصَاحِبَتُهُ وَبَنِيهِ))(٦).
- وقوله أيضاً : ((لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَكَلِمَاتٍ مِنْهُمْ رُعْبًا))(٧).
- ومنه أيضاً : ((فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَتَّتْ كَانَتْهَا جَائًا وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ))(٨) .
- وكذلك قوله : ((لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ))(٩).

ويحدث الفرار والإدبار غالباً في مواقف الخطر الشديد وشدة الهول ، ولكنّ القرآن الكريم نهى عن الإدبار والهروب في ملاقاته العدو ، فقال - تعالى - : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ))(١٠) . وقوله (فلا تولّوهم الأدبار) : " فلا تديروا ظهوركم لهم ، والمقصود نهيمهم عن الفرار من قتال العدو بأيّة صورة ، ومثل هذه الإيماءات في هذه الآية تعبّر

١ من ينعم النظر في دلالة (السعي) باعتبار الأصل لا الحال ، سيجد أنها كانت تدل على الإسراع في المشي ، فقد جاء في اللسان أنّ السعي هو عدوّ نون الشدّ . ويرى الراغب في مفرداته : أنّ السعي المشي السريع ، وهو دون العدو . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سعى) . والراغب الأصفهاني ، م.س ، ص ٤١١ .
٢ انظر : الطبرسي ، مجمع البيان ، ٢٠٢ / ٨ . ومهدي عرار ، م.س ، ص ١٨٩ .
٣ انظر : أبو حيان ، البحر المحيط ، ١٠٦ / ٧ .
٤ انظر حول ذلك : مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .
٥ الشعراء ، آية : ٢١ .
٦ عبس ، آية : ٣٤ - ٣٥ .
٧ الكهف ، آية : ١٨ .
٨ النمل ، آية : ١٠ .
٩ التوبة ، آية : ٥٧ .
١٠ الأنفال ، آية : ١٥ .

عن الهزيمة في صورتها الحسيّة ، وفيه تقبيح وتشنيع ، وتعريض بإعطاء الأدبار للأعداء " ١ . وهذا ما نطق به القرآن الكريم في قوله - تعالى - : ((وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ)) (٢) ، يعني : " منهزمين ، وفي هذه الآية معجزة للنبي - عليه السلام - ؛ لأنّ من قاتله من اليهود ولآه دبره " (٣) .

٣- الانقلاب على الأعقاب (الرجوع إلى الخلف) :

وقد جاء هذا التعبير في القرآن الكريم ليشير إلى حالة من الارتداد والتراجع كما في قوله - تعالى - : ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا)) (٤) . وكذلك قوله - تعالى - : ((قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا)) (٥) .

قال أبو عبيدة : " (انقلبتم على أعقابكم) : كل من رجع عما كان عليه ، فقد رجع على عقبه " (٦) . وقال : " (ونرد على أعقابنا) : يقال ردّ فلان على عقبه ، أي رجع ولم يظفر بما طلب ولم يصب شيئاً " (٧) . والعقب " مؤخر الرجل أو القدم ، ورجع على عقبه إذا انثنى راجعاً ، وانقلب على عقبه نحو رجع على حافرته " (٨) أو ما يسمّى برجوع القهقري (٩) .

وقال الشوكاني في فتح القدير : " أي كيف ترتدون وتتركون دينه إذا مات أو قتل مع علمكم أنّ الرسل تخلو ، ويتمسك أتباعهم بدينهم " (١٠) . والغرض إنكار ارتدادهم عن الدين " (١١) .

وما يشبه هذا التعبير أيضاً ما يسمّى بـ (النكوص على الأعقاب) (١٢) . ومنه قوله - تعالى - : ((قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِبُونَ)) (١٣) . وقوله - تعالى - أيضاً :

١ محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٢٤١ .

٢ آل عمران ، آية : ١١١ .

٣ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ٤ / ١٦٥ .

٤ آل عمران ، آية : ١٤٤ .

٥ الأنعام ، آية : ٧١ .

٦ أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ١٠٤ / ١ .

٧ م . ن ، ١ / ١٩٦ .

٨ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٣٨٠ .

٩ القهقري : مشية الراجع إلى الخلف ، ورجع القهقري : تولى إلى الوراء جهة العقبين . انظر : الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، ص ١٩٨ . ومحمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٢٥١ .

١٠ الشوكاني ، فتح القدير ، ٤٨٥ / ١ .

١١ الألوسي ، روح المعاني ، تصحيح محمد العرب ، بإشراف هيئة البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت- لبنان ، ١٤١٤ هـ /

١٤٩٤ م ، ٤ / ١١٥ .

١٢ النكوص : من نقص ينكص نكصاً ونكوصاً ، وهو الإحجام عن الشيء ، ويعني العودة أو الردة أو الرجوع أو التقهقر إلى مستوى غير ناضج من السلوك ، وذلك حين تعترض الفرد مشكلة ، أو موقف محبط . أو هو تراجع إلى مرحلة نمو سابقة . انظر : محمد

عبد المجيد عبد العال ، المفاهيم النفسية في القرآن ، ص ١٤٢ . وإبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٩٩٣ .

١٣ المؤمنون ، آية : ٦٦ .

في سورة الأنفال : ((وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَءَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ)) (١) .

فـ (تتكصون) : ترجعون وراكم (٢) ، وقال السعدي : " راجعين القهقري إلى الخلف " (٣) .
فمن (نكص على عقبيه) : إذا رجع إلى خلفه وعاد إلى الوراء ؛ ولهذا يقال : " نكص على عقبيه وارتكس (٤) " (٥) . وقال أبو عبيدة : " نكص على عقبيه) مجازه : رجع من حيث جاء " (٦) والسباق في آية الأنفال " يصور وسوسة الشيطان للمشركين وإغرائهم لملاقاة المسلمين في بدر ، فلما تراءت الفتان ، أي رأت إحداهما الأخرى خذلهم وتركهم يلاقون مصيرهم وحدهم ، .. ولهذا فقد خرج الكلام مخرج التمثيل بتشبيهه وسوسته بحال المقبل على الشيء ، وبتشبيهه تركه هذه الوسوسة بحال من ينكص ويتراجع إلى الوراء " (٧) .

٤- أوضاع الجلوس :

يرى الباحثون المحدثون أنّ الجلوس مسألة مسلكية تثير في النفس اعتبارات وموازن متنوعة تعكس بمجملها نظرنا إلى أنفسنا ونظرة الآخرين إلينا (٨) . فالجلوس بحد ذاته يدل على الحالة التي يكون عليها الجالس ، فقد يكون متكئاً أو قاعداً أو مفسحاً في مجلسه أو مضطجعا... إلخ . وقد يؤدي الجلوس معنى مغايراً في كل حالة من هذه الحالات . فمنه ما يفيد معنى السلطة والسلطان ، ومنه ما يبعث في النفس الراحة والاستراحة ، ومنه ما يبعث التكريم ، ومنه ما يبعث في النفس الاشمئزاز ، ومنه ما يبعث الخوف والإكراه والقبح والكسل .

ومن أوضاع الجلوس التي يظهرها لنا القرآن الكريم :

أ- القعود :

-
- ١ الأنفال ، آية : ٤٨ .
 - ٢ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ١٢ / ١٢٦ .
 - ٣ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٥٩٨ .
 - ٤ ارتكس : انتكس ، ويقال : ارتكس في أمر وقع ولم ينجُ ، وانتكس الشيء : انقلب . انظر : إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٣٩٣ + ص ٩٩٢ .
 - ٥ الهمداني ، الألفاظ الكتابية ، ص ١٩ .
 - ٦ أبو عبيدة ، مجاز القرآن ، ١ / ٢٤٧ .
 - ٧ انظر ، محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٢٥٠ - ٢٥١ .
 - ٨ انظر : فؤاد إسحاق الخوري ، لغة الجسد ، ص ٢٧ .

والقعود خلاف الإضجاع ، أو نقيض القيام(١). فقد يكون قعوداً من قيام أو من إضجاع أو من سجود(٢). وقد وردت مفردة (القعود) (٣) ومشتقاتها في مواضع كثيرة في القرآن الكريم لتتلائم كل ما هو مكروه ومستقبح(٤). ومن ذلك :

قوله تعالى : ((وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ))(٥). أي : مع الضعفاء من المرضى والنساء والصبيان(٦).

وقال - تعالى - في سورة المائدة على لسان بني إسرائيل : ((فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ))(٧). قال الأصفهاني : " قاعدون يعني متوقفون "(٨). وهذا يدل على الجبن والخذلان والتكاسل .

وقال في سورة التوبة عن المنافقين : ((فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ))(٩).

قوله : (فاقعدوا مع الخالفين) ، قال القرطبي : " يعني فاقعدوا مع الفاسدين (الذين تخلفوا في الغزوات من المنافقين) ، وهذا يدل على أن استصحاب المخذل في الغزوات لا يجوز "(١٠).

ب- الاتكاء (الإضجاع) :

ويشير إلى النعومة والراحة ، ومن ذلك قوله - تعالى - : ((مُتَكِّينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ))(١١). وقوله أيضاً : ((مُتَكِّينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ))(١٢). وقوله كذلك : ((مُتَكِّينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ))(١٣).

فالاتكاء هنا " هو الإضجاع ، ويقال : الجلوس على صفة التربع "(١). وفي هذه الآيات كناية عن النعومة التي يتنعم بها المؤمنون في الجنة لما هم فيه من النعيم المقيم .

١ انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (قعد) .

٢ انظر : الفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ١ / ٣٤٠ .

٣ ننوه هنا إلى أن (القعود) يختلف عن (الجلوس) ، فمثلاً : يقال للشخص النائم اجلس ، ويقال للواقف اقعد .

٤ ليس معنى ذلك أن فعل (القعود) يدل على ما هو مستقبح ، فقد يأتي القعود ليدل على ما هو مستحب وفيه خير ، مثل قوله تعالى :

((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ)) آل عمران ، آية : ١٩١ .

٥ التوبة ، آية : ٤٦ .

٦ انظر : القرطبي ، الجامع لحكام القرآن ، ٨ / ٨٥ . والبغوي ، معالم التنزيل ، ص ٥٦٢ .

٧ المائدة ، آية : ٢٤ .

٨ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٤٥٦ .

٩ التوبة ، آية : ٨٣ .

١٠ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١ / ١٤١ .

١١ الرحمن ، آية : ٥٤ .

١٢ الرحمن ، آية : ٧٦ .

١٣ الطور ، آية : ٢٠ .

ج- الإفساح والإنشاز في المجالس :

ويرتبطان في القرآن الكريم بفعل الجلوس ليعبراً عن الاحترام والتكريم ، كما في قوله -
تعالى - : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ
وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرَفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ))(٢) .

فهنا أمر القرآن الكريم المؤمنين بالإفساح والإنشاز ، فـ(تفَسَّحُوا في المجالس) أي: " توسعوا
وأعدّوا مقاعد للآخرين ، وانشزوا ؛ أي : قوموا من مقاعدكم أو انهضوا " (٣). وعن ذلك يقول
فؤاد إسحاق الخوري : " فالإفساح في المجالس هنا فعل تكريم ، حيث تكرم الناس بالإفساح لهم في
المجالس ، وليس الإفساح والإنشاز في المجالس نقصاً في صفة الفاعل بل رفعه له ومرتبته عند
الله " (٤). وهذه دعوة إلى احترام الآخرين ومساواتهم(٥).

د- الجنوّ (الجلوس على الركب) :

وتعبّر هذه الهيئة من الجلوس عن حالة الذعر والخوف في المواقف الشديدة ، ومن ذلك قوله -
تعالى - : ((فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا))(٦). وفي القرآن
سورة الجاثية ، يقول الله - تعالى - فيها : ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئِدِ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ . وَتَرَى
كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً))(٧) .

فالجنوّ : " هو الجلوس على الركب ، والجاثية : المستوفزة ، والمستوفز : هو الذي لا يصيب
الأرض منه إلا ركبته وأطراف أنامله " (٨) .

ويوم تقوم الساعة (وترى كلّ أمةٍ جاثية) أي : " ترى أهل كلّ ملةٍ ودين باركين على الركب عند
الحساب من هول الموقف ، مستوفزين كهيئة المذنب المنتظر لما يكره ، وذلك خوفاً وذعراً
" (٩) .

١ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص ١٨٠١ .

٢ المجادلة ، آية : ١١ .

٣ انظر : البغوي ، معالم التنزيل ، ص ١٢٨٧ . وابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نشز) .

٤ فؤاد إسحاق الخوري ، لغة الجسد ، ص ٣٠ .

٥ لهذا يقال : " إنّ الجلوس بشكل دائري في حلقات الذكر الدينية يعزز مبدأ التساوي بين المجتمعين " . انظر : م . ن .

٦ مريم ، آية : ٦٨ .

٧ الجاثية ، آية : ٢٧ - ٢٨ .

٨ انظر : إبراهيم أنيس ورفاقه ، المعجم الوسيط ، ص ١٢٨ . ومحمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٥٣٤ .

٩ انظر : الطبري ، جامع البيان ، ٦ / ٦٥٤ . والسعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان ، ص ٨٥٣ .

هـ - المتمّمات المساندة :

المتمّمات المساندة : وهي التي " تعتبر توابع لأعضاء الجسد المومئة ، وتكشف عن الحالات النفسية والذهنية والدلالية ، ومنها : النظارة ، والقلم ، والسيجارة ، والهاتف ، والعصا ، والسبحة ، وأدوات الزينة ، والثياب ، وأنواع الحليّ ، والروائح ... إلخ " (١) . وقد كان لهذه المتمّمات ظهور في القرآن الكريم ؛ لأنها تمدّنا ببعض المعاني والدلالات ، ويمكن تقسيم هذه المتمّمات حسب ورودها في النص القرآني إلى قسمين ، هما :

- ١- المظهر ، من مثل : (النعل ، والقميص ، والجلباب ، والحلي والأمتعة ، والروائح) .
- ٢- الآلات والأدوات المرافقة ، من مثل : (العصا ، والدرع ، والميزان) .

١- المظهر :

أ- النعل (الحذاء) :

يقال : " تتعلّ ، أي لبس النعل ، وهو الحذاء ، ورجل ناعل هو خلاف الحافي " (٢) ، " والرجل الناعل يعبرّ به عن الغني ، أمّا الرجل الحافي فيعبرّ به عن الفقير (٣) . وكل إنسان قد يلبس النعل في قدميه وقاية لهما من الأرض ، ومظهراً أيضاً .

و(خلع النعلين) " حركة جسدية تنتسب إلى المتمّمات المساندة ، ولعلّ لها دلالات متباينة وهي مجردة من سياقها ، فقد تدل على أنّ آتيتها به أدّى من رجليه ، أو به مسّ ، أو تواضع في مقام ما " (٤) .

لكن في المقابل ، ماذا يعني خلع النعلين ؟ . وذلك كما جاء في القرآن الكريم في مخاطبة الله لموسى - عليه السلام - في قوله : ((إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى)) (٥) . جاء في البيان والتبيين للجاحظ : " أنّ خلع النعل هنا ، هو من أجل حق المقام الشريف ، والمدخل الكريم . وقد كانت النساء قديماً ذوات المصائب إذا قمن في المناحات ، كنّ يضربن صدورهنّ بالنعال " (٦) .

وقال ابن كثير في هذه الآية : " خلع النعل يأتي تعظيماً للبقعة أو المكان المقدّس ، كما أراد الله - تعالى - من خلع موسى للنعل ، أن يشعره بالتواضع والخضوع له سبحانه " (٧) . ولهذا فقد اتّخذ

١ انظر : ناتالي باكو ، لغة الحركات ، ص ٧٠ . ومهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ٥٩ .

٢ إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٩٧٤ .

٣ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٥٥٤ .

٤ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٩٠ .

٥ طه ، آية : ١٢ .

٦ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٣ / ١١١ .

٧ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص ١٢٠٧ .

خلع الحذاء في الأماكن المقدسة ، كالمساجد وغيرها من دور العبادة ، تعظيمًا وتقديسًا لها ، وتواضعًا وخضوعًا لله - تعالى - ؛ لأنّ في النعل " مجلبة للتبرك والتطامن " (١).

ب- القميص :

اعتبر القميص من المتمّمات المساندة ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم خاصة في قصة يوسف - عليه السلام - في أكثر من موضع ، وقد وقف الدكتور مهدي عرار على صورة القميص الذي كان منبهة على حصحصة الحقّ في هذه القصة ، مبينًا أنّه : " كان ذا سُهْمَة كبيرة في تشكيل القصة وحبكها من مفتحتها إلى منتهاها :

- فقد كان سبيلًا من سبل التستر في جريمة طرح يوسف أرضاً .
- وسبيلًا أخرى من سبل التهمة عن النبي الكريم .
- وسبيلًا معجزةً في شفاء النبي أبي النبي .

وقد ظهر في الآيات الكريمات التالية :

- ((وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ)) (٢).
- ((وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ)) (٣) .
- ((اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا)) (٤).

ففي باب القول على درء التهمة كان للقميص بعد المراودة صورة و دلالة أفضت إلى الوقوف إلى الحقيقة التي غدت سائرة على لسان نسوة في المدينة قائلات : امرأة العزيز تراود فتاها!! ولعلّ أنظار ذلك الرجل المعجبة ، والمتبصرة في حال ذلك القميص ، وسيلة من وسائل التحقق والتثبت في موقع الشبهة أو الجريمة ، وليس يفوتنا في هذا المقام أن المحققين في أيامنا هذه يتشبهون بمثل تلك التفصيلات في مسرح الحدث ، ويجعلونها من الدلائل الهوادي للحقيقة في غايتهم ، وللمعنى في غايتنا . وكذلك كان القميص في تشكيل آخر، وإخراج مشهدي مباين لحاله بعد المراودة ، وسيلة من أخوة يوسف للدلالة على أن الذنب قد أكله ، فاستعانوا على مقصودهم بالوسيلتين :

- الصائتة ، وهي كلامهم وقولهم لأبيهم .

١ مهدي عرار، م.س، ص ١٩١ .

٢ يوسف ، آية : ١٨ .

٣ يوسف ، آية : ٢٦ - ٢٨ .

٤ يوسف ، آية : ٩٣ .

- والصامتة ، وهي استرفاد الدلالة من المتممات المساندة التي توهموها في مسرح الجريمة المصطنعة .

وكان القميص في سياق ثالث ذا دلالة معجزة ؛ إذ كان رديفاً للدواء ، مجلبةً للشفاء ، مشهدةً بحياة صاحبه ووجوده الذي طال انتظاره " (١) ، كما في قول الباري - عزوجل - : ((فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)) (٢) .

ج- الجلباب (٣):

يعد الجلباب من الثياب التي تشكل لدى البشر رمزاً للوقاية ، والطهارة ، والنقاء ، والزينة ، والوقار ، والطمأنينة ، والنعيم . وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى : ((وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)) (٤) .

وقوله أيضاً : ((وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ)) (٥) .

وقال أيضاً : ((يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَآتِكُمْ وَرِيشًا)) (٦) .

وقال كذلك : ((وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ)) (٧) .

وقد يختلف نوع اللباس من بلد إلى آخر ، وقد يعبر به عن ثقافة ما ، فرمزية الجلباب الذي خصص للنساء - مثلاً- لها دلالة خاصة لدى الثقافات الأخرى ، تكمن في أنّ هذا النوع من اللباس يشير إلى العقيدة الإسلامية أو إلى بلد إسلامي ، كما يشكّل ذلك أيضاً انطباعاً قي أذهان الآخرين عن هؤلاء النساء أنهم " حرائر ، لسن بذات فتنة ، بل عفيفات ، فالاحتجاب حاسم في مطامع الطامعين فيهن " (٨) . والقرآن الكريم يبرهن على ذلك في قوله - تعالى- : ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)) (٩) .

١ انظر : مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٩١- ١٩٢ .

٢ يوسف ، آية : ٩٦ .

٣ الجلباب: ثوب أوسع من الخمار ، دون الرداء ، تُغطّي به المرأة رأسها وصنّرها؛ وقيل: هو ثوب واسع ، دون الملحفة، تلبسه المرأة ؛ وقيل : هو الملحفة . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (جَلَب) .

٤ المدثر ، آية : ٤ .

٥ الكهف ، آية : ٣١ .

٦ الأعراف ، آية : ٢٦ .

٧ النحل ، آية : ٨١ .

٨ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المثنان ، ص ٩٦٢ .

٩ الأحزاب ، آية : ٥٩ .

د- الحليّ والأمتعة :

كالذهب ، واللؤلؤ ، وبعض الأمتعة أو الأثاث ، التي تتمثل أساس الزينة والوقار ، والغنى المادي أو المعنوي . ومن ذلك قوله - تعالى - : ((يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ))(١).

وهذه الأنواع من الحلي فيها أيضًا - كما يقول محمد عادل القليلي- : " إشارة إلى إمتاع العين بمتعها البريئة ، وهي من نعم الله التي لا ينبغي إنكارها ، وهي زينة بصرية تتمتع بها العين ، وهي ضمن المتع الشرعية " (٢).

وهناك من الأمتعة والأثاث تضم ما يُسمّى بالآنية ، والأوعية ، والفرش ، والألبسة جميعها ، والبسط ، والأكسية ، وغيرها مما يتمتع بها الإنسان ، وتشير إلى الهيئة والمنظر . كما في قوله - تعالى - في سورة النحل : ((وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ))(٣). وقال في سورة مريم : ((هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرَثًا))(٤) .

هـ - الروائح :

من المعروف أنّ الروائح تحمل صفتي التطيب والراحة ، لكونها تبعث السرور والبهجة في النفس ، والطمأنينة في القلب ، كما أنّ رائحتها تهدئ الأعصاب . وقد عبّر القرآن الكريم عن ذلك بالمسك والريحان ، وهما من الطيب ، كما في قوله تعالى : ((يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ . خِتَامُهُ مِسْكٌ))(٥) . وقال أيضًا : ((فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ))(٦) . وقال - تعالى - في سورة الرحمن : ((وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ))(٧) .

فالمسك : " ضرب من الطيب يتخذ من ضرب من الغزلان " (٨) . أمّا الريحان فهو : " نبات معروف طيب الرائحة لا يستعمل إلا لرائحته العطرة " (٩) ، وذكره هنا إشارة إلى أنّنا علينا أن نتمتع بجميع المواد الطيبة الرائحة ، وقد كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أكثر الناس تطيبًا .

١ فاطر ، آية : ٣٣ .

٢ محمد عادل القليلي ، نظرات جديدة في القرآن المعجز ، ص ١٠٧ .

٣ النحل ، آية : ٨٠ .

٤ مريم ، آية : ٧٤ .

٥ المطففين ، آية : ٢٥ - ٢٦ .

٦ الواقعة ، آية : ٨٩ .

٧ الرحمن ، آية : ١٢ .

٨ إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٩٠٧ .

٩ م . ن ، ص ٤٠٥ .

وهذا يدخل ضمن حاسة الشم أو ما يُسمى بـ " الإشارة الشميّة التي تخاطب الأنف " (١). التي يجب أن نمتّع أنفسنا من خلالها بما خلق الله سبحانه وتعالى من متع طبيعيّة طيّبة (٢) ؛ لأنها تبعث السرور والبهجة في النفس ، بعكس الروائح الكريهة التي تؤدي إلى ضيق النفس ونفورها .

٢- الآلات والأدوات المرافقة :

أ- العصا :

تشكّل العصا في القرآن الكريم رمزاً للمنفعة والهيبة ، وهي من المتممات المساندة التي تقضي إلى دلالات ، وقد تساند الإنسان في الملمات (٣) ، حيث اصطحبها معه منذ القدم في حلّه وترحاله ، كما اتخذها سلاحاً يحمي بها نفسه من المخلوقات المفترسة . ولعظمتها فقد جعلها الله - سبحانه وتعالى - معجزة لموسى عليه السلام الذي كان يعتمد عليها في تسيير أمور حياته ، كما جاء في سورة طه : ((قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى)) (٤).

قال الجاحظ عن العصا في قول موسى (وليّ فيها مآربٌ أخرى) : " دليل على كثرة المرافق لأنه لم يقل : وليّ فيها مآربة أخرى ، والمآرب كثيرة " (٥). وعدا كون العصا معجزة موسى عليه السلام ، فهي تحمل معاني وفوائد عدّة ومنافع وحاجات ، وجاء في تفسير السعدي أنّ فيها منفعتين :

أولاً : منفعة لجنس الأدمي : وهو أنه يعتمد عليها في قيامه ومشيه ، فيحصل فيها معونة .
ثانياً : منفعة للبهائم : وهو أنه كان يرعى الغنم فإذا رعاها في الشجر ، هشّ بها ، أي : ضرب الشجر ليتساقط ورقه فيرعاها الغنم ، وهذا يدل على الإحسان للحيوان من قبل موسى عليه السلام ، هذا مع وجود عناية الله ورعايته وحكمته (٦).

ولأهميتها ؛ فقد أدرجها الثعالبي إلى الحربة والرمح (٧) . كما جعلها الجاحظ سوطاً وسلاحاً ، وعلّق على الوظائف الاجتماعية والسياسية والبلاغية للعصا وما شابهها من الآلات التي يستعملها الإنسان قائلاً : " وهل يملأ عيون الأعداء ويرعب قلوب المخالفين ويحشو صدور العوام ... إلا

١ محمود السعدي ، علم اللغة ، ص ٦٣ .

٢ انظر : محمد عادل القليلي ، نظرات جديدة في القرآن المعجز ، ص ١٠٦-١٠٧ .

٣ ذكر قوم بعض فوائد العصا منها : " أنّ موسى عليه السلام كان يغرزها في الأرض ويلقي عليها ما يظله ، وإذا مشى كان يلقيها على عاتقه ، ويلقى عليها القوس والكنانة والمخلاة ، ويقاوم بها السباع على الغنم . وذكر الحسن البصري ست خصال فيها : وهي سنة للأنبياء ، وزينة الصلحاء ، وسلاح على الأعداء ، وعون للضعفاء ، وغمّ للمنافقين ، وزيادة في الطاعات " . انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ١٠٧/١١ .

٤ طه : آية : ١٨ .

٥ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٥٤/٣ .

٦ انظر : السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٥٣٨-٥٣٩ .

٧ انظر : الثعالبي فقه اللغة وسر العربية ، ص ٢٥١-٢٥٢ .

الآلات " (١) . ولهذا فقد اعتبرت من " الروافد المفضية إلى دلالات وإيماءات ، فشكلها ، وسمكها ، ومادتها المؤلفة ، وتنميقها ، وهيئة حملها ، كلها تساهم في ترشيح المعاني " (٢).

ب- الدَّرْع :

الدرع أداة من الحديد(٣) ترمز إلى الدفاع . وتعبّر في القرآن الكريم عن الحماية والوقاية والتحصين من العدو وسلاحه وقت الحرب أو القتال ؛ وذلك لبعث الهمّة وشدّة العزيمة في الحرب ، كما في قوله - تعالى - في سورة الأنبياء : ((وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ)) (٤). وقوله أيضاً في سورة سبأ : ((وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ)) (٥).

فالمراد بـ (اللبوس) في سورة الأنبياء (الدَّرْع) ؛ لأنها تلبس ، وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ، ويستعمل عند العرب في السلاح كلّهُ ، درعاً كان أو سيفاً أو رمحاً ... إلخ (٦).

وقوله : (لُتْحِصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ) ، قال ابن كثير : " يعني في القتال " (٧). وقال غيره من المفسرين : " أي وقاية لكم من حرب أعدائكم ومن سلاحه ، والحفظ عند الحرب " (٨).

وأما قوله في سورة سبأ : (أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ) ، قال ابن كثير : " سابغات هي الدَّرْع " (٩).

وقال القرطبي : " أي دروعاً سابغاتٍ ، أي كوامل تامّات واسعات ، ويقال : سبغ الدَّرْع والثوب وغيرهما إذا غطى كل ما هو عليه " (١٠).

وهذه الأداة هي هبة ونعمة من الله سبحانه وتعالى ، علّمها لنبيّه داود - عليه السلام - الذي راح يصنع الدَّرْع (١١) من الحديد بعد أن ألّاه الله له ؛ لتقي المحاربين من سهام الأعداء ،

١ انظر : الجاحظ ، م . س ، ٣ / ٧٠ + ١١٥ .

٢ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ٦١ .

٣ الدَّرْع : جمعه أدرع وأدرع ودروع ، ويسمى في اللغة العربية (الزَّرْدِيَّة) : وهي قميص من حلقات من الحديد متشابكة ، يلبس وقاية من السلاح ، ويطلق أيضاً على قميص المرأة . وسميت السفينة الحربية اليوم بر (المدرعة) لأنها تدرع بالصلب ، والدَّرْع : يذكر ويؤنث ، فيقال : درع سابع ودرع سابعة . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (درع) . وإبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٣٠٤ .

٤ الأنبياء ، آية : ٨٠ .

٥ سبأ ، آية : ١٠ - ١١ .

٦ انظر : البغوي ، معالم التنزيل ، ص ٨٤٣ . والأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٥٠١ . وإبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٨٤٩ .

٧ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص ٢٠٤٤ .

٨ انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ص ٢٢٧ / ١١ . والسعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٥٦٧ .

٩ ابن كثير ، م . س ، ص ١٥٣٣ .

١٠ القرطبي ، م . س ، ص ٢٤١ / ١٣ .

١١ وردت الدروع كذلك في القرآن بمعنى (السرابيل) ، كما في قوله تعالى : ((وَسَرَابِيلٌ تَقِيكُمْ بِأْسِكُمْ)) النحل ، آية : ٨١ .

فقد كانت مشكلة قومه هي كثرة الحروب في زمانهم ، وكانت الدروع الحديدية التي يصنعها الصناع ثقيلة ، فتمنع المحارب أن يتحرك كما يشاء أو يقاتل كما يشاء (١) .

ومع أنّ هذه الأداة تساند المحاربين في القتال ، فهي - أيضاً - فيها دلالة تلمح وتصرّح بحرفة صاحبها ، وقد ذكر الجاحظ " أنّ هذه الأدوات من المفضيات إلى هذه المعاني ، وأنّ كل صناعة قد تصوّر صاحبها على ما يشاكلها ، وأنّ المداومة عليها قد تؤذن بظهور علامات جسدية مخلوقة " (٢) .

ج- الميزان :

من المعروف أنّ الميزان آلة يستعملها الإنسان لقياس وزن الأجسام المادية (٣) ، لكنّه في الأساس يطلق على " كل آلة مادية أو لفظية أو ذهنية تستعمل لقياس كميات الأشياء ، ولهذا فإن كلمة (الميزان) تطلق على غير ما وضعت له في الأصل " (٤) .

إنّ الميزان يشكّل لدى الإنسان رمزاً للعدل والمساواة ، وقد جاء في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ليعبّر عن العدل في كل نواحي الحياة . ومن ذلك :

- ما قاله الرحمن في سورة الرحمن : « وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ . أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ . وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ » (٥) .
- وقال في سورة الأنعام : « وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ » (٦) .
- وقال أيضاً في سورة الأعراف : « فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا » (٧) .

١ انظر : محمد محمود عبدالله ، معجزات الأنبياء ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، ص ١٧١ .
٢ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ٩٢ . انظر أيضاً : الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٩٥ - ٩٠/١ . والبرصان والعرجان ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .

٣ وهناك آلات أخرى تعتبر من الموازين أيضاً : مثل ميزان الحرارة ، وآلة الضغط للمرضى ، وآلة قياس الطول ، وآلة قياس السرعة (ميزان السرعة) ، والساعة اليدوية والساعة الجدارية لميزان الزمن ، وبعض الأدوات الهندسية مثل المسطرة والمنقلة ، بل إنّ للكلام موازين ، كالأوزان العروضية التي توزن بها القوائد الشعرية ... ، وهناك موازين لقياس قدرات الإنسان الذهنية ، وما الامتحانات المدرسية إلا ميزان يقاس به ذكاء الطالب ومقدار علمه ، وهناك موازين لقياس أخلاق الإنسان وامتحانها ، وما المصائب التي تصيب الإنسان إلا ميزان تقاس به أخلاق الإنسان من صبر ووفاء ، وهناك أيضاً الميزان الحسابي ، والميزان التجاري ، وميزانية النولة ، والتوازن الاقتصادي ، ... إلخ . انظر : محمد عادل القليلي ، نظرات جديدة في القرآن المعجز ، ص ٩٤ . وإبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ١٠٧٢ - ١٠٧٣ .

٤ محمد عادل القليلي ، م . س . ص ٩٥ .

٥ الرحمن ، آية : ٧ - ٩ .

٦ الأنعام ، آية : ١٥٢ .

٧ الأعراف ، آية : ٨٥ .

- وقال في سورة الشعراء : ((أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ)) (١) .
- أمّا في سورة الشورى فيذكر الحق الإلهي قوله : ((اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ)) (٢) .
- ويذكر في سورة الحجر أيضاً : ((وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ)) (٣) .

إنّ فكرة الميزان في الآيات السابقة تشير إلى كل ما يتعلّق بالعدل القائم على التوازن والتسوية والحق والاعتدال . وقد أطلق القرآن الكريم على العدل ميزاناً لأنّ الميزان هو " آلة الإنصاف والعدل والتسوية " (٤) . وقد جاء في كتاب الإشارات في علم العبارات : " أن من رأى الميزان فإنه يدل على انبساط العدل وارتفاع الظلم " (٥) .

إنّ الميزان : هو " العدل في إعطاء الناس حقوقهم بحيث يصل كل ذي نصيب إلى نصيبه ، وهو العدل في الأخذ والإعطاء عند البيع والشراء " (٦) . والميزان هو " العدل في الأفعال والأقوال ، وفي الأوامر والنواهي ، وفي معاملات الخلق ، وفي الجنایات والقصاص والحدود والمواريث ، وغير ذلك من الاعتبارات الشرعية ، والعلل ، والأحكام ، والحكم " (٧) .

إنّ القرآن ميزان الجميع ، والله خلق السموات والأرض بميزان ، أي بالحق والعدل ؛ لتكون الأشياء كلّها بالحق والعدل " فمن ينظر إلى ما حوله من الكائنات يجدها رغم اختلافها ، وتعددتها متوازنة في ظل رحمة الله وهيبته ؛ ليجعل من الإنسان شخصيّة متوازنة ، فالإنسان ميزان ، وعقله ميزان ، ويده ميزان ، وعينه ميزان " (٨) ، وعمله ميزان ، ونومه ميزان ، ووقته ميزان ، وطعامه ميزان ، وشرابه ميزان ... إلخ . فالميزان هو آلة الإنسان التي يقيم بها أمور حياته كلّها .

٢ - الإشارة الضوئية

١ الشعراء ، آية : ١٨١-١٨٢ .
٢ الشورى ، آية : ١٧ .
٣ الحجر ، آية : ١٩ .
٤ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ١٥ / ١٦ .
٥ ابن شاهين ، الإشارات في علم العبارات ، تحقيق سيد حسن ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، ص ٥٢ .
٦ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص ٧٤٣ + ص ٩٦٤ .
٧ السعدي ، تيسير الكريم في تفسير كلام المنان ، ص ٨٢٨ + ٩٣٢ .
٨ محمد عادل القليلي ، نظرات جديدة في القرآن المعجز ، ص ٩٣-٩٥ .

والمقصود بالإشارة الضوئية : الأشكال البصرية التي تعتمد على إصدار علامات ، تتبعث منها إشارات ضوئية تخاطب العين ، وهذه الإشارات قد يعبر بها عما في النفس من حالات مختلفة ، وقد تدرك بها حاسة البصر المواد (١).

وسيتم تناول هذه الإشارات في القرآن الكريم في قسمين :

١- الألوان ، من مثل : (الأبيض ، والأسود ، والأصفر ، والأخضر ، والأحمر ، والأزرق)

٢- العلامات المتمثلة بالأجسام النيرة ، من مثل : (النور ، والنار ، والنجوم ، وعلامات أخرى .)

١- الألوان :

وتشمل بعض الألوان سواءً أكانت طبيعية أم صناعية (٢)، كالأبيض ، والأسود ، والأصفر ، والأخضر ، والأحمر ، والأزرق . وما تشير إليه من دلالات في النص القرآني .

وقبل أن أعرض لهذه الألوان التي أشار القرآن الكريم إليها لا بدّ من معرفة ما هو اللون ؟ وما هي أهميته ؟ .

" إنّ اللون إحساس بصري مترتب على اختلاف أطوال الموجات الضوئية في الأشعة المتطورة ، وهو الاختلاف الذي يترتب على إحساس العين بألوان مختلفة بادئة بالأحمر ، ومنتهية بالبنفسجي . إنّ اللون وسيلة تعبر بها النفس عن العاطفة ، وله تأثير على الذاكرة ، والحالة المزاجية والانفعالية للفرد ، ولكل لون مدلول يختلف من فرد لآخر سلبيًا وإيجابيًا ، وكذلك من ثقافة لأخرى " (٣).

لذا فإنّ اللون " يؤدي المعني عن طريق الإشارة الضوئية التي يبعثها ، وتختلف الألوان تبعًا لاختلاف المعاني ، كما تختلف الألفاظ قياسًا على اختلاف المعاني " (٤).

وعن تشكيل اللون وأهميته في الحياة ، يقول الصادق الميساوي : " إنّ اللون تشكّله ضروب وتؤلّفه أجناس ، تستحسن بعضه فترتضيه وتستقبح بعضه فلا تبتغيه ، بل إنها قد تضرب صفحًا عن بعضه فلا ترتئيه . واللون منشأ إدراك الذات بما هي ذات ... فحين أدرك الإنسان لون بشرته

١ انظر : محمود السعراي ، علم اللغة ، ص ٦٤ . ومحمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٨٥ .
٢ يعتبر الباحثون أن الألوان الطبيعية تنشأ من تغيّر ألوان أعضاء الجسم تبعًا للمواقف التعبيرية ، فتبدّل البشرة والوجنتين وسواهما من لون إلى آخر ، كاحمرار الخدود مثلاً . أما الألوان الصناعية : فتلك التي يقوم المرء بصنعها ، كارتداء الثوب الأسود ليعبر عن موقف ما ، كالحداد مثلاً ، أو استخدام الأعلام الحمراء وقت الخطر أو الحرب ... إلخ . انظر : محمد كشاش ، لغة الإشارة من البدائية والتلقائية إلى لغة عالمية ، مجلة الفكر العربي ، ع ٩٥ ، السنة العشرون ، شتاء ١٩٩٩م ، ص ٢٠ .
٣ محمد عبد المجيد عبد العال ، المفاهيم النفسية في القرآن ، ص ١٣٤ .
٤ محمد كشاش ، م. س ، ص ٢٠ .

أدرك ذاته ، فإذا هو موجود بما هو لون وسحنة وسيماء : لونه ذاته ، وذاته لونه ... بل إنّ لون الجلد كان منشأ الإحساس بالجمال ، فما الجمال إلّا جمال الجلد...وهو عيار الحسن الإنساني والكمال البشري " (١) .

وأعتبرت الألوان إشارات أو علامات بصريّة يعبر بها عمّا في النفس من حالات مختلفة (٢) ؛ بلجأ إليها كثير من الشعراء والأدباء والكتاب ، وحتى عامة الناس نجد عندهم تعبيرات مثل : فلان ضحكته صفراء ، وفلان ينطير الشرر الأحمر من عينيه . والعرب أيضًا تصف فتقول : " عيش أخضر ، وموت أحمر ، ونعمة بيضاء ، ويوم أسود ... إلخ " (٣) . ويقول محمود السعمران : " نحن نستعمل الألوان لتسمية بعض صفات الشخصية أو الخلق ، فنقول : (أصفر الوجه) ، و (أبيض القلب) ، و (قلبه أسود) " (٤) .

لذا ؛ أصبحت الألوان جزءًا من الحياة الثقافية والاجتماعية ، ودون ذلك سيصاب المجتمع بعمى الألوان ، وهنا كان تركيز القرآن الكريم ، وذكره لبعض الألوان ليس من باب الصدفة بل ليخدم غايات دينية واجتماعية وفكرية ، عدا عن مشاهد الجمال التي تشكلها هذه الألوان المتمثلة في القرآن الكريم بالأبيض ، والأسود ، والأصفر ، والأخضر ، والأحمر ، والأزرق .

لقد جعل الله - تعالى - مما خلقه ، ووضع في الأرض ، من نباتات ، وحيوانات ، وجمادات ، وغيرها ، مختلفة الألوان كما في قوله : ((وَمَا دَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ)) (٥) . وقوله أيضًا : ((وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ)) (٦) .

والنص القرآني يضع عبارة (مختلف ألوانه) بصورة عامّة ولم يحددها ؛ ليوحي بتعدد ألوان النبات والحيوان ، فتكون عبرة وعظة وتذكرة ؛ لأنّ السرور البشري يتحقق في تعدد الألوان ، ثم ذكر الله تعالى بعد ذلك آيات عديدة فيها من الألوان كلٌّ على حدة ، فيها من المعجزات الإلهية التي تدعو إلى التأمل والرؤية ببصر العين وبصيرة العقل .

وإليك هذه الألوان التي اختارها الصانع عزّ وجل في كتابه العزيز :

أ- اللونان الأبيض والأسود :

١ انظر : الصادق الميساوي ، الألوان في اللغة والأدب ، حوليات الجامعة التونسية ، ٣٦ع ، ١٩٩٥م ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
٢ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٨٥ .
٣ أبو منصور الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، ص ١٠٦ .
٤ محمود السعمران ، علم اللغة ، ص ٢٧٥ .
٥ النحل ، آية : ١٣ .
٦ فاطر ، آية : ٢٨ .

يُعدّ اللونان الأبيض والأسود لونين نقيضين ، ويشيران إلى حالتين متضادتين ، ومصيرين متعاكسين ، كما أنهما من أكثر الألوان ورودًا في القرآن الكريم .

ويرتبط اللون الأبيض في الثقافة العربية بالطهارة والبراءة ، وهو لون مصاحب للنور والصفاء . " والبياض أفضل لون عند العرب ، عبّروا به عن الفضل والكرم حتى قيل لمن لم يتدنّس بمعيب هو أبيض اللون " (١). " وفي مصر القديمة كان الأبيض لون الفرح والبهجة ، والإسلام يربط اللون الأبيض بالرجولة والزّعامة والقيادة والتصوف ، كما أنّ الأثواب البيضاء الفضفاضة التي يرتديها العرب والمسلمون تخدم غاية رمزية وغاية عملية " (٢) .

أمّا اللون الأسود (٣)، فهو أهول لون عند العرب (٤)، يرتبط بالكآبة والقتامة والإعتماد وعدم الوضوح ، فهو لون " يكدر الروح ، ويعمي القلوب ، ويولد الأخلاط السوداء ؛ لأنه اللون المشاكل للظلام وما فيه من قتامة وهواجس ، وهو عند المسلمين لون الكفر والضلال ، وسوء الحال والمآل في الآخرة " (٥). قال - تعالى - : ((وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ)) (٦).

ويذكر القرطبي في تفسيره : " نهى ابن الزبير ومحمد بن أبي كثير عن لباس النعال السود ؛ لأنها تهم " (٧) ؛ أي : تبعث الهم في النفس (٨) .

ويشير القرآن الكريم إلى هذا التناقض بين هذين اللونين في كثير من الآيات ، منها :

﴿ قوله - تعالى - في سورة آل عمران : ((يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضتْ وُجُوهُهُمْ ففي رحمة الله هم فيها خالدون)) (٩) .

١ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٧٨ .

٢ الن بيز ، لغة الجسد ، ص ١٩٣ .

٣ يقال : " إن هواة اللون الأسود هم من أكثر الناس سخطًا على حياتهم ، وهم كثيرًا ما يشعرون بأنهم خاضعون لقوى يصعب عليهم احتمالها أو التكيف معها ، أما الذين يكرهون اللون الأسود ، فإنهم في حقيقة الأمر يكرهون فكرة الموت ، ويريدون الابتعاد عن كل ما يشعرهم بانتهاة أجلهم لأنهم يحنون الحياة أكثر من غيرهم " . انظر : أيمن أبو الرّوس ، فن قراءة الوجوه وكشف خبايا النفوس ، ص ٦٦ .

٤ الأصفهاني ، م . س ، ص ٧٨ .

٥ انظر : أبو ياسر ، معاني الألوان في الشعر والقرآن ، منتدى التربية والتعليم ، ص ١-٢ ، موقع :

<http://moudir.com/vb/member.php?u=٥٩٩١٨>.

٦ الزمر ، آية : ٦٠ .

٧ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ١ / ٤٢٠ .

٨ انظر : الأصفهاني ، م . س ، ص ٥٧٧ . وإبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ١٠٣٧ .

٩ آل عمران ، آية : ١٠٦-١٠٧ .

﴿ قوله - تعالى - في سورة فاطر : ((وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ)) (١) .

﴿ وجاء في سورة الصافات : ((بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ . وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ . كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ)) (٢) .

﴿ وقال - تعالى - في سورة الزخرف : ((وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ)) (٣) .

في هذه الآيات يتجلى غرض اللونين (الأبيض ، والأسود) ، ففي سورة آل عمران جعل الله تعالى البياض علامة على حسن المصير في الآخرة لما يحمله من البشرى والمسرة ، في حين جعل السواد علامة على سوء المصير أو المساءة ؛ لما يحمله من الحرج والخزي والغم " (٤) .
وعلامة السواد هذه المتمثلة بالحرج والخزي تحمل المدلول نفسه في سورة الزخرف وذلك حين وصف الله وجه الإنسان بالسواد . واستعمل الأبيض أيضاً " في الطهر والقبول عند الله للمؤمنين الذين سينالون الرحمة من الله ، كما أن هذا اللون يظهر جمالاً رائعاً ، حيث شبّه الله تعالى به - لجماله وصفاته - في سورة الصافات الكأس عندما تحتوي على شراب طاهر فيه لذة للشاربين ، كما أنه وصف به زوجات أهل الجنة ذوات العيون السوداء الكاحلة والمشبهات بالبياض المكنون " (٥) .

كذلك ضرب الله - تعالى - مثلاً بالبياض في سورة فاطر في (الجُدُ البياض) وهي " جمع (جُدَّة) ؛ أي : طريقة ظاهرة ، من قولهم : طريق محدود " (٦) ، وهذه الطرائق تخالف لون الجبال . كما ضرب الله - تعالى - مثلاً بشدة السواد في (الغرابيب السود) ، وهي " جمع (غرّيب) ، وهو المشبه للغراب في السواد ، لأنه معروف بلونه الأسود الحالك " (٧) ، والعرب تقول " للشديد السواد الذي لونه كلون الغراب : أسود غرّيب " (٨) .

١ فاطر ، آية : ٢٧ .

٢ الصافات ، آية : ٤٦ - ٤٩ .

٣ الزخرف ، آية : ١٧ .

٤ انظر : الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٢٧٧ . و أبو ياسر ، معاني الألوان في الشعر والقرآن ، منتدى التربية والتعليم ، ص ٣ . موقع :

<http://moudir.com/vb/member.php?u=٥٩٩١٨> .

٥ نسايح الدخيل ، الألوان في القرآن الكريم : بلاغة البيان الإلهي ، منتديات الحصن النفسي ، ص ٢ ، موقع : www.bafree.net/forum/archive/-٣٨٠٦١.htm - ٥٥k .

انظر أيضاً : موقع :

<http://media.islamway.com/several//alfatinah/٠٢.mp3> .

٦ الأصفهاني ، م . س ، ص ١٠٠ . وإبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ١٣٠ .

٧ م . ن ، ص ٢٧٧ .

٨ انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص ١٥٥٤ . والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٣٠٧ / ١٤ .

إنّ هذا التتابع لهذين اللونين في آية واحدة أحياناً ، يأتي للتعبير عن التباين الشديد بينهما ، "فقمّة التباين تعطي للأبيض نضاعةً ووضوحاً ، وتعطي للأسود قتامةً وإعتامًا (١) .

ب- اللون الأصفر :

هناك دلالات كثيرة يوحي إليها اللون الأصفر في القرآن الكريم ، وهذا ما تشير إليه الآيات القرآنية التالية :

« قال - تعالى - في سورة البقرة : ((قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ)) (٢) .

« وقال - تعالى - في سورة المرسلات : ((إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ)) (٣) .
« وقال في سورة الروم : ((وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ)) (٤) .
« وجاء في سورة الزُّمَر : ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فِتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ)) (٥) .

« أمّا في سورة الحديد فيذكر البيان القرآني : ((اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وِزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فِتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)) (٦) .

من خلال الآيات القرآنية السابقة يتبين أنّ للون الأصفر في القرآن الكريم دلالات مختلفة ومتعددة ؛ وذلك حسب ورود هذا اللون في السياق القرآني ، ففي سورة البقرة وصف الله -

١ نساييم الدخيل ، الألوان في القرآن الكريم : بلاغة البيان الإلهي ، منتديات الحصن النفسي ، ص ٢ ، موقع : www.bafree.net/forum/archive/-٣٨٠٦١.htm - ٥٥k .

٢ البقرة ، آية : ٦٩ .

٣ المرسلات ، آية : ٣٢ - ٣٣ .

٤ الروم ، آية : ٥١ .

٥ الزُّمَر ، آية : ٢١ .

٦ الحديد ، آية : ٢٠ .

سبحانه وتعالى - البقرة بأنّها (صفراء فاقع لونها(1)تسر الناظرين) ؛ وذلك " دلالة على جمالها وتألقها وحيويتها ، وذلك في عبارة موجزة بليغة " (٢).

وجاء في تفسير القرطبي : " قال ابن عباس : الصُّفرة تسرّ النفوس ، وحضّ على لباس النعال الصُّفر ، وقال علي بن أبي طالب : من لبس نعلي جلد أصفر قلّ همّه ؛ لأنّ الله تعالى يقول : (صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) " (٣).

ويرفض معظم المفسرين أن يفهم قول القرآن (فاقع لونها) بمعنى تسودّ من صفرتها ويجعلونه قولاً غريباً ، ويرى القرطبي أنّ ذلك " لا يستعمل إلاّ مجازاً في الإبل فقال تعالى : (كأنه جمالة صفر) وذلك أنّ السود من الإبل سوادها صفرة ، ولو أراد سبحانه وتعالى السود في حديثه عن البقرة لما أكدّه بالفقوع ، فالفقوع نعت أو صفة مختص بالصفرة ولا يوصف بها السواد ، تقول العرب : أسود حالك وحلكوك ، ودجوجي غريب ، وأحمر قانٍ ، وأخضر يانع ، وأبيض ناصع وساطع ، وأصفر فاقع " (٤).

فقوله تعالى في سورة المرسلات (جمالة صفر) فيه " تعبير عن الضخامة والتكثّل بربطه بالجمال الصُّفر المتحرّكة في وصف فني رائع لمعنى الشرر الملتهب المتطاير . أمّا في سورة الروم والزمر والحديد ، فاللون الأصفر عبارة عن نذير لفقدان الحياة والحيوية والعدم والحطام " (٥) ، كما يعبر عن إرهاصات الموت والفناء المتمثل باصفرار النبات الذي هو أعظم دلالة على التهيؤ للزوال أو الهلاك ، كما الشيخوخة والاستنزاف والضعف (٦) " (٧).

ج- اللون الأخضر :

يعد اللون الأخضر أكثر الألوان انتشاراً وأعظمها شأنًا ، يكسو الأرض في مساحات شاسعة مترامية الأطراف في الحقول والجبال والوديان ، وفي الحدائق والبساتين ، وهو " لون مملكة النبات ويعني : النمو والخصب والانتعاش ، والأخضر لون مقدّس في الإسلام " (٨) ، وتقول العرب : (عيش أخضر) ، كناية عن رغد العيش(١).

١ قال لبيد في الأصفر الفاقع :

سدمًا قديمًا عهدته بأنيسه

انظر لبيد بن أبي ربيعة ، الديوان ، ص ٢٠٧ .

٢ نساييم الدخيل ، م . س .

٣ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ٤٢٠/١ .

٤ انظر : م . ن . والثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، ص ١٠٣ .

٥ نساييم الدخيل ، الألوان في القرآن الكريم : بلاغة البيان الإلهي ، منتديات الحصن النفسي ، ص ٢ ، موقع :

www.bafree.net/forum/archive/-٣٨٠٦١.htm-٥٥k .

٦ الضنّي : المرض أو الهزال الشديد ، ويوصف به السقيم والمرضى الذي طال مرضه فأثقله المرض حتى نحل جسمه ، وقد يوصف به المفرد والمذكر وغيرهما على السواء ، وبعضهم يثنّيه ويجمعه ، فيقول : هم أضناء . انظر : إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٥٧١ .

٧ أبو ياسر ، معاني الألوان في الشعر والقرآن ، منتدى التربية والتعليم ، ص ٢ . موقع :

<http://moudir.com/vb/member.php?u=٥٩٩١٨> .

٨ آلن بيز ، لغة الجسد ، ص ١٩٧-١٩٨ .

إنّ اللون الأخضر يبعث بهجة والفرح في النفوس ، وقد حظي في القرآن الكريم بأكثر من أي لون آخر بل قد يتفوق عليها(٢)، وهو أفضل الألوان كلّها وأشرفها ؛ وذلك لأمرين :

الأمر الأول : " إن الله سبحانه وتعالى وصف في كتابه العزيز أهل جنّته المخصوصين بتقريبه ومزيّته بلباس الثياب الخضر"(٣)، فقال - تعالى - في وصفهم : ((وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ))(٤). فلو كان في الألوان أفضل من الخضرة لوصفهم الله - سبحانه وتعالى - بذلك . لذا فإنّ اللون الأخضر هو لون ثياب البررة والأتقياء .

الأمر الثاني : " ما في لون الخضرة من تقوية للنظر وزيادة في حاسة البصر ، وسبب ذلك فيما يقول أهل الطب أنّ اللون الأخضر يجمع الروح الباصر جمعاً مستلذاً غير عنيف ، وإن كان اللون الأسود يجمع الباصر أيضاً ، لكنّه يجمعه بعنف واستكراه ، على ضد ما يجمعه اللون الأخضر " (٥) .

وإذا كان اللون الأخضر يمثّل لباس الأتقياء والبررة في الجنّة ، فهو يمثّل النعمة والرضا والاطمئنان والسرور لهم أيضاً ، كما في قوله تعالى : ((مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ))(٦) .

عدا ذلك ؛ فإنّ القرآن الكريم يشير إلى اللون الأخضر في موضع آخر على أنه يرمز إلى الخصب والنماء والبركة ، كما في قوله - تعالى - : ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ))(٧) ، وقال - تعالى - أيضاً في الزرع الأخضر الناضر : ((وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا))(٨) .

١ انظر : أبو منصور الثعالبي ، م. س ، ص ١٠٦ .
٢ لبيان أهمية اللون الأخضر وتفوقه على غيره من الألوان ؛ هناك قصّة طريفة حدثت في البحرين مضمونها : أنّ متجراً للحمّة كان صاحبه قد طلاه باللون الأصفر ، فانعكس هذا اللون على اللحمية المعلقة في المتجر ، فكانت النتيجة أن خفّ عدد الزبون القادمين إلى المتجر ؛ ظلّاً منهم أنّ اللحمية قد عفنت بسبب لونها الأصفر ، ولكن سرعان ما أدرك صاحب المتجر هذا الأمر فعاد وطلاه باللون الأخضر ، وحين ذلك عادت حركة الزبون إلى المتجر وبشكل متزايد .
٣ انظر : محمد السقا عيد ، الألوان في القرآن ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، ص ٧ ، موقع : http://www.55a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=818&select_page=12

٤ الكهف ، آية : ٣١ .

٥ محمد السقا عيد ، م . س ، ص ٨ .

٦ الرحمن ، آية : ٧٦ .

٧ الحج ، آية : ٦٣ .

٨ الأنعام ، آية : ٩٩ .

د- اللون الأحمر(١):

قد يصدر اللون الأحمر(٢)نتيجة " لإشارة طبيعية كاحمرار الخدود الذي يؤدي معنى الحب ، فالاحمرار ينتج عن زيادة خفقات القلب فتتسارع الدورة الدموية التي تعكس اللون الأحمر على الخدين "(٣).

وكان " القدماء المصريون يشيرون إلى الشخص ذي المزاج المنفعل بأنه (أحمر القلب) ، وأن يحمر المرء يعني أن يموت "(٤). كما كان العرب يصفون القتل أو الموت الشديد بـ (الموت الأحمر) (٥) ، والعرب أيضاً تضرب بالحمرة مثلاً للمكروه والأذى ، كما جعلت بعض القبائل من اللون الأحمر شعاراً لها قبل الإسلام .

أما في القرآن الكريم فنجد في اللون الأحمر تعبيرات تحمل صفات إيجابية محمودة ، فقد وصف الله - تعالى - قاصرات الطرف بقوله : ((كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ)) (٦) " ووجه الشبه هو الحمرة المحمودة أي حمرة الخد ، كما يشبه الخد بالورد ، وقد شبه الله - تعالى - السماء المنشقة بالوردة في حمرة لونها لتغيرها "(٧) ، فقال - تعالى - : ((فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ)) (٨) .

وقد يتوسط اللون الأحمر بين بعض الألوان للتباين ، ولتأكيد هذا التباين وقوة التعبير التشكيلية في تمثيل اللون الأحمر بوضعه بين بعض الألوان كالأبيض والأسود قال - تعالى - في سورة فاطر : ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ)) (٩) .

وتوسط الأحمر بين الأبيض والأسود في هذه الآية هو دليل على التباين والتعدد والتنوع ، " وخلق له للأشياء والمتضادات التي أصلها واحد ، ومادتها واحدة ، وفيها من التفاوت والفرق ما هو

١ " تستعمل اللغة الروسية مشتقات اللون الأحمر ، صفات للتعبير عن السرور ، والاستحسان ... وهو تحول دلالي قديم لا شك أنه متصل بما هو معروف عن الروس - في الريف خاصة - من تفضيل الألوان الباردة وهي مشاهدة بصورة واضحة في التطريز والأعمال الخشبية الريفية " . انظر : محمود السمران ، علم اللغة ، ص ٢٧٦ .

٢ يعد اللون الأحمر اللون العاطفي الوحيد من بين الألوان ، فهو يعبر عن عواطف دراماتيكية وهو عند النساء يرمز إلى القوة النسائية الخلاقة ، وكل قوة الحب والعواطف الإيجابية والمشاعر والانديفاع . انظر : آلن بيز ، لغة الجسد ، ص ١٩٥ - ١٩٦ .

٣ محمد كشاش ، لغة الإشارة من البدائية والثلاثية إلى لغة عالمية ، مجلة الفكر ، ٩٥٤ ، السنة العشر ، شتاء ، ١٩٩٩ م ، ص ٢٠ .

٤ آلن بيز ، لغة الحسد ، ص ١٩٥ .

٥ انظر : الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، ص ١٠٦ . والأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ١٤٧ .

٦ الرحمن ، آية : ٥٨ .

٧ أبو ياسر ، معاني الألوان في الشعر والقرآن ، منتدى التربية والتعليم ، ص ٢ . موقع :

<http://moudir.com/vb/member.php?u=٥٩٩١٨> .

٨ الرحمن ، آية : ٣٧ .

٩ فاطر ، آية : ٢٧ .

مشاهد معروف ؛ ليدل العباد على كمال قدرته ، وبديع حكمته " (١). كما أنّ هذا التوسط لا اعتبار أنّ هذا اللون من الألوان المتوسطة المعروفة كما يقول أهل اللغة (٢).

ومع أنّ هذا اللون كما يقول (آلن بيز) : " لا يناسب بالضرورة كل شخص ، فإنه ما يزال لوناً متفانلاً ونابضاً بالحياة " (٣).

هـ- اللون الأزرق (٤) :

اللون الأزرق هو " اللون الوحيد الذي يغمر سطح الأرض ، ويغلّفها وينعكس من الغلاف الجوي على شكل مسطح أزرق غامق عريض ، يسمى السماء ، كما أنه يحدد الأبعد ، ويعطي الشعور بالعمق ، وهو لون قابل للتأثر سلبي بارد ، يمتاز بتخفيف التوتر والعصبية عند الإنسان ، وهو في السماء سمو وعمق ويرمز إلى المحبة، وفي المياه برودة وارتواء " (٥).

وفي الثقافة العربية " يقترب اللون الأزرق في معانيه من اللون الأسود ، خاصة حين يكون أزرقاً ضارباً إلى الرمادي ؛ ذلك لأنه لون كريه ، فهو لون الموت والمرض والكآبة والحزن " (٦) ، إضافة إلى الشدة والقسوة ، فقد وصف العرب كلّ عدوّ عنده الشدة والقسوة بهذه الزرقة ، فقالوا : " عدوّ أزرق " (٧) .

أمّا في القرآن الكريم فقد ورد اللون الأزرق في آية واحدة في سورة طه ، وذلك في قوله - تعالى - : ((يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا)) (٨) .

قال الأصفهاني : " الزرقة بعض الألوان بين البياض والسواد " (٩). وقال المفسرون : " هي لون كلون السماء إثر الغروب ، وهو في جلد الإنسان قبيح المنظر ؛ لأنه يشبه لون الإصابة بحروق النار ، وظاهر الكلام أنّ الزرقة لون أجسادهم ، وقيل : إنّ المراد لون عيونهم من شدة ما هم فيه

١ السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٧٥٠ .

٢ انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (حَمْر) .

٣ آلن بيز ، م. س ، ص ١٩٥ .

٤ يعدّ اللون الأزرق في الثقافة الغربية لون الهدوء والسلام ، ويعتقد البوذيون أنّ الأزرق هو لون اللانهاية ، ويعتبر غالباً اللون المثالي للتأمل ، ويقال أيضاً : " إنّ الأشخاص المحبين للون الأزرق هم من أكثر الناس حساسية في التعامل ، وهم يتمتعون بقانون أخلاقي متشدد ، ويفضّلون محيطاً صغيراً من الأصدقاء عوضاً عن طائفة كبيرة من المعارف . أما من يكره هذا اللون فهو إنسان ميّال للهروب من الواقع ، فقد تراوده أفكار مفاجئة بتغيير مسكنه أو وظيفته أو ربّما زوجته بحثاً عن حياة أكثر إثارة بعيداً عن أرض الواقع المؤلم " . انظر : أيمن أبو الروس ، فن قراءة الوجوه وكشف خبايا النفوس ، ص ٦٥ . وآلن بيز ، م. س ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

٥ نساييم الخليل ، الألوان في القرآن الكريم : بلاغة البيان الإلهي ، منتديات الحصن النفسي ، ص ٣ ، موقع :

www.bafree.net/forum/archive/-38061.htm - ٥٥k .

٦ أبو ياسر ، معاني الألوان في الشعر والقرآن ، منتدى التربية والتعليم ، ص ٢ . موقع :

<http://moudir.com/vb/member.php?u=٥٩٩١٨> .

٧ لأنّ الروم كانوا يعرفون بعيونهم الزرق ، وقد كانوا من أشد الأمم عداوة وقسوة على العرب . انظر الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية ، ص ١٠٦ . وأبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، ٦ / ٢٥٨ .

٨ طه ، آية : ١٠٢ .

٩ الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٢٣٨ .

من الأهوال ، وقيل شخوص البصر من شدة الخوف والقلق ، والعرب تتشام بزرق العيون وتذمه ، أي تشوه خلقتهم بزرقه عيونهم وسواد وجوههم " (١) .

وهناك من المحدثين من يرى أنّ الزرق في هذه الآية " دلالة على أنّ هذه الأجسام لا تبلغ الموت والحياة ، فالمعروف أنّ لون الدم هو الأحمر ، وعندما يتحول إلى الأزرق فهذا يعني احتباس الأكسجين وفساده ، وهو أصدق تعبير عن الحشر " (٢) .

٢- العلامات :

ويقصد بها الأجسام النيرة التي ينتشر منها ضوء يعين على الهداية والإبصار ، أي : (المحسوس بعين البصر ، وليس المعقول بعين البصيرة) (٣)؛ لأنها من الإشارات الضوئية التي تخاطب البصر ، وتدرك بها المواد ، ومنها :

أ- النور : معنى النور في لسان العرب : " هو ما تدرك به حاسة البصر المواد ، خلاف الظلمة " (٤) ، وقال القرطبي : " النور في كلام العرب هي الأضواء المدركة بالبصر ، واستعمل مجازاً فيما صح من المعاني ولاح ؛ فيقال : كلام له نور . ومنه : الكتاب المنير ، والناس يقولون : فلان نور البلد " (٥) . وقد ورد النور في القرآن الكريم في آيات كثيرة وبمعانٍ متعددة ، من ذلك قوله - تعالى - : ((هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا)) (٦) .
وقال - تعالى - أيضاً : ((وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ)) (٧) .
وقال أيضاً : ((يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا)) (٨) .

فمع أنّ النور ورد في هذه الآيات ، وفي آيات أخرى في القرآن الكريم بمعانٍ متعددة ، كالقرآن والهدى ، والإيمان ، والقمر... إلخ ، إلا أنّ (النور) هنا يحمل دلالة أخرى ، تكمن في إشارته النورانية كعلامة يهتدي بها الإنسان خاصة في وقت الليل الذي أحوج ما يكون فيه الإنسان إلى التبصر والرؤية . ولذا فإنّ هذه العلامة التي أوجدها الله لتتبرر الطريق أمام الإنسان وتعين البشرية

١ انظر : الشوكاني ، فتح القدير ، ٤٧٧/٣ . والقرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ١٥٧/١١ . والطبري ، جامع البيان ، ٣١٦/٥ . وابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص ١٢٢٥ .

٢ نساييم الدخيل ، م . س .

٣ المعقول بعين البصيرة : ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن . انظر : الأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٥٦٤ .

٤ ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (نور) .

٥ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٢٣٧/١٢ .

٦ يونس ، آية : ٥ .

٧ الحديد ، آية : ٢٨ .

٨ الحديد ، آية : ١٣ .

؛ تعبّر عن مدى التّبصّر والرّؤية والإرشاد والهداية . وأكثر ما يتّضح ذلك في آية سورة الحديد في قول الباري : (أنظرونا نقتبس من نوركم) . قال القرطبي " أي انتظرونا نستضيء من نوركم " (١) .

ب- النار : وهي علامة أيضاً تشير إلى الهداية والإرشاد ، وقد " استعمل العرب النّار إشارة يهتدي بها الضيفان ؛ لينزلوا عند الواقد ، كأنّها لسان مقال يدعو الضالين أو المسافرين للنزول إلى مكان النار ، وهي أشبه ما تكون بمفهوم اليوم النداء داخل المطار ، يدعو الرّكاب للالتحاق بالطائرة لاقتراب وقت الإقلاع ، فكما يهتدي مسافرو الطائرة بالصوت المكبّر ، كذلك يهتدي مسافرو الصحراء بلون النار " (٢) .

وفي القرآن الكريم تمثل ذلك على لسان موسى - عليه السلام - في أكثر من موضع ، وذلك حين سار بأهله إلى بلاد مصر فضلّ الطريق وكانت ليلة شاتية دامسة بالظلام ، وحينها رأى ناراً قد ظهرت من جانب الجبل ، فذهب كي يأتي بشعلة منها يهتدي بها إلى الطريق ، كما في قوله - تعالى - في سورة طه : ((إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُنَّى)) (٣) .

وقوله في سورة النمل : ((إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَأَتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)) (٤) .

وقوله أيضاً في سورة القصص : ((إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَدْوَةٍ مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ)) (٥) .

ج- النجوم : وكانت النجوم أيضاً علامات أو أدلة يهتدي بها الناس ليلاً في سبلهم كي يسلكون طرقهم ، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في قوله - تعالى - من سورة الأنعام : ((وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)) (٦) .

فقد جعل الله - سبحانه وتعالى - النجوم أدلة في البرّ والبحر للناس ؛ ليهتدوا ويستدلّوا على الطريق ليلاً إذا ضلّوا أو تحيّرُوا (٧) .

١ القرطبي ، م.س .
٢ انظر : محمد كشاش ، لغة الإشارة من البدائيّة إلى النلقائيّة إلى لغة عالمية ، مجلة الفكر العربي ، ٩٥ع ، السنة العشرون ، شتاء ، ١٩٩٩م ، ص ٢١ .
٣ طه ، آية : ١٠ .
٤ النمل ، آية : ٧ .
٥ القصص ، آية : ٢٩ .
٦ الأنعام ، آية : ٩٧ .
٧ انظر : الطبري ، جامع البيان ، ٣ / ٤٧٥ - ٤٧٦ .

د- علامات أخرى : وإذا كانت النجوم أدلة يهتدي بها الناس ليلاً في سبلهم ، فإن الله جعل للناس علامات أخرى يستدلون بها نهاراً على طرقهم في أسفارهم ، كما جاء في سورة النحل في قوله - تعالى - : ((وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)) (١).

فالعلامات هي : " معالم الطرق بالنهار يقع الاهتداء بها " (٢)، وهي أشبه ما نسميه اليوم إشارات الطريق ورموز السير ، التي تطالع الإنسان في الطريق ، عند عبوره لها سائقاً كان ، أم راكباً ، أم راجلاً .

٣- الإشارة الصوتية (٣) :

- مهاد :

حين نكون " تحت وطأة الانفعال ، وتحت وطأة ألم قاس مفاجئ ، أو فرح غامر مباغت ، أو ما أشبه ذلك ، نتقوه ، دون إرادة منا ، بأصوات ، أو صرخات ، لا يفهمها السامع على أنها دالة على الانفعال نفسه ؛ أي يفهمها على أنها (كلام) (٤) ، وهذا التعبير غير الإرادي عن الشعور ، يختلف أشد الاختلاف عن الطريقة العادية المألوفة لنقل الأفكار ، كما أنّ هذه الأصوات ، أو الصرخات الغريزية لا توجه إلى أحد ؛ لا يقصد بها أن يسمعها أحد ... ولكنّها تحمل معنى إلى الذهن المدرك ؛ لذلك فملاحظة أننا تحت وطأة الانفعال ، ننتطق بأصوات لا إرادية ، يرى السامع أنها دالة على الانفعال نفسه " (٥).

ومع أنّ " اللغة من حيث إنها مجموعة من العلامات أو الرموز ، فهي الأصوات التي يحدثها جهاز النطق الإنساني ، والتي تدركها الأذن ؛ لأنّ هذه الأصوات تصدر نتيجة تعاون طائفة من أعضاء الجسم الإنساني كالرئتين ، والحنجرة ، واللسان ، والفم ، والأنف ، والشفيتين ، والأسنان ... إلخ " (٦).

١ النحل ، آية : ١٦ .

٢ انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٨٣/٩ . والطبري ، م . س ، ٦٦٩/٤ .

٣ قد تدخل الإشارة الصوتية فيما يسمى بالأسلوب الشفوي الذي يعتمد على الإيقاع والذبابة والتنغيم ، وذلك من خلال استعمال البقايا واستغلالها عن طريق أجهزة خاصة ، ولهذا جعلت السيمولوجيا لبحث السلوك الحركي فرعاً خاصاً من فروعها هو (التشخيصية) وهو لا يعني بدراسة الإيماءات والحركات الجسدية فحسب ، وإنما يُعنى كذلك بأثر التبدلات الصوتية أو بما يعرف بالمؤثرات الصوتية النوعية ، مثل : أنظمة الوقفات ، والتنغيم ، ونمط النبر ، ونغمة الصوت ، وشدة الصوت أو طبقة ، والإيقاع ، ودرجة سرعة الصوت ، ونحو ذلك مما يؤثر تأثيراً قوياً في تحديد المعاني الوظيفية والمعجمية معاً . انظر : محمد العبد ، اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ، ص ١٠٧ .

٤ يأتلف الكلام من وحدات صوتية صغيرة تسمى (الفونيمات) ، وتتنظم هذه الوحدات في مسلكين هما : الصوامت والصوائت ، وإن تغيير هذه الوحدات الصوتية يفضي إلى تغيير المعنى . انظر : مهدي عرار ، ظاهرة اللبس في العربية ، ص ١٥ - ١٦ .

٥ محمود السمران ، علم اللغة ، ص ٥٨ - ٥٩ .

٦ م . س ، ص ٧٠ .

إنّ المفردة الصوتية التي تولدها حركات عضلية ، وتدرّكها الأذن ، قد يكون لها محمول دلالي ، كما يمكن أن تحدد الشخصية ، وتوضّح معالمها . ومع أنّ المعاجم تمدّنا بمعاني الكلام ، فإنّ (التنغيم ، والنبر ، والمفصل ، والكثافة الصوتية) (١) ، كلّها تؤدّي وظيفة دلالية للمفردة الصوتية . ولا ينفصل عن ذلك شخصية المتكلم ، والظروف والملابسة للكلام ، وما يصحب ذلك - أيضاً - من حركة ، وإشارة ، وتتابع الحوادث ، والصورة ، وإدراك السياق ؛ مما يعين على فهم المقصود . كما ذكر اللغويون أنّ اجتماع قطبي العلامة اللغوية ، وهما : (الفكرة والصورة الصوتية) يُنشئ المعنى الإشاري (٢) .

لقد اعتبرت بعض الأصوات من وسائل الاستدلال التي يُعرف بها أخلاق الناس وطبائعهم ، وقد تطرق الرازي إلى أحوال هذه الأصوات ، ودلالاتها ، فذكر منها : " في حال استيلاء الغضب على الإنسان يصير صوته غليظاً جهيراً ، وعند استيلاء الخوف يصير صوته حاداً خفيفاً ... ، وقد يعود ذلك إلى التلازم بين الحالة النفسية والصوت المخصوص ، ومن خلال الصوت المخصوص يستدل على طبع الشخص ، وخُلقه " (٣) .

وذكر الرازي أيضاً من دلالات الصوت والنفس والكلام :

- " مَنْ كان صوته غليظاً جهيراً فهو شجاع ، فالصوت العظيم الغليظ الثقيل يدل على قوّة الحرارة ، فإنّ الحرارة توجب توسيع قصبه الرئة ، وتوسيعها يوجب عظم الصوت ، والحرارة توجب عظم النفس ، وتوجب سعة الصدر ، وذلك يوجب الشجاعة ، فالصوت العظيم الغليظ يدل على الشجاعة ، أمّا الصوت الصغير الدقيق فالبيد ، فقد يكون علامة من علامات الضعف .

- ومَنْ كان كلامه سريعاً فهو عجول قليل الفهم .

- ومَنْ كان كلامه عاليّاً سريعاً فهو غضوب سيء الخلق .

- ومَنْ كان كلامه منخفضاً فالبيد .

١ التنغيم : ظاهرة فونيمية عامة ، تدل على تغيّر درجة الصوت ، ارتفاعاً أو انخفاضاً لمناسبة المعنى المراد تعيينه ، وتنتسب هذه الظاهرة إلى " الفونيمات الفوقطعية " مودية وظيفتين متداخلتين : لغوية ، وأخرى غير لغوية . أمّا اللغوية فباستحضار التنغيم يكون بمكنة السامع أن يميز المعنى المراد ؛ ذلك أنه يستعمل لرفع الغموض النحوي . وأمّا الأخرى غير اللغوية ، فهي مبنية على الأولى ؛ ذلك أنّ التنغيم يهبط للمتكلم (على مستوى صوتي) أن يُبدي ما يعتمل في نفسه من مشاعر ، وبهذا يكون التنغيم في سياقه الحي محملاً بمعان غير لغوية تتضافر مع قريبتها اللغوية لتمثيل المعنى المراد .

النبر : مصطلح لغوي عام ، يدل على جهد صوتي مبذول على جزء من الملفوظ . ويستدل من هذا أنّ المقاطع المنبورة أظهر من المقاطع غير المنبورة .

المفصل : سكتة كلامية خفيفة بين الكلمات أو المقاطع يُتغى منها الدلالة على مكان انتهاء لفظٍ وبداية آخر .

الكثافة الصوتية : تؤدّي الكثافة الصوتية وظيفة دلالية من وجهة أسلوبية ، وهي واقعة في مضممار الأسلوب الفردي ، فقد تشيع أصناف من الأصوات على وجه التعيين شيوغاً يرتبط بدلالة النص الكلية ؛ أي أنّ هذا الاختيار الصوتي المكثف في سياقه يتناغم مع المعنى المتعّين ، أو المعنى الكلي ، فينشأ دلالة صوتية ، لها معنى ، ولها إشارة قيمة بحد ذاتها . انظر : مهدي عرار ، م.س ، ص ٢٢ - ٣٠ . والبيان بلا لسان ، ص ٢١ - ٢٢ .

٢ انظر : مهدي عرار ، ظاهرة اللبس في العربية ، ص ٢٢ - ٢٦ . والبيان بلا لسان ، ص ٢١ - ٢٤ .

٣ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٥٥ .

- وَمَنْ كَانَ نَفْسُهُ غَلِيظًا فَهُوَ عَسْرُ النَّطْقِ " (١).

لقد أصبحت الأصوات وبعض الصرخات وسيلة للتعبير عن حالة الشخص ، فقد يكون الصوت شعورًا عن عدم الراحة أو الجوع أو العطش ، أو شعورًا بالألم أو الضيق أو الخوف ، أو شعورًا بالخشوع أو الرضا أو الحب ... إلخ .

وقد ذكر القرآن الكريم بعض المفردات الصوتية ، والتي تتمثل ببعض الأشكال السمعية التي تخاطب الأذن ، وتستعين بجهاز النطق الإنساني أو دونه لإصدار أصوات أو ضجّات (٢) ، وهي من السمات المصاحبة للغة التقليدية ؛ لأنها تتعلق بنبرة الصوت وحدته ودرجته ، ومدى ارتباطها بوضعية الإنسان ؛ لأنّ للأصوات إشارات معبرة . وسيتم تناول هذه المفردات حسب مستويين أنتجها النص القرآني ، وهما : المستوى المرتفع ، والمستوى المنخفض .

أ- المستوى المرتفع : الذي يرتبط بالقوة أو الشدة : ومن ذلك :

١- الصّراخ (٣): وهو " الصّياح الشديد ، والاستغاثة ، وطلب النجدة من الآخر بلهفة وسرعة حتى لا يقع الإنسان في هلكة أو تتضاعف آثار المصيبة ، أو لإشباع حاجة من الحاجات كصراخ الطفل عند الإحساس بالجوع ، وعادة ما يصاحب الصراخ حزن شديد أو بكاء " (٤). وكثيرًا ما يحدث ذلك عند الفزع أو المصيبة ، والقرآن الكريم يعرض للصراخ في مواضع كثيرة منها :

﴿ قوله - تعالى - في سورة (يس) : ((فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ)) (٥).

فالصريح هنا " بمعنى المغيث ، وسمي المغيث صريحًا ؛ لأنّ العادة أنّ الإنسان إذا هاجمه أحد صرخ يستغيث ... ومنه حديث غزوة بدر : أن أبا سفيان بعث صريحًا إلى أهل مكة يستغيثهم " (٦).

﴿ وجاء في سورة فاطر قوله - تعالى - : ((وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبِّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا)) (٧). ف (يصرخون فيها) ؛ أي : " يستغيثون ويضجون في النار " (٨). وقال فاضل

١ م . ن ، ص ١٦٠ . انظر أيضًا : الرازي ، الفراسة ، ص ١٣٥ - ١٦١ .

٢ انظر : محمود السعران ، علم اللغة ، ص ٦٤ .

٣ يقال : إن مراحل النمو اللغوي عند الطفل تبدأ بالصراخ ، كما أنّ الطفل وهو في رحم أمّه يشعر بالأصوات العنيفة ، فيؤثر ذلك على جهازه العصبي . انظر : شاكر عبد العظيم ، لغة الطفل ، شركة سفير ، القاهرة ، د . ت .

٤ محمد عبد المجيد عبد العال ، المفاهيم النفسية في القرآن ، ص ٩٥ . كوكب دياب ، المعجم المفصل في الأصوات ، ص ٥٨ .

٥ يس ، آية : ٤٣ .

٦ انظر : محمد بن عثيمين ، تفسير سورة يس ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٩ م ، ص ١٥٧ . والطبري ، جامع البيان ،

٣١٩ / ٦ .

٧ فاطر ، آية : ٣٧ .

٨ الطبري ، م . س ، ٦ / ٢٩٥ .

السَّامِرَائِي : " (وهم يصطرخون فيها) ؛ أي : أهل النار ، ويمدّون أصواتهم بالبكاء ، فالمقام مقام صراخ ومدّ صوت فناسب المد " (١).

﴿ وفي سورة القصص أيضًا ، يتكرّر مشهد الاستغاثة وطلب الغوث كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ (٢) ؛ أي " يستغيث به على قبطني آخر " (٣).

إذن ، يتبين لنا أن الصراخ يدل على الاستغاثة وطلب النجدة ؛ لأنّ المستغيث يصرخ ويصوت في طلب الغوث .

٢- الصّديد : " فالصديد من الأصوات : الشديد ، كالضجيج " (٤)، فيعبر به عن الإزعاج ، والإعراض ، وفي القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُون ﴾ (٥). و (يصدّون) قال القرطبي : " أي يضجون كضجيج الإبل عند حمل الأثقال " (٦). وقد يكون الصّديد من التصدية وهي (التصفيق) ، كما مرّ سابقاً في هذا الفصل (٧).

٣- النعيق : وهو " دعاء الراعي الشاء ، ونعق الراعي بغنمه إذا صاح بها وزجرها " (٨).

ويعبر به عن الجحود وعدم الإصغاء والفهم ، ومنه في القرآن الكريم قوله - تعالى - : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٩).

فينعق : " يصوت صوتاً ولا يفهم معناه ؛ أي في سماع الموعظة وعدم تدبّرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه " (١٠). فقد " شبه الله تعالى واعظ الكفار وداعيهم وهو محمد (صلى الله عليه وسلّم) بالراعي الذي ينعق الغنم والإبل ، فلا تسمع إلا دعاءه ونداءه ، ولا تفهم ما يقول ، فهم لم يشبهوا بالناعق وإنما شبهوا بالمنعوق به ، والمعنى : ومثلك يا محمد ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم ، فحذف لدلالة المعنى " (١١) . وما يشير إلى ذلك أيضاً قوله بعده (صُمُّ بِكُمْ عَمِي) .

١ فاضل السامرائي ، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ط٣ ، دار عمّار ، عمّان - الأردن ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ، ص٣٨ .

٢ القصص ، آية : ١٨ .

٣ الطبري ، م.س ، ١٧/٦ .

٤ الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، ص٢١٤ . كوكب دياب ، المعجم المفصل في الأصوات ، ص١٥٨ .

٥ الزخرف ، آية : ٥٧ .

٦ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٩٥/١٦ . انظر أيضاً : الثعالبي ، م.س .

٧ انظر : في هذه الدراسة ، ص٦٣ .

٨ انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة ، (نعق) ، وإبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص٩٧٤ .

٩ البقرة ، آية : ١٧١ .

١٠ جلال الدين السيوطي ، وجمال الدين المحلي ، تفسير الجلالين ، ص٣٤ .

١١ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ٢/٢٠١ .

٤- **الشهيق والزفير** : وهما من الأصوات المشتركة (١)، ومن أفصح الأصوات وأشنعها لأنهما من أصوات المكروبين (٢). ويأتیان في القرآن الكريم ليعبران عن شدة الغم والكرب والأنين ، كما في قوله - تعالى - : ((فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهْمٌ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهيقٌ)) (٣).

فالشهيق ردّ النَّفس (إدخال النفس إلى الرئتين) ، والزفير إخراج النفس بعد مدّه (٤). والشهيق يكون في الصدر ، والزفير في الحلق . وقوله (لهم فيها شهيق وزفير) قال ابن كثير : " أي تنفسهم زفير ، وأخذهم النفس شهيق ، لما هم فيه من العذاب " (٥)، وما يصاحبه من شدة الأنين وارتفاعه . وهذا يدل على أن الشهيق والزفير من الأصوات الشديدة أيضاً ؛ ولهذا وصف صوت نار جهنم أن له شهيقاً وزفيراً ، كما في قوله - تعالى - في الآيتين الكریمتين :

((إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَفورُ)) (٦) . و ((إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا)) (٧).

٥- **الصفير** :

يشكل الصفير إشارة في حد ذاته ؛ فقد اعتبر من اللغة الصوتية الإشارية ، " قالوا : صفّر له : دعاه بالصفير " (٨) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى معنى الصفير في قوله - تعالى - : ((وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً)) (٩).

والمكاء هو الصفير ، حيث كان الكفار يدعون إلى معارضة النبي (صلى الله عليه وسلم) والمخالطة عليه في صلاته بالتصفير .

ب- **المستوى المنخفض** : الذي يرتبط بخفة الحركة والضعف والسكون (١٠) ، ومن ذلك :

١ لأنهما يطلقان أيضاً على صوت النار والحمار والمكروب أو المريض ، ويقال : إن الزفير أول صوت الحمار ، والشهيق آخره .

انظر : التعالبي ، م . س ، ص ٢١٧- ٢٢٣ . والفيروز أبادي ، القاموس المحيط ، ٤١ / ٢ .

٢ انظر : ابن منظور ، م . س ، مادة (شهق) ، ومادة (زفر) .

٣ هود ، آية : ١٠٦ .

٤ انظر : ابن منظور ، م . س ، مادة (شهق) ، ومادة (زفر) . والأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص ٣٠٣ . وإبراهيم

أنيس ، م . س ، ص ٤٢٠ .

٥ ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص ٩٦٨ .

٦ الملك ، آية : ٧ .

٧ الفرقان ، آية : ١٢ .

٨ إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٥٤١ .

٩ الأنفال ، آية : ٣٥ .

١٠ " اعتبر الرازي أن الصوت الصغير قد يكون علامة من علامات الضعف " . انظر : الرازي ، الفراسة ، ص ١٦١ .

١- الهمس : وهو الصوت الخفي ، ويرتبط بصوت حركة الإنسان ، وهمس الأقدام(١)أخفى ما يكون من صوتها أو ما يسمّى بالوطني الخفيف (٢)، كما في قوله - تعالى - : ((وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا))(٣) .

فالهمس(٤) في هذه الآية كما يقول القرطبي : " صوت وقع الأقدام بعضها على بعض إلى المحشر ، حيث لا يسمع لهم نطق ولا كلام ولا صوت أقدام " (٥) . وهو تعبير عن السكون والخضوع والخوف .

٢- الرُّكُز : وهو من الأصوات الخفية أيضاً(٦) . ومنه في القرآن الكريم قوله - تعالى - : ((وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا))(٧) .

فالركز " ما لا يفهم من صوت أو حركة كركز الكتيبة " (٨) . وهنا في هذه الآية يدل على انقطاع الحسّ والصوت معاً . أو تعبير عن الإخفاء وعدم الحركة بحيث لا يبقى لهم أي أثر ، وكأنه عبّر بالركز(٩) عن الناس الذين اختفوا ؛ ليخيف في المقابل من لم يعتبر أو لم يتعظ بذلك .

٣- التخافت : وهو " ضعف الصوت أو سكونه ، وتطلق المخافتة أو التخافت في إسرار المنطق ، وتخافت القوم إذا تشاوروا سرّاً ، وقيل للمريض خفت إذا انقطع كلامه ومات فجأة " (١٠) . ومن ذلك قوله - تعالى - في سورة طه : ((يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا))(١١) أيضاً في سورة القلم : ((فَانطَلَفُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ))(١٢) .

فقوله (يتخافتون بينهم) ؛ أي : " يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية " (١) ، وقال الطبري : " أي يتهايمسون بينهم " (٢) .

١ يعتبر همس الأقدام عند (لوشكي) من أصوات الجهد ، كالنفس الثقيل ، والشهقات ، ووقع الأقدام . انظر : لوشكي ، التمثيل الصامت ، ص٤١ .
٢ انظر : الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، ص٢١٣ . والأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص٥٧٨ . وكوكب دياب ، المعجم المفصل في الأصوات ، ص٤٨ .
٣ طه ، آية : ١٠٨ .
٤ يقال : " إن الهمس هو صوت أخفاف الإبل في سيرها ، فيقال للناقة : هميس ، ويقال للأسد : هموس ؛ لأنه يهمس في الظلمة ؛ أي يبطأ وطأة خفية . والهمس قد يكون في تحريك الشفة واللسان " . انظر : الثعالبي ، م . س ، ص٢١٣ . وإبراهيم أنيس ، م . س ، ص١٠٣٦ .
٥ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ١٠ / ١٦٠ .
٦ انظر : الثعالبي ، فقه اللغة وسر العربية ، ص٢١٣ . والأصفهاني ، مفردات القرآن الكريم ، ص٢٢٨ . وكوكب دياب ، المعجم المفصل في الأصوات ، ص٤٥ .
٧ مريم ، آية : ٩٨ .
٨ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ١٠ / ٨٤ .
٩ وفي الرُّكُز قال الشاعر لبيد واصفاً خوف البقرة وفزعها حين تسمعت صوت الناس ، فقد سمعت صوتاً ولم تر صاحبه فخافت : وتوجّست رُكُز الأنيس فراعها عن ظهر غيب والأنيس سقامها . انظر : لبيد بن أبي ربيعة ، الديوان ، ص١٧٣ .
١٠ انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خفت) ، وإبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص٢٦٨ .
١١ طه ، آية : ١٠٣ .
١٢ القلم ، آية : ٢٣ .

وقوله : (فانطلقوا وهم يتخافتون) ، قال القرطبي : " يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم أحد ، من خفت يخفت إذا سكن ولم يبين " (٣). وهذا يدل على السرية في التعامل .

٤- الإنصات : وهو السكوت أو عدم الكلام من أجل الاستماع(٤)، وفي القرآن الكريم يأتي الإنصات من أجل الاحترام والتأدب كما في قوله - تعالى - : ((وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))(٥) .

فإنه سبحانه وتعالى يأمر بالإنصات احتراماً وإعظاماً للقرآن الكريم ، كما يأمرنا قبله بالاستماع(٦) ، ليشكل معه إصغاءً وتعقلاً وتدبراً ، والإنصات هنا كما يقول الفراء : " هو من أجل تحريم الكلام في الصلاة "(٧).

٥- الصمت : ويتعلق بالسكون الجامد ، فيقال لغير الناطق صامت ، ولا يقال ساكت(٨). ولأن الصمت قد يلمس القلوب والمشاعر ، فقد يأتي أحياناً في مواقف تعبر عن البكاء ، أو الضحك ، أو الإهانة ، أو التبصر ، أو التفكير (٩) ، لأنه " ليس ثم شيء آخر يماثل تعبيرية الصمت " (١٠) ، وقد نطق القرآن الكريم بهذا اللفظ للإهانة لمن يمتثل للجمادات غير العاقلة كالأصنام ، التي لا تتحرك ولا تسمع ولا تبصر ، ولا يمتثل لطاعة الله ، كما في قوله - تعالى - : ((أَدْعَوْهُمْهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ))(١١) .

١ البغوي ، معالم التنزيل ، ص ٨٢٦ .
٢ الطبري ، جامع لبيان ، ٣١٦ / ٥ .
٣ القرطبي ، م.س ، ٢٢٤ / ١٨ .
٤ انظر : إبراهيم أنيس ، م.س ، ص ٩٦٥ .
٥ الأعراف ، آية : ٢٠٤ .
٦ الفرق بين الاستماع والإنصات كما يقول السعدي : " إن الإنصات في الظاهر يختص بترك التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه . وأما الاستماع له ، فهو أن يلقي سمعه ، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع " . انظر : السعدي ، تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المئان ، ص ٣٢٤ .
٧ الفراء ، معاني القرآن ، ص ١٤٦ .
٨ انظر : إبراهيم أنيس ، المعجم الوسيط ، ص ٥٤٧ .
٩ انظر : مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ٧٢ .
١٠ لوشكي ، التمثيل الصامت ، ٢٤٤ .
١١ الأعراف ، آية : ١٩٣ .

الفصل الثالث

خصائص اللغة الإشارية في القرآن الكريم

- ١ - الإحاطة والشمولية
- ٢ - الدقة والموضوعية
- ٣ - الإرادية والتلقائية
- ٤ - الصدق والواقعية
- ٥ - الاستقلالية
- ٦ - التناظر والتقابل
- ٧ - الإيجاز والإعجاز
- ٨ - الكناية
- ٩ - الارتقاء إلى مستوى اللغة
- ١٠ - العلامية
- ١١ - الوظائفية
- ١٢ - الحيوية التعبيرية

خصائص اللغة الإشارية في القرآن الكريم

جاءت اللغة الإشارية في القرآن الكريم مختلفة عن غيرها من حيث البنية والأداء ؛ لأنها تمتاز بخصائص نابغة من أصل بنيتها ، وطبيعة نشأتها ، ومن أبرز خصائص الإشارة في النص القرآني :

١ - الإحاطة والشمولية (١) :

إنّ المتتبع للإشارات التي جاء بها القرآن الكريم ، يجد أنها تحيط بجميع الأحوال في الدنيا والآخرة ، وتشمل كل ما يتعلق بالإنسان من حركات ، وهيئات ، وأوضاع جسمية ، من أعلى الرأس حتى أخمص القدمين ، وما يصدر أيضاً عن حالات بعض الأصوات التي تخاطب السمع ، وما تشكله أيضاً بعض الألوان والرموز ، وما يدرك بالحواس ، وكلّها تؤدي معاني شتى .

لقد جاءت الإشارات في القرآن الكريم تشمل كل ما يتعلّق بالإنسان والحيوان والنبات والجماد ، وتنقل لنا ما يحدث في عالمي الدنيا والآخرة من خلال صور ومشاهد وحوادث وألوان .

الإشارة	عالم الدنيا	عالم الآخرة
جسدية	﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا ۖ ﴾ (١) ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا ﴾ (٢)	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (٥) ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيَّهَا غَبْرَةٌ . تَرَهَقُهَا قَتْرَةٌ ﴾ (٦) ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾ (٧) ﴿ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ (٨)

١ يُطلق على مصطلح (الشمولية) في علم اللغة بما يسمّى بالاتصال الشامل (الكلي) ، ويعني ذلك : استعمال كافة الوسائل الممكنة والمتاحة ، ودمج كافة أنظمة الاتصال والتخاطب السمعية واليدوية والشفوية ، والإيماءات والإشارات ، وحركات اليدين والأصابع ، والقراءة والكتابة لتسهيل الاتصال وتيسيره .

	<p>عَقِيمٌ ﴿٣﴾</p> <p>﴿٤﴾ وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلَيْهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴿٤﴾</p>	
صوتية	<p>﴿٩﴾ وَالْحَمِيرِ ﴿٩﴾</p> <p>﴿١٠﴾</p> <p>﴿١١﴾</p> <p>﴿١٢﴾</p>	<p>﴿١٣﴾</p> <p>﴿١٤﴾</p> <p>﴿١٥﴾</p>
ضوئية	<p>﴿١٦﴾</p> <p>﴿١٧﴾</p> <p>﴿١٨﴾</p> <p>﴿١٩﴾</p> <p>﴿٢٠﴾</p>	<p>﴿٢١﴾</p> <p>﴿٢٢﴾</p> <p>﴿٢٣﴾</p>

- ١ الكهف ، آية : ٤٢ .
- ٢ لقمان ، آية : ١٨ .
- ٣ الذاريات ، آية : ٢٩ .
- ٤ النور ، آية : ٣١ .
- ٥ آل عمران ، آية : ١٠٦ .
- ٦ عبس ، آية : ٣٨ - ٤١ .
- ٧ الفرقان ، آية : ٢٧ .
- ٨ إبراهيم ، آية : ٤٢ .
- ٩ لقمان ، آية : ١٩ .
- ١٠ الزخرف ، آية : ٥٧ .
- ١١ الأعراف ، آية : ١٩٣ .
- ١٢ الأنفال ، آية : ٣٥ .
- ١٣ فاطر ، آية : ٣٧ .
- ١٤ هود ، آية : ١٠٦ .
- ١٥ طه ، آية : ١٠٨ .
- ١٦ البقرة ، آية : ٦٩ .
- ١٧ فاطر ، آية : ٢٧ .
- ١٨ النحل ، آية : ١٦ .
- ١٩ الأنعام ، آية : ٩٧ .
- ٢٠ القصص ، آية : ٢٩ .
- ٢١ الصافات ، آية : ٤٦ .
- ٢٢ الرحمن ، آية : ٧٦ .

هذه الأمثلة من الآيات القرآنية تصف لنا ما يحيط بعالمي الدنيا والآخرة ، وهي في المقابل تشمل ما يرتبط بالإنسان والحيوان والنبات والجماد .

ففي الإنسان ، نجد قوله - تعالى - : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (٢) .
وفي الحيوان ، نجد قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ (٣) .
وفي النبات ، نجد قوله - تعالى - : ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ﴾ (٤) .
وفي الجماد ، نجد قوله - تعالى - : ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبٌ سُودٌ ﴾ (٥) .

٢ - الدقة والعمق :

تميزت الإشارات في النص القرآني بالدقة والعمق ؛ " وذلك من خلال تأدية المعنى بوضوح بعيداً عن الغموض الذي قد يصرف الإشارة إلى غير معنى " (٦)؛ ولذا فقد جاءت الإشارات في النصوص القرآنية في مواقعها الطبيعية التي أريد لها في دقة وعمق متاهيين وصولاً إلى المعاني المرادة من خلال الأسيقة التي وردت فيها .

ولبيان ذلك نطرح هنا بعض الأمثلة ، ومنها :

قوله - تعالى - : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ (٧) .

فالسباق هنا يأتي في حوار نوح - عليه السلام - مع قومه وقد رفضوا دعوته لهم ، وعزّزوا رفضهم بالإشارة حساً بوضع أصابعهم في آذانهم ، واستغشاء ثيابهم ؛ وذلك بعد أن فشلوا في حوارهم معه وجهاً لوجه دون حجة أو برهان ؛ لذلك فقد سدّوا مسامعهم حتى لا يسمعون ما دعاهم إليه ، وتغطّوا بثيابهم حتى لا ينظروا إليه كراهة وبغضاً وإنكاراً من سماع النصح ورؤية الناصح الأمين ، فانظر كيف اختار الباري - عزوجل - هذا النوع من الحركات الإشارية بدقة وعمق ؛ لتتناسب المعنى الذي جاء به السياق .

١ طه ، آية : ١٠٢ .
٢ آل عمران ، آية : ١٠٦ .
٣ البقرة ، آية : ٦٩ .
٤ الزمر ، آية : ٢١ .
٥ فاطر ، آية : ٢٧ .
٦ محمد كشاش ، لغة الإشارة من البدائية والتلقائية إلى لغة عالمية ، مجلة الفكر العربي ، ع ٩٥ ، السنة العشرون ، شتاء ، ١٩٩٩ م ، ص ٣٢ .
٧ نوح ، آية : ٧ .

وحين نعمن النظر في قوله - تعالى - : ﴿ وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (١).

نجد أنّ اختيار الإشارة (أصبح يقلب كفيه) غاية في الدقة للمعنى الذي وضعت له ؛ لأنّ المقصود : (أصبح نادماً على ما أنفق) ، والموقف هنا موقف ندم وحسرة ولوم للنفس ، وما يعزز دقة المعنى الإشاري أيضاً ، وجود أسلوب التمني (يا ليتني) الذي يؤدي معنى الندم والحسرة . فالإشارة هنا وافقت الأسلوب أولاً ، والمعنى الذي سيقت من أجله الآية ثانياً ، وهذا ليس من باب الصدفة ؛ لأنّ وضع الإشارة في النص هو بمثابة وضع الكلمة في الجملة .

٣ - الإرادية والتلقائية :

من يتمنّى في الإشارات والحركات خاصة الجسدية ، يجد أنها " تنتسب إلى شقين متقابلين ، أحدهما إرادي وثانيهما تلقائي غريزي " (٢).

" أمّا الحركات الإرادية فهي ما يقصد إليه الإنسان قصداً ، فيستعين بها على أداء مراده وتجليته ، فتتخلّق عند المرء بالاكْتِسَابِ أو التعلّم " (٣). ومن أمثلة هذا النوع :

- إشارة التصامم (وضع الأصابع في الأذن) : وذلك حين يُسمع صوت مزعج أو مكروه مستقبح ، ويأتي ذلك غالباً في موقف الشدّة والخوف والهلاك ، كما في قوله - تعالى - : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حُدُورَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٤).

- ضرب الأرض بالرجل : وذلك بقصد الإثارة أو لفت الأنظار ، وقد وردت في سياق منع النساء باتباع هذه الحركة للفت الأنظار إليهنّ ، وذلك في قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾ (٥).

- الغمز بالعين : وقد وردت هذه الإشارة المكتسبة في سياق السلوك المستقبح ، الذي يقصد منه الاستهزاء أو السخرية ، كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ (٦).

أمّا النوع الثاني وهو الحركات التلقائية (الطبيعية) : " فلا أثر لإرادة المرء في تخلّقها ؛ لأنها فطرية ، باعثةا فطرة الله التي فطر الخلق عليها " (٧). وهي تحدث تلقائياً في مواقف كثيرة ، وتظهر هذه العلامات في الوجه غالباً ، فيكون السّواد ، والاصفرار ، والاحمرار ، خاصة في مقام الخوف والخجل والضعف والهزل والغضب .

١ الكهف ، آية : ٤٢ .

٢ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ٣٧ - ٣٨ .

٣ م . ن ، ص ٣٨ .

٤ البقرة ، آية : ١٩ .

٥ النور ، آية : ٣١ .

٦ المطففين ، آية : ٣٠ .

٧ مهدي عرار ، م . س ، ص ٣٨ .

ويتجلى هذا النوع من الإشارات في قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (١) .

وقوله - تعالى - أيضاً : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (٢).

فبياض الوجه أو سواده ، إماءة جسدية تتخلق في الوجه تخلقاً غير مقصود ، فلا يمكن للمرء صدؤها سواء أكان ذلك في مقام المسرات أو مقام الإساءات . ومن هنا فإن مثل هذه الحركات تنبئ بتلقائية وصدق عن الواقع .

٤ - الصدق والواقعية :

" تعكس سمنا الطَّبَعِيَّة (التلقائية) والدقة على لغة الإشارة الصدق واليقين ، ولا غرابة في الأمر ؛ لأنَّ الإشارة أو الحركة نابعة من واقع تحاكيه " (٣) ، فالصدق كما يُعرف في علم المعاني مطابقتها للواقع (٤)؛ لذا يُقال : " إنَّ لغة الإشارة تتميز عن لغة الكلام بأنها أصدق وأدق تعبيراً عن بواطن المعاني من لغة الكلام ، فمن السهل أن يكذب الإنسان بلسانه ، ولكن من الصعب أن يكذب بحركاته أو إشارته التي تأتي كثيراً بطريقة عفوية لا يتمكن المرء من التحكم بها " (٥) ، وكم من إشارة حملتها التلقائية وال عفوية على التعبير عن خوف أو سرور أو دهشة أو إعجاب من دون قصد وسبق نيّة ، وما تبدل ألوان الوجه ، وحركة العيون ... إلا الدليل والشاهد ؛ ونظراً لصدقها استدلَّ بها على مضامين النفس وخفاياها " (٦) .

وللبرهنة على ذلك في النص القرآني ، ما ورد في قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٧).

ألا يجد القارئ في إشارة (فيض العيون بالدمع) صدق تعبير عن واقع المؤمنين ، الذين سمعوا الآيات التي نزلت على الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وهذا التأثير العميق في النفس المؤمنة ، أغنى عن كل ما يُقال ، فكانت إشارة (الدموع) ، والحال هذه أبلغ وأصدق تعبيراً عن بواطن المعاني وما يجول في نفوس الناس دون أن يتكلموا بأفواههم . ومن هنا تبقى إشارتهم العفوية الدامعة الدليل الواضح على صدق إيمانهم والبرهان الثابت على واقعتهم .

ومن يقرأ قوله - تعالى - : ﴿ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾ (٨).

١ النحل ، آية : ٥٨ .

٢ آل عمران ، آية : ١٠٦ .

٣ محمد كشاش ، لغة الإشارة من البدائية والتلقائية إلى لغة عالمية ، مجلة الفكر العربي ، ٩٥ع ، السنة العشرون ، شتاء ، ١٩٩٩م ، ص ٣٣ .

٤ انظر : السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، شرح وتحقيق حسن حمد ، دار الجيل ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، ص ٤١ .

٥ انظر : فؤاد إسحاق الخوري ، لغة الجسد ، ص ٤-٦ .

٦ محمد كشاش ، م . س ، ص ٣٣ .

٧ المائدة ، آية : ٨٣ .

٨ طه ، آية : ١٠٢ .

يجد الإشارة (زُرْقًا) تمثّل صدق تعبير عن حال الكافرين وواقعهم المرير يوم المحشر ؛ ذلك حين تظهر الكآبة في نفوسهم والمتجسدة أصلاً من خلال اللون الأزرق ؛ الذي يعتبر أصدق وأدقّ تعبير عن الحشر (١).

٥ - الاستقلالية :

تميزت الإشارة في النص القرآني بأنها مستقلة بذاتها ، لها مواصفاتها ومعانيها ومدلولاتها الخاصة ؛ حيث يجد القارئ أنّ بعض المعاني والأغراض التي تؤدّيها الإشارات " تنقل مستقلة عن غيرها من الأدوات ، ويساعدها على ذلك دقّتها وطبيعتها ، وهذا ما يميزها عن لغة الكلام العادي التي تحتاج في مواقف عديدة إلى الإشارة لتؤدي غرضها على أكمل وجه ، بمعنى : مساعدة الإشارة للمعنى وليس مساعدة المعنى للإشارة ، وفي النص القرآني تأتي الإشارات لتؤكد المعاني ، وتمثّل الحقائق ، وتزيد في إيضاحها ، كما أنها تأتي مسعفةً للسان صاحبها في مواقف كثيرة " (٢).

وليس هذا فحسب ، فالقرآن الكريم حافل بكثير من الإشارات التي تساعد الألفاظ في أداء معانيها ، وهذا ما يمنحها استقلالية خاصة بها ، فمثلاً تقرأ في قوله - تعالى - : ﴿ فَأَقْبَلتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكّتْ وَجْهَهَا وَقَالتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ (٣).

فلو قال : (فأقبلت امرأته في صرّة وقالت عجز عقيم) ، فيكون المعنى ضعيفاً ولا يكتمل ، ولكن نطق القرآن بالإشارة (صكّت وجهها) تقوية للمعنى وتأكيده ، الذي يأتي في ظلال هذا التعجّب والبُهت ، وهنا نلمس استقلالية الإشارة في الكشف عن الحالة النفسية التي تعترى صاحبها ؛ لأنّ الإشارة وحدها كانت أبلغ في توضيح المعنى والموقف المتصور من غيرها ، فبوجودها وحدها استقل المعنى وبدونها لا يستقلّ .

وحين تقرأ في قوله - تعالى - : ﴿ وَتَوَاهَمُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ ﴾ (٤) ، تجد الإشارة (ينظرون من طرف خفي) قد وضّحت المعنى السابق في قوله : (خاشعين من الدل) وأكدته . فالذل يعني : الضعف والخيبة والخزي ، والنظر الخفي : هو النظر المستتر الضعيف الذي يصدر عن خيبة وخزي وخوف في حالة الضعف ، وهذا الوصف والتوضيح للمعنى يجعل الإشارة (ينظرون من طرف خفي) تشكل صورة مستقلة بذاتها ، لها مدلول خاص يتشكّل في ذهن السامع أو القارئ .

١ انظر : ص ١٠١ ، من هذه الدراسة .

٢ محمد كشاش ، لغة الإشارة من البدائية والتلقائية إلى لغة عالمية ، مجلة الفكر العربي ، ع ٩٥ ، السنة العشرون ، شتاء ، ١٩٩٩م ، ص ٣٢ .

٣ الذاريات ، آية : ٢٩ .

٤ الشورى ، آية : ٤٥ .

وينطبق على ذلك أيضاً قوله - تعالى - : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ (١).

فالإشارة (جثيًا) التي تبيّن هيئة الحشر يوم القيامة ، تشكل في الوقت نفسه صورة مستقلة بذاتها ، توضح حالة الذعر والخوف في المواقف الشديدة .

٦ - التناظر والتقابل :

حين يتمعن المرء في معظم الإشارات التي جاء بها النص القرآني يجد أنها وردت متقابلة متناظرة في شكلها ومعانيها . فالبياض يقابله السواد ، والضحك يقابله البكاء ، وبسط اليد يقابله قبض اليد ، والشهيق يقابله الزفير ، ونكس الرؤوس يقابله رفع الرؤوس ، وضيق الصدر يقابله شرح الصدر ، والمشي المرح يقابله المشي الهون ، والصراخ يقابله الهمس... الخ .

وأكثر ما ترد هذه الإشارات المتقابلة والمتناظرة في الآيات التي تقوم على رسم مشاهد متقابلة يوم القيامة ، كما يظهر في قول الحق - تبارك اسمه - في هذه الآيات :

- ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ (٢) .
- ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَافِرَةٌ . تَرْتَهِّقُهَا فِتْرَةٌ ﴾ (٣)
- ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ . تَنْظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾ (٤)

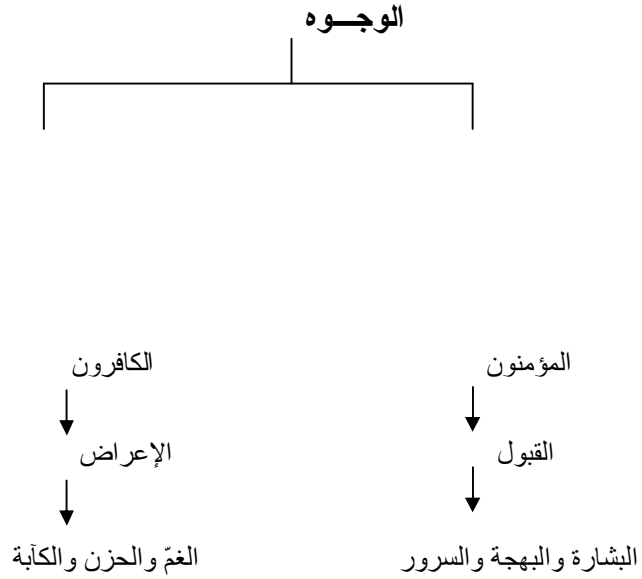
فهذه المشاهد المتقابلة " تصور الهيئات الخارجية المُنْبِئَة عن الأحوال النفسية في مقام العرض على الله ، وفي مقام الفوز أو الخسران المبين :

- فثمّ وجوه تبيضّ ، وأخرى تقف وجاهها مسودّة .
- وثمّ وجوه يعلوها السواد والغبار استيحاشاً وخوفاً مما قدّمت أيديهم .
- وثمّ وجوه ناضرة من نصرة النعيم قد وجدّت ما وعد ربّها حقاً .
- وثمّ وجوه أخرى باسرة خائفة شديدة العبوس تترقّب أن يُفعل بها داهية .

١ مريم ، آية : ٦٨ .
٢ آل عمران ، آية : ١٠٦ .
٣ عبس ، آية : ٣٨ - ٤١ .
٤ القيامة ، آية : ٢٢ - ٢٥ .

وهكذا تمضي هذه المقابلات بين هذين الفسطاطين في مشهد غيبي صوره الحق تصوّرًا يستشرف فيه المرء الظاهر والباطن ، أمّا الظاهر فهو وصف الأحوال الجسدية ، وأمّا الباطن فهو وصف الأحوال النفسية ، فغداً مشهداً حياً واقعاً لمن تدبّر أو تبصّر " (١) .

إنّ خاصيّة التقابل والتناظر تجعل الإشارات تقوم على التقسيم والتوزيع (التصنيف) ، وأكثر ما يظهر ذلك في الإشارات الجسدية . وهذه نماذج تبيّن هذا التصنيف :



ليلة

العيون

١ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٨٤ .

ن غامزة
ن خائنة

الكافرون والمنافقون

المؤمنون

القبح والفجور

الحسن والعفة

المشي

الكفار والمنافقون

المؤمنون

البطر والتكبر

التواضع والاعتدال

المرح
المتمطي

اليد

اليد مجتمعة

اليد منفردة

يد تردّ
للأفواه
↓
رفض الدعوة

اليد مع الأسنان
(عضّ)
↓
ندم

اليد مع الوجه
(صكّ الوجه)
↓
تعجب شديد

اليد مع اليد
(تقليب الكف)
↓
ندم

قبض اليد
↓
بُخل

بسط اليد
↓
بذل وعطاء
اعتدال وتوسط
ضرب وقتل

٧- الإيجاز والإعجاز :

جاءت الإشارات في النص القرآني في مواقعها المرادة لها ، في غاية الإيجاز والإعجاز .
فالإشارة الواحدة قد تغني عن مجموعة كلمات أو عبارات ؛ ولهذا قالوا : " ربّ إشارة أبلغ من
عبارة " (١) . لأنّ الإشارة تخبرنا بطريقة ما عمّا لا يستطيع الكلام أن يخبر عنه ، كما أنّها قد تشكل
أساس تركيب كامل .

ومن يتدبّر في كتاب الله العزيز ، يجده يعرض إشارات فيها من ضروب الإيجاز والإعجاز ما
يسدّ عن كثير من الكلام ، ومن ذلك ما يشير إليه الباري - جلّ شأنه - في قوله : ﴿ وَلا تَمْشِ فِي
الأَرْضِ مَرَحًا ﴾ (٢) .

فالإشارة (مرحًا) تختصر كثيرًا من الكلام ؛ لأنّ الباري عزوجل أراد أن يخاطب المختال بكلمة
واحدة تعبّر عن أشياء كثيرة ، والتقدير : " لا تمش مشية ذات هيئة تنثير في النفس اختيالاً ؛ ذلك
أنّها تومئ إلى الكبر والتطاول والشدة ، والمقصد من أسلوب النهي (لا تمش في الأرض مرحًا)
التهكم والتفريع بالمختال " (٣) .

وإذا كانت الإشارة تشكّل اختصارًا للكلام والعبارات ، فهي في المقابل تجمع المعاني والدلالات
في إشارة واحدة ، ونستشرف ذلك في قوله - تعالى - : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا
أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (٤) .

فإشارة (تقليب الكف) تحمل معاني متعددة ، مثل (الندم ، الشعور بالذنب ، الأسف ، اللوم ،
التمني) ؛ لأنّ الإشارة هنا تجمع المعاني في صورة أو حالة تنشأ عند شعور الإنسان بالذنب ،
وأسفه على ارتكابه ولومه لنفسه على ما فعل ، وتمنيه لو أنه لم يفعل ذلك ؛ لأنّ الأفعال المشيئة
في الغالب تجعل الإنسان يندم ويلوم نفسه .

ومن ضروب الإعجاز أيضًا أنّ الإشارة تأتي في النص القرآني في مواقعها المرادة لها ، ليناسب
اللفظ المعنى ، ونستشرف ذلك في قوله - تعالى - : ﴿ فَإِذَا بَرَقَ البَصْرُ ﴾ (٥) .

فقد اختار الباري - عزوجل - اللفظ (برق) ، وليس (عمي) ؛ " لأنّ المراد : تعطيله مع
وجوده ، ومعنى برق البصر : دُهِشَ البصر وتَحَيَّرَ وضعف " (٦) .

١ ابن جني ، الخصائص ، ١ / ٢٤٧ .

٢ الإسراء ، آية : ٣٧ .

٣ انظر : مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٨٨ .

٤ الكهف ، آية : ٤٢ .

٥ القيامة ، آية : ٧ .

٦ فاضل السامرائي ، لمسات بيانية ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ .

إنه القرآن المعجز بإشاراته ، وعباراته ، وألفاظه ، وحروفه ، ومعانيه .

٨- الكِنَائِيَّة :

اختصت الإشارة في النص القرآني بظاهرة بلاغية ألا وهي الكِنَايَة (١)، التي تعدّ مظهرًا من مظاهر البلاغة ؛ لارتباطها الوثيق بالإشارات من جهة ، ولأنها - كما يقول البلاغيون - "تضع المعاني في صورة المُحَسَّنَات" (٢) من جهة أخرى .

وقد ذكر أنّ العرب تعدّ الكِنَايَة من البراعة والبلاغة ، وهي عندهم أبلغ من التصريح " (٣) . وهذا ما يوافق مقولة "رُبَّ إِشَارَة أبلغ من عبارة" (٤) . ومن هنا فإنّ الكِنَايَة تساهم مساهمة فعّالة في تحديد المعنى الإشاري (٥) ، ولا يتأتى ذلك إلا لتحقيق أغراض بلاغية ، منها :

أ- تأكيد المعنى بتصويره تصويرًا واضحًا مصحوبًا بما يؤيده ؛ وذلك كالكناية عن الندم بعض الأيدي أو الأنامل ، كما في قول - الباري - : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (٦) .

ومثله أيضًا قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ (٧) .

وقد وقف الزمخشري على هذا الأسلوب الكِنَائِي مبرزًا دور الكِنَايَة في الدلالة على معنى الإشارات حين أشار إلى أنّ "عضّ الأنامل ، والبيدين ، والسقوط في اليد ، وأكل البنان ، وحرق الأسنان ، والأرَمَ ، وفروعها كِنَايَات عن الغيظ والحسرة ، لأنها من روافدها ، فيذكر الرادفة ، ويدل بها على المردوف ، فيرتفع الكلام به في طبقة الفصاحة ، ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه" (٨) .

ب- تهجين الشيء والتنفير منه ، كما في قوله - تعالى - في التنفير من البخيل : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (٩) .

١ الكِنَايَة : تأدية المعنى بذكر لازم من لوازمه ، والكِنَايَة عن الشيء : الدلالة عليه من غير تصريح باسمه ، وهي عند أهل البيان : أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة ولكن يجيء إلى المعنى هو تاليه ورديفه في الوجود ، فيوحي به إليه ، ويجعله دليلًا عليه فيدل على المراد من طريق . أولى مثاله قولهم : (طویل النجاد ، وكثير الرماد) يعنون : طويل القامة ، وكثير الضيافة ، فلم يذكروا المراد بلفظ الخاص به ، ولكن توصلوا إليه بذكر معنى آخر هو رديفه في الوجود ؛ لأنّ القامة إذا طالت طال النجاد ، وإذا كثرت القرى كثرت الرماد . انظر : الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ٣٠١ / ٢ ، والقزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ١٩٧ / ٥ .

٢ السيد أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة ، ص ٢١١ .

٣ الزركشي ، م . س ، ٣٠٠ / ٢ .

٤ ابن جني ، الخصائص ، ٢٧٤ / ١ .

٥ المقصود بالمعنى الإشاري هنا : دلالة الإشارة ، والغرض الذي يتأتى بواسطة الكِنَايَة .

٦ الفرقان ، آية : ٢٧ .

٧ آل عمران ، آية : ١١٩ .

٨ انظر : الزمخشري ، الكشاف ، ٢٦٨ / ٣ . وأبو حيان ، البحر المحيط ، ٤٤٥ / ٦ .

٩ الإسراء ، آية : ٢٩ .

ففي هذه الآية استطاعت الكناية أن تنقل المعنى قوياً ومؤثراً بالإشارة المعبرة بطريقة التجسيم عن الشح والتفتير في أكثر درجاته حدة (١) .

ج- تحسين المعنى وتجميله مع إخفاء الأمر على المخاطبين :
ومن ذلك قوله - تعالى - عن قاصرات الطرف : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ . كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ (٢) .

فالعرب كانت عادتهم الكناية عن حرائر النساء بالبييض (٣) .

د- التعبير عن الشيء بلفظ جميل بدل اللفظ المستهجن الموضوع له :
كما في قوله - تعالى - : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ (٤) .

جاء في البرهان " أن ذكر (الإصبع) جامع لأمرين ، أحدهما : التنزه عن اللفظ المكروه ، والثاني : حط منزلة الكفار عن التعبير باللفظ المحمود ، والأعم يفيد المقصودين معاً فأتى به وهو لفظ (الإصبع) وليس السبابة ، فعبر باللفظ الأحسن مكان القبيح " (٥) .

ومن ذلك أيضاً قوله - تعالى - : ﴿ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (٦) .
وبياض العين من كثر البكاء كناية عن العمى ، ولم يقل عميت عيناه . " وكلما كانت الكناية أكثر تحقيقاً للغرض الذي سبقت له ، كانت أكثر بلاغةً وجمالاً " (٧) .

هـ- قصد المبالغة في التشنيع :

ومن ذلك ما ورد في الإشارة عن حكاية اليهود - لعنهم الله - في قوله : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ (٨) .
فقوله بالإشارة (غلَّتْ أيديهم) قد " يحمل على المجاز على وجه الدعاء والمطابقة للفظ ؛ ولهذا قيل أنهم أبخل خلق الله ، والحقيقة أنهم تغل أيديهم في الدنيا بالأسار ، وفي الآخرة بالعذاب وأغلال النار " (٩) . وفي ذلك مبالغة في التشنيع .

١ انظر : محمد عتريس ، معجم التعبيرات القرآنية ، ص ٣٧٠ . وصلاح الدين عبد التواب ، الصورة الأدبية في القرآن ، ص ٨٩ - ٩٠ .
٢ الصافات ، آية : ٤٨ - ٤٩ .
٣ الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ٣٠٧/٢ .
٤ البقرة ، آية : ١٩ .
٥ الزركشي ، م.س ، ٣٠٦/٢ .
٦ يوسف ، آية : ٨٤ .
٧ القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ١٩٧/٥ .
٨ المائدة ، آية : ٦٤ .
٩ الزركشي ، م.س ، ٣٠٨/٢ .

ومقابل المبالغة في التشنيع تعرض الآية مبالغة محمودة ، تكون فيها الإشارة في جنب الله ، ولا تحمل على محمل الحقيقة ، كما ذكر سابقاً في قوله : (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ) . فبسط اليد هو " كناية عن كرمه جل شأنه ؛ ليكون أبلغ في السخاء والجود " (١).

و- أن يعمد إلى جملة ورد معناها على خلاف الظاهر ، فيأخذ بالخلاصة منها من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة أو المجاز ، فتعبر بها عن مقصودك (٢).
كما في قوله - تعالى - : ﴿ فَأَخْلَعُ نَعْلَيْكَ ﴾ (٣).

٩- الارتقاء إلى مستوى اللغة :

تشكل الإشارات والرموز التي جاء بها النص القرآني لغة إنسانية حقيقية ، فهي اللغة في حدّها ؛ لكونها تحمل كثيراً من الدلالات ، وتساهم في نقل المعلومات ، شأنها شأن اللغة المعهودة ، فالقائلون بها يعبرون عن أغراضهم بواسطتها ، وهذا كلّه يوافق ما قاله ابن جني : " اللغة في حدّها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " (٤) . ولهذا فإنّ الإشارة قد تنزل منزلة الكلام المعهود ، فقد جاء في قوله - تعالى - : ﴿ آيَتِكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ (٥).

قال القرطبي : " الرمز في اللغة الإيماء بالشفهين ، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين واليدين وأصله الحركة . وقال - داعماً لإطلاق الكلام على الإشارة - : في هذه الآية دليل على أنّ الإشارة تنزل منزلة الكلام ، وذلك موجود في كثير من الألسنة ، وأكد الإشارات ما حكم به النبي (صلى الله عليه وسلم) من أمر السوداء حين قال لها : أين الله ؟ فأشارت برأسها إلى السماء ، فقال : أعتقها فإنّها مؤمنة . فأجاز الإسلام بالإشارة الذي هو رمز الديانة ... وحكم بإيمانها كما يحكم بنطق من يقول ذلك " (٦).

لقد اعتبر اللغويون " أنّ اللغة لا تختلف عن الإشارة إلا من حيث المادة اللغوية ، فالأولى مادتها الصوت أو ما يقوم مقامه عن التعبير بالكتابة ، التي هي رموز وإشارات لغوية ، والإشارة عبارة عن رموز تدركها الحواس وخاصة البصر " (٧) .

١ م. ن .
٢ الزركشي ، البرهان ، ٣٠٩ / ٢ .
٣ طه ، آية : ١٢ .
٤ ابن جني ، الخصائص ، ٣٣ / ١ .
٥ آل عمران ، آية : ٤١ .
٦ القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ٧٦ - ٧٥ / ٤ .
٧ محمد كشاش ، لغة الإشارة من البدائية والتلقائية إلى لغة عالمية ، مجلة الفكر العربي ، ٩٥ع ، السنة العشرون ، شتاء ، ١٩٩٩م ، ص ٢٨ .

وليس هذا فحسب فهناك بعض الظواهر اللغوية التي ينطبق بعضها على الإشارة ، ومنها :

ظاهرة المشترك اللفظي (١) : والتي تقع في الإشارة ، فقد اعتبر اللغويون " أن الإشارة أو الحركة هي بمثابة الكلمة الواحدة ، وهي الدال التي قد يقع تحتها معنيان أو أكثر ، ولا يتعين احدهما في الغالب إلا بالمضي مع السياق واستشراق حدوده وضمائه " (٢) .

وهذه نماذج من الإشارات التي وردت في النص القرآني ، باعتبارها دالاً يصدق عليه تعريف المشترك اللفظي :

أ- إشارة (بسط اليد) : التي تنصرف إلى عدة معاني ، منها :

- ما يدل على التوسط والاعتدال : كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ (٣).

- ما يدل على الصولة والضرب : كما في قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ يَتَقَفُّوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ ﴾ (٤)

- ما يدل على اليأس : كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كِبَاسًا كَفَّيَهُ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ﴾ (٥).

ب- إشارة (البكاء) : وتحمل معنيين :

- معنى الخشوع والإيمان ، كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلذَّاقَانِ يَكُونُ وِزِيرَهُمْ خُشُوعًا ﴾ (٦).

- معنى النفاق والخداع ، كما في قوله - تعالى - : ﴿ وَجَاءُوا آبَاءَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ (٧).

ج- إشارة (التولية) : وتحمل معاني عدة :

- معنى الإعراض ، كما في قول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿ فَتَوَلَّىٰ بُرُكْنَهُ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (٨).

- معنى الإدبار ، كما في قوله - تعالى - : ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ﴾ (٩).

١ المشترك اللفظي : هو اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين .
٢ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٨١ .
٣ الإسراء ، آية : ٢٩ .
٤ الممتحنة ، آية : ٢ .
٥ الرعد ، آية : ١٤ .
٦ الإسراء ، آية : ١٠٩ .
٧ يوسف ، آية : ١٦ .
٨ الذاريات ، ٣٩ .
٩ طه ، آية : ٦٠ .

- معنى الانصراف ، كما في قوله : ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (١).

- معنى الإقبال ، كما في قول الباري : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتُ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (٢).

د - إشارة (وضع الأصابع في الأذن) : وتحمل معنيين :

- معنى الخوف الشديد ، كما في قوله - تعالى - : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ (٣).

- معنى التصامم والمبالغة في الإنكار ؛ لئلا يسمعوا دعوة الحق (٤)، ومنه قوله - تعالى - : ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ (٥).

ويُستشف مما سبق أنّ وضع الإشارة في النص هو بمثابة وضع الكلمة في الجملة ، ولا يتحدد ذلك إلا بالمعنى المقامي الذي يبرز من خلال السياق والوضعية التي تساعد على توثيق المعنى الذي تنقله الألفاظ اللغوية ، " فبعض الإشارات والإيماءات والرموز لا يتحدد مقصدها بدقة إلا بمعرفة الوسط الذي قيلت فيه ، وملابسات الحدث الكلامي " (٦).

وفي مقابل ذلك فقد نبّه اللغويون والدارسون إلى " ثمة عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى ، بل هي جزء أو أجزاء من معنى الكلام " (٧). كما نبّهوا إلى " عدم ترجمة إشارة أو إيماءة واحدة بكيفية منعزلة عن إيماءات أو ظروف أخرى ، بل يجب النظر دوماً إلى مجموعة الإيماءات لقراءة واحدة " (٨).

فحين تقرأ في قوله - تعالى - : ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ (٩).

١ القصص ، آية : ٢٤ .

٢ البقرة ، آية : ١٥٠ .

٣ البقرة ، آية : ١٩ .

٤ انظر ، مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٨١ .

٥ نوح ، آية : ٧ .

٦ محمد كشاش ، لغة الإشارة من البدائية و التلقائية إلى لغة عالمية ، مجلة الفكر العربي ، ٩٥٤ ، ص ٣٠ .

٧ محمود السعران ، علم اللغة ، ص ٢٦٣ .

٨ آلن بيز ، لغة الجسد ، ص ١٢ .

٩ الأحزاب ، آية : ١٩ .

يتجلى معنى الخوف والجبن لإشارة (دوران النظر) ، وذلك من خلال وضعية السياق ؛ وذلك لأن سياق الآية الشريفة " يدور في مضمار خوف المنافقين من القتال وانصرافهم عنه ، وقد تجلّى أثر خوفهم في العيون الدائرة المضطربة " (١). ويستشف من ذلك أيضاً أنّ دوران النظر في الآية هو دوران غشيان ، مصدره الخوف ، لا دوران إحاطة مدركة واعية بالمكان والأشياء ، وهذا ما أفاده السياق اللغوي بالتشبيه للإبانة وكشف الهيئة " (٢).

انظر أيضاً كيف أبان السياق ووضعية (ثني الصدور واستغشاء الثياب) عن تعبيرية الإشارة ونقل المعنى بوضوح في قوله - تعالى - : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ (٣).

ففي الآية الكريمة يتجلى معنى (الاستخفاء) من خلال السياق ؛ لأنّ الآية نزلت في الأحنس بن شريق ، كان إذا مرّ بالنبي (صلى الله عليه وسلم) ثنى صدره وظهره ، وطأ رأسه ، وغطّى وجهه ؛ كي لا يراه النبي فيدعوه إلى الإسلام ، ويذكر أنّه كان يخفي عداوته عن الرسول عليه الصلاة والسلام " (٤).

وما يضاف إلى ذلك ، أنّ اجتماع الإشارتين (يثنون صدورهم) و (يستغشون ثيابهم) يشكّل قراءة واحدة لمعنى الآية ؛ لأنّ استغشاء الثياب هو استكمال لسلوكهم الذي يتبعونه في محاولة إخفاء عداوتهم للنبي وللمؤمنين .

إنّ ذلك يقودنا مرّة أخرى لحقيقة الترادف في القرآن الكريم ، والتي قد يصدق بعضها على الإشارة هنا أكثر من اللفظ ذاته ، علماً أنّ هذه الظاهرة في الإشارة لم يتعرض لها اللغويون والبلاغيون من قبل .

ولاستشراف ظاهرة الترادف الإشارية في القرآن الكريم نكتفي هنا بعرض آيتين تمثلان هذه الظاهرة :

- الآية الأولى : في قوله - تعالى - : ﴿ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلَبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (٥).

١ مهدي عرار ، م.س ، ص ١٧٤ .
٢ محمد العبد ، العبارة والإشارة ، ص ١٨٩ .
٣ هود ، آية : ٥ .
٤ انظر : القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، ٦/٩ .
٥ الكهف ، آية : ٤٢ .

- الآية الثاني : في قوله - تعالى - : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ (١).

فالإشارتان (تغليب الكف) و (عض اليدين) في الآيتين تلتقيان على معنى واحد ، يجمعهما معنى الندامة والأسف . " فالآية الأولى هي حكاية رجل أصبح يقلب كفيه ندامة على ما أنفق في جنّته لما أحيط بثمره ، فقد ألقاها خاوية على عروشها . وأمّا الآية الثانية فهي حكاية حال ظالم يعضّ على يديه ندامة ، فالأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلاّ المتقين . واللافت أنّ الآيتين تتقاربان في سياقهما الكلّي ، وحركتهما ، لما يظهر في ذلك من ظلم للنفس وندم ، وما يعقب ذلك أيضًا من حالة نفسية تظهر على الجوارح كما ظهرت على اليد " (٢).

١٠- العلامية :

تختصّ الإشارات بأنظمة من العلامات الاصطلاحية ذات الدلالة التي تخاطب الحواس ؛ " لأنّ هذا النظام يقابل كل حاسة من الحواس الإنسانية ، فهي تكون (سمعية) إن خاطبت الأذن ، و (بصرية) إن خاطبت العين ، و (لمسية) إن خاطبت اليد ، و (شمّية) إن خاطبت الأنف ، و (مذاقيّة) إن خاطبت اللسان " (٣). ومن الجدير بالذكر أنّ هذه الأنظمة من العلامات هي شريكة اللغة .

وتتجلّى هذه الأنظمة من العلامات التي تقوم على الإشارة على النحو الآتي :

١- بصرية تخاطب العين :

وتتمثل في الإشارات الجسدية ، والضوئية .

فمن الإشارات الجسدية التي تخاطب العين ، ما ورد في هذه الآيات القرآنية :

- ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ (٤).

- ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ (٥) .

- ﴿ وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا ﴾ (٦).

- ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (٧) .

وكل الإشارات الجسدية التي مرّت سابقًا في هذه الدراسة تخاطب العين .

١ الفرقان ، آية : ٢٧ .

٢ انظر : مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٧٧-١٧٨ .

٣ انظر : محمود السعران ، علم اللغة ، ص ٦٣-٦٤ .

٤ المطففين ، آية : ٢٤ .

٥ عبس ، آية : ٣٨-٣٩ .

٦ التوبة ، آية : ٩٢ .

٧ النحل ، آية : ٥٨ .

ومن الإشارات الضوئية التي تخاطب العين :

- ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾ (١).
- ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ (٢).
- ﴿ امْكُتُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (٣).
- ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٤).
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ (٥).

فالنار والنور والنجوم تتبع منها إشارات ضوئية تخاطب العين ، كما أنّ هذه الإشارات تدرك بها حاسة البصر المواد .

٢ - سمعية تخاطب الأذن :

هناك أشكال سمعية تخاطب الأذن (٦) ، تقوم بإصدار أصوات تعتمد على جهاز النطق الإنساني نفسه ، وتدخل في ما يسمى بالمؤثرات الصوتية النوعية ، كنعمة الصوت ، وشدته ، وطبقته ، ودرجة سرعة الصوت ، ونحو ذلك مما يؤثر تأثيراً قوياً في تحديد المعاني الوظيفية والمعجمية معاً (٧). ومن ذلك الأنظمة التي تستعمل (الصفير) استعمالاً اصطلاحياً ، وقد ورد مثلها في القرآن الكريم في قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ (٨). فـ (المكاء) في الآية هو الصفير .

ومنه أيضاً الصوت (الصديد) ، كما في قوله - تعالى - : ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ (٩). وكذلك (التُعاق) ، في مثل قوله - تعالى - : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ ﴾ (١٠).

٣ - لمسية تخاطب اليد :

-
- ١ الشعراء ، آية : ٣٣ .
 - ٢ البقرة ، آية : ٦٩ .
 - ٣ القصص ، آية : ٢٩ .
 - ٤ النحل ، آية : ١٦ .
 - ٥ الأنعام ، آية : ٩٧ .
 - ٦ هناك أشكال سمعية تخاطب الأذن تقوم على الاستعانة بالآلات وأدوات معينة - غير جهاز النطق الإنساني - لإصدار ضجّات أو (أصوات) خاصة جرى الاصطلاح على أنها رموز لمعان معينة ، ومن ذلك لغات الطبول الذائعة عند زنوج أفريقيا ، ورنات الأجراس ، ودقات النواقيس ، كما هو الحال في الكنائس والمعابد والمدارس ، وأصوات الأبواق ، والنوافير ، وما إليها تستعمل في الجنديّة والمعسكرات ، للتحية ، وإصدار أوامر خاصة ، كالاستدعاء ، والانصراف ، والإيذان بمواعيد الطعام . انظر : محمود السمران ، علم اللغة ، ص ٦٤ - ٦٥ .
 - ٧ انظر : م . ن ، ص ٦٤ . ومحمد العبد ، اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ، ص ١٠٧ .
 - ٨ الأنفال ، آية : ٣٥ .
 - ٩ الزخرف ، آية : ٥٧ .
 - ١٠ البقرة ، آية : ١٧١ .

وتختص باليد التي تتحسس الأشياء ، وقد ورد مثلها في حديث القرآن عن الكافرين الذين أخذوا يقبلون الكتاب ويجسونه بأيديهم ، كما في قول الباري - عز وجل - : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١).

" فاللموس باليد عندهم مثل المرئي بالعين والمسموع بالأذن ، وقيل : إن ذكر اليد هنا مبالغة في التأكيد ؛ ولأن اليد أقوى في اللمس من غيرها من الأعضاء " (٢).

٤ - شميمة تخاطب الأنف :

وتختص بالروائح ، ومنه قوله - تعالى - في وصف نبات الريحان الذي يستطيع له أهل الجنة لرائحته الطيبة : ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ (٣).

٥ - ذوقية تخاطب الفم :

ومن ذلك ما ورد في وصف شراب أهل الجنة الذي يستأذ له الفم كما في قوله - تعالى - : ﴿ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ . خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ (٤).

١١ - الوظائفية :

تؤدي الإشارات وظائف متعددة ، فالتمعن في السياق القرآني يجد أنها تؤدي وظائف متعددة تتمثل في الوظيفة الدلالية ، والوظيفة النفسية ، والوظيفة اللفظية ، والوظيفة البلاغية والجمالية ، والوظيفة التربوية ، والوظيفة التوضيحية . ويمكن استشراف هذه الوظائف على النحو التالي :

أ - الوظيفة الدلالية :

تعد الإشارة من " الروافد التي تغذي المعنى ، وتعزز فكرته ودلالته الكلية ؛ وذلك نحو قول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴾ (٥).

ولعل استشراف السياق النبوي هنا يفضي إلى أن تكون الحركة الإشارية الجسدية المتعينة في قوله - تعالى - : (وإذا زاغت الأبصار) تدل على الخوف ورمي النظر في تخوف وتخطف ، وليس يخفى من وجهة أخرى ، أن هذه الدلالة تتعين من قوله - تعالى - الذي جاء عقبها : (وبلغت

١ الأنعام ، آية : ٧ .
٢ أبو حيان ، البحر المحيط ، ٨٢ / ٤ .
٣ الواقعة ، آية : ٨٩ .
٤ المطففين ، آية : ٢٥ - ٢٦ .
٥ الأحزاب ، آية : ١٠ .

القلوب الحناجر) ، فالحركة الجسدية ههنا رافد مهم يعزز المعنى المتشكّل في سياقه البنيوي اللفظي " (١).

ب- الوظيفة النفسية :

" قد تكون الإشارة من الكواشف لحالات نفسية ؛ ذلك أنّها وردت في سياقها الشريف على سبيل وصف حقيقة عاشها قطب من أقطاب الحديث أو الحدث الكلامي ؛ ذلك أنّها وقعت فعلاً ثمّ وصفها الله لنا على أنّها كواشف لحالات نفسية ، ومنها قوله - تعالى- : ﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ (٢). فالدلالة المتعينة من هذه الإشارة منبئة عن حالة نفسية تعترّي أهلها في ذلك السياق وما يلتف بهم من أحوال وأهوال وقرائن " (٣).

ج- الوظيفة اللفظية :

" فقد تعدو الحركة الإشارية مما يسد مسد كلمة ، أو كلام ، أو كلمات فيكون الوصف الحركي في سياقه الشريف قائماً على مبدأ الاعتياض ، كما في قوله - تعالى - : ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ (٤). ففعلّ قوله (يقَلِّبُ كَفَّيْهِ) يعني في معجم الحركات الجسدية في هذا السياق (الندم) ، وكأنّ السياق اللفظي : (فأصبح نادماً على ما أنفق فيها ...) ، فكانت تلك الحركة من البدائل التي تقوم مقام سياق لفظي ، إن كلمة ، وإن جملة ، وإن كلاماً " (٥) ، ومثله أيضاً قول الحق : ﴿ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ (٦). فهذه الحركة سدّت مسد قولنا : " فتعجبت منكرة مستهجنة " (٧).

د- الوظيفة البلاغية الجمالية :

" فقد تعدو الإشارة في سياقها الشريف ذات ألقٍ جمالي مشع يبعث في نفس المتلقّي إعجاباً ، وحلاوةً ، وطلاوةً ، كما في قول الحق - تبارك وتعالى- : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴾ (٨). فنجد الألق الجمالي المشع الذي يفوق التعبير المباشر (يخافون) ، فكان هذا الوصف الحركي وصفاً لحالة نفسية تعترّيهم في سياقهم ذلك ، ورسمًا حركياً صورياً مادته الألفاظ اللغوية المنبئة عن المعنى " (٩).

-
- ١ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٩٦ .
 - ٢ الأحزاب ، آية : ١٩ .
 - ٣ مهدي عرار ، البيان بلا لسان ، ص ١٩٧ .
 - ٤ الكهف ، آية : ٤٢ .
 - ٥ مهدي عرار ، م . س ، ص ١٩٧ .
 - ٦ الذاريات ، آية : ٢٩ .
 - ٧ مهدي عرار ، م . س ، ص ١٩٨ .
 - ٨ البقرة ، آية : ١٩ .
 - ٩ انظر : مهدي عرار ، م . س ، ص ١٨١ ، ص ١٩٧ .

ومن مثل ذلك أيضاً قوله - تعالى - : ﴿ فَأَصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَيْهِ ﴾ (١). فمن يتدبر في هذه الإشارة يجد البون المتجلي بين قولنا (فأصبح نادماً) ، وقوله - تعالى - : (فأصبح يقلب كفيه) ، ألا تجد في ذلك ألفاً جمالياً مشعاً في نفس المتلقي أو السامع .

هـ - الوظيفة التربوية :

" فقد تكون الإشارة في سياقها القرآني ذات أفق تربوي يصرف الأبصار تلقاء ما هو واجب يفرضه الشارع ، أو ما هو مندوب يبيحه الشارع فيحث عليه ، أو ما هو مكروه يمجّه الشارع فيعاقب عليه " (٢).

فمن الواجب ، قول الحق - تبارك وتعالى - في واجب العبادة والطاعة المكرّسة له - جلّ شأنه - في وضع الركوع والسجود : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣). ومثله قوله أيضاً : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٤).

ومن تجليات ما هو مندوب قوله - تقدّس اسمه - لما أراد من خلع موسى عليه السلام لنعله تعظيماً للبقعة وتقديساً للذات الإلهية : ﴿ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (٥). ومن تجليات ما هو مكروه قول الحق مؤدباً ، ومحدراً ، ومنكراً على من يأتي بالمحظور المستهجن من الحركات والإشارات المتمثلة في الوصف الحركي : ﴿ وَلَا تَصْعَرْ حَدَاكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا ﴾ (٦) ، وكذلك ﴿ وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ ﴾ (٧).

١٢ - الحيوية التعبيرية :

وأخيراً فقد وسمت تلك الإشارات اللغة العربية بالحيوية والحركة ، فزودتها بطائفة من التعبيرات اللغوية ، وجملة من الأمثال التي اتخذت الإشارة أو الحركة مرتكزاً جوهرياً لبنيتها الدلالية ، وقد يعود ذلك إلى عرفية بعض الإشارات والحركات في البيئة العربية . وهذه نماذج تبين لنا ذلك :

الإشارات القرآنية	ما يناسبها من التعبير اللغوي أو المثل
١- ﴿ نَكَّصَ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ ﴾ (١) ﴿ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكِبُونَ ﴾ (٢)	يقال : (نكص على عقبيه وارتكس)

١ الكهف ، آية : ٤٢ .

٢ مهدي عرار ، م، ص ١٩٧ .

٣ الحج ، آية : ٧٧ .

٤ البقرة ، آية : ٤٣ .

٥ طه ، آية : ١٢ .

٦ لقمان ، آية : ١٨ .

٧ النور ، آية : ٣١ .

٢- ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣) ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (٤)	يُقال في باب اللحم : (خافض الجناح) وفي باب القرى والخلول في المكان : (خفض له جناحه)
٣- ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (٥)	يُقال في باب السخاء : (بسط كفّه)
٤- ﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٦)	يُقال في باب الانحراف : (ثنى عطفه عنه)
٥- ﴿سَشَدُّ عَضُدِكَ بِأَحْيِكَ﴾ (٧)	يُقال في باب الاستعانة : (شدّ على عضده)
٦- ﴿وَكَشَفْتَ عَنْ سَاقَيْهَا﴾ (٨)	يُقال في باب الاحتراز وشحن الهمم : (شمّر)
٧- ﴿مُتَكِنِينَ عَلَى رَفْرِفِ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (٩)	يُقال كناية عن رغد العيش : (عيش أخضر)
٨- ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ (١٠)	يُقال في الندم : (يأكل يديه ندمًا)
٩- ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ (١١)	يُقال : (هو أبيض اللون) ، ويقال : (يوم أسود) (١٢)

الخاتمة

بعد هذه الجولة في رحاب مفردات اللغة الإشارية في القرآن الكريم ، لا بدّ للباحث أن يقف في النهاية على المحطة الرئيسية ؛ ليستخلص فيها النتائج ، ويضع بعض التوصيات .

لهذا فقد كان للباحث هذه النتائج المستخلصة في دراسته ، والتي يمكن إجمالها في ما يلي :

١- حاول الباحث في هذه الدراسة استشراف ظاهرة الإشارة في لغة القرآن الكريم استشرافاً شاملاً ووافياً ، بحيث لا تقتصر على نوع واحد فقط من المفردات الإشارية ، وإنما تضمنت الإشارة الجسدية ، والإشارة الضوئية ، والإشارة الصوتية ، مع أنّ بعض الباحثين والدارسين يحدون المفردة الإشارية في الجانب الجسدي فقط .

- ١ الأنفال ، آية : ٤٨ .
٢ المؤمنون ، آية : ٦٦ .
٣ الحجر ، آية : ٨٨ .
٤ الإسراء ، آية : ٢٤ .
٥ المائدة ، آية : ٦٤ .
٦ الحج ، آية : ٩ .
٧ القصص ، آية : ٣٥ .
٨ النمل ، آية : ٤٤ .
٩ الرحمن ، آية : ٧٦ .
١٠ الفرقان ، آية : ٢٧ .
١١ آل عمران ، آية : ١٠٦ .
١٢ يُراجع : الهمداني ، الألفاظ الكتابية ، ص ١٩-١٥٣ . والميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م ، ١/١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ٢٣٧ ، ٣٠٨ ، ٣٦١ ، ٦١/٢ ، ١٩٩ ، ٣٨٥ .

- ٢- التقارب اللغوي والبلاغي للإشارة في النص القرآني .
- ٣- جاءت الإشارة في النص القرآني معبرة أحياناً عن معنى الآية ، وقد تمثلت في لفظة أو عبارة .
- ٤- التنوع في استخدام الأنماط الإشارية في التعبير عن المعنى البلاغي أو اللغوي .
- ٥- كان لمفردة الإشارة الجسدية النصيب الأكبر في هذه الدراسة ؛ وربما يعود ذلك لسببين ، هما :
- أ- كون الإشارات الجسدية أكثر الإشارات وروداً في القرآن الكريم ، فمن الطبيعي أن تأتي في هذه الدراسة تضم هذا النوع من الإشارات .
- ب- اهتمام معظم اللغويين والبلاغيين القدماء منهم والمحدثين بالإشارات الجسدية والحركية ؛ لما تؤديه من دور فعال في أداء المعنى اللغوي والبلاغي ، وفي عملية الاتصال والتواصل
- ٦- إن الإشارات بأنواعها وفروعها المختلفة قد لعبت دوراً كبيراً في إنتاج المعنى ؛ وفي الكشف عن الأحوال النفسية ، والهيئات المقامية التي بها يبسط الكلام ، وتختصر العبارات والألفاظ ؛ مما يناسب الطبيعة الجمالية والفنية للنصوص القرآنية المحللة .
- ٧- اللغة الإشارية تنتقل لنا الصورة أو الحدث من خلال إشارات وحركات وأصوات وألوان .
- ٨- تبقى الإشارة الشريك الآخر للفظ في اللغة ، فقد تساعد الإشارة مع الكلام على تأليف نظام واحد متكامل ، وهذا يجعل هناك مواعمة دلالية بين الإشارة والكلام الموافق لها في النص القرآني . وكما قال الجاحظ : " الإشارة و اللفظ شريكان ، ونعمّ العون هي له ، ونعمّ الترجمان هي عنه " (١) . ولهذا فإنّ العلاقة التكاملية والتكافلية بين الكلام والإشارة تجعل أحدهما يحيا من خلال الآخر .
- ٩- احتوت اللغة الإشارية في هذه الدراسة على المحسوس والمجرد ، ولكنّ استنادها على المحسوس أكثر ؛ لأنه الأصل ، فقد تمثّلت مع تطور الإنسان الفكري ، وقد دلّت التجارب على أنّ إدراك الإنسان للمحسوس أسبق وأكد من إدراكه العقلي الفكري ؛ أي ما يدرك بالفطرة أسبق مما يدرك بالفكرة . ولاستنادها على المحسوس فقد جعلها تقوم على علامات ورموز متحدة ، وصدورها عن أحاسيس إنسانية مشتركة ، وهذا ما جعلها أيضاً تكتسب صفة السهولة في التواصل العالمي ؛ لأنّ هناك إيماءات وحركات وإشارات أساسية في الاتصال هي عينها في مختلف أنحاء العالم ، كهز الرأس ، وعض الأنامل ، وتقليب الكف ، ووضع الأصابع في الأذن ، واعتماد بعض المتمّمات المساندة ، كالأدوات التي تلزم الإنسان ، مثل : العصا ، والدرع ، والثياب ، وكذلك الإشارات الصوتية : كالصراخ ، والصفير ، والهمس ... إلخ .

١ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ٧٨ / ١ .

ولهذا تبقى الإشارات - خاصة الجسدية منها - وسيلة التواصل الوحيدة والناجحة بين من اختلفت أجناسهم ، وتباينت ألسنتهم ؛ مما يجعل اللغة الإشارية تشكل بذور لغة عالمية بأشكالها وأنواعها كافة .

- ١٠- اعتماد اللغة الإشارية على معيار دقيق يأخذ بعين الاعتبار الشمول والموضوعية .
- ١١- إن اللغة الإشارية ساهمت في رفع مستوى الخطاب القرآني ، وفي طريقة استعمال الكلمات وفهمها ، وبنية الاستعارة والكناية .
- ١٢- إن كثيراً من النظريات والظواهر الدلالية واللغوية التي تصدق على اللغة ، تصدق على اللغة الإشارية ، كظاهرة المشترك اللفظي ، وظاهرة الترادف ، وظاهرة التوكيد ، وظاهرة السياق ، وغيرها من الظواهر الأخرى .
- ١٣- إن الإشارة الواحدة قد تتخصص داخلها ؛ وذلك حسب السياق .
- ١٤- تبيّن من خلال الإشارات أنّها قد تستخدم بديلاً بصرياً عن العلامات اللغوية السمعية ، وبديلاً سمعياً عن العلامات اللغوية البصرية ، ولكن يبقى هناك فاصل بين الصورة المرئية والصوت المعبر عنها .

ويتهي الباحث دراسته هذه ليقتراح بعض التوصيات التالية :

- ١- أن يتم تطوير اللغة الإشارية باعتبارها لغة عالمية ؛ لأنها تساهم في تعليم القراءة والكتابة ، وتساهم في تحديد المعنى ، وتركيب الجملة ، ووظيفة الكلمة ؛ لأنها ترتبط بقواعد النحو ، وعلم اللغة ، والبلاغة .
- ٢- توجيه الباحثين والدارسين نحو إجراء دراسات في اللغة الإشارية ، وتطبيقها على القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والشعر العربي ، وإجراء مقارنة بينها .
- ٣- تطبيق الأهداف التربوية ، والسلوكية ، والإرشادية ؛ وذلك من خلال الآيات التي تناولت مفردات اللغة الإشارية ، ودمجها بالمنهجين النفسي والاجتماعي ، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال أبحاث تطبيقية تجمع بين الدرس اللغوي والاجتماعي والنفسي .
- ٤- ينبغي الأخذ بأهداب علم الإشارات ، والإلمام بأصوله ؛ لأنّ التحول اللغوي سيكون من خلاله .
- ٥- وفي الختام ، هذه أبيات شعر تحمل توصية للإخوة الدارسين والباحثين والمهتمين :

بالبنان أشيرُ إليكم إخواني
علمٌ نافعٌ مسترسلٌ مميّزٌ
في أيِّ حرفٍ أو لفظٍ أو عبارةٍ
لا تحقرن مثلَ تلك العلامةِ
أن تستمروا في علم الإشارةِ
نجدُه في القرآن والشعر والروايةِ
فلا غنىَ حتى وإن كان في المقلّةِ
فيها من الإعجاب والإعجاز والدلالةِ

وأخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

فهرس الآيات القرآنية

رقم السورة	اسم السورة والآية	رقم الآية	الصفحة
٢-	سورة البقرة { أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ }	١٩	٤١، ١٠٩، ١١٧، ١٢٥، ١٢٠
	{ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ }	٤٣	٤٣، ١٢٦
	{ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْثُهَا تَسُرُّ النَّاسَ } تَسُرُّ النَّاسَ	٦٩	٩١، ١٠٧، ١٢٢
	{ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابِ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ }	١٠١	٤٦

٥٤	١٤٤	{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ }	
١١٩	١٥٠	{ وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ }	
١٢٣ ، ١٠١	١٧١	{ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءَ وَنِدَاءَ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ }	
		سورة آل عمران	-٣
١١٨	٤١	{ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا }	
٤٣	٤٣	{ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ }	
٢٦	٧٨	{ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتِهِمْ بِالْكِتَابِ لِيُحَسِّبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }	
١٠٦ ، ٨٩ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٢ ، ١٢٧	١٠٦	{ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ }	
٨٩ ، ٥٠	١٠٧	{ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }	
٧٤	١١١	{ وَإِنْ يُقَاتِلُواكُمْ يُولُواكُمْ الْآذِينَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ }	
١١٦ ، ٤١	١١٩	{ هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأُتَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْتُوا بَعْضِكُمْ إِنَّا لِلَّهِ عَالِمُونَ }	
٧٥	١٤٤	{ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَتَقَلَّبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ }	
٤٦	١٨٧	{ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْفُرُوهُ فَتَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ }	
٧٦	١٩١	{ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ }	
		سورة النساء	-٤
٢٦	٤٦	{ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ }	
		سورة المائدة	-٥
٧٧	٢٤	{ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ }	
٣٢	٢٨	{ لَنْ يَسْطُرَ إِلَيَّ يَدُكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ }	
١٢٦ ، ١١٧ ، ٣٢	٦٤	{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعُنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ }	

١١٠، ٦١	٨٣	{ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ }	
		سورة الأنعام	-٦
١٢٣، ٣٣	٧	{ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ }	
٧٥	٧١	{ قُلْ أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتَظِرْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ }	
١٢٣، ٥٤ - ٥٣	٧٩	{ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ }	
٣١	٩٣	{ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ }	
١٠٧، ٩٧	٩٧	{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ التُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }	
٩٣	٩٩	{ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا }	
٤٦	١٢٥	{ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ }	
٨٥	١٥٢	{ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ }	
		سورة الأعراف	-٧
٨١	٢٦	{ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا }	
٥٤	٢٩	{ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }	
٨٥	٨٥	{ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا }	
١٠٧، ١٠٤	١٩٣	{ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُواكُمْ سِوَاءَ عَلَيْكُمْ أَدْعَاؤُهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ }	
١٠٣	٢٠٤	{ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }	
		سورة الأنفال	-٨
٧٤	١٥	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ }	
١٠٧، ٤٧، ١٠٢، ١٢٣	٣٥	{ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ }	

١٢٦ ، ٧٥	٤٨	{ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بريءٌ مِنْكُمْ }	
		سورة التوبة	-٩
٧٦	٤٦	{ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ }	
٧٤	٥٧	{ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدَخِلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ }	
٣٢	٦٧	{ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }	
٧٧	٨٣	{ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ }	
١٢٢ ، ٦١	٩٢	{ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ }	
		سورة يونس	-١٠
٩٦	٥	{ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا }	
٥٠	٢٦	{ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }	
		سورة هود	-١١
١٢١ ، ٤٥	٥	{ أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }	
٦٣	٣٧	{ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا }	
٦٦	٧١	{ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ }	
٦٦	٧٢ ٧٣	{ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْثِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ . قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ }	
٧٣	٨١	{ قَالُوا يَا لَوْ طُ إِثْنَا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَبَاهُ لِكَيْ يَنْقَطِعَ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ }	
٤٦	٩٢	{ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ }	
١٠٧ ، ١٠١	١٠٦	{ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ }	
		سورة يوسف	-١٢
١١٩ ، ٦٢	١٦	{ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ }	

٨٠	١٨	{ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ }	
٨٠	٢٦ ٢٧ ٢٨	{ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبْتَ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكَ إِنْ كَيْدُكَ عَظِيمٌ }	
١١٧ ، ٦٢	٨٤	{ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ }	
٨٠	٩٣	{ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا }	
٨٠	٩٦	{ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا }	
		سورة الرعد	-١٣
١١٩ ، ٣١	١٤	{ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كِبَاسٌ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَلْبَغِيَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ }	
		سورة إبراهيم	-١٤
٣٩	٩	{ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ }	
١٠٦ ، ٥٨ ، ٢٩	٤٢	{ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ }	
٧٢ ، ٥٨ ، ٢٩	٤٣	{ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفَلَتُمْ هَوَاءَ }	
		سورة الحجر	-١٥
٦١	١٤	{ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ }	
٦١	١٥	{ لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ }	
٨٥	١٩	{ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونَ }	
١٢٦ ، ٣٥	٨٨	{ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْنَا جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ }	
٤٦	٩٧	{ وَلَقَدْ عَلِمَ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ }	
٤٦	٩٨	{ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ }	
		سورة النحل	-١٦
٨٨	١٣	{ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ }	
١٢٢ ، ١٠٧ ، ٩٧	١٦	{ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ }	
١٢٢ ، ١٠٩ ، ٥٠	٥٨	{ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ }	

٨٢	٨٠	{ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ }	
٨٤ ، ٨١	٨١	{ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ }	
		سورة الإسراء	-١٧
٧٣	١	{ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }	
٤٩	٧	{ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا }	
١٢٦ ، ٣٥	٢٤	{ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا }	
٣٢ ، ٤٢ ، ١١٦ ، ١١٩	٢٩	{ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا }	
١١٥ ، ٧٠	٣٧	{ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا }	
٢٩	٥١	{ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا }	
٤٤	٨٣	{ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا }	
٥٣	٩٧	{ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهِتَ فَهِيَ الْهُتَدِ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُدْمًا وَبُكْمًا وَصُمًّا }	
٤٤	١٠٧	{ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا }	
١١٩ ، ٦٢ ، ٤٤	١٠٩	{ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا }	
		سورة الكهف	-١٨
٧٤	١٨	{ لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلَمْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا }	
٩١ ، ٨١	٣١	{ وَيَأْتِسُونَ تَبَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ }	
١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٥ ، ١٢١ ، ١٢٥	٤٢	{ وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا }	
		سورة مريم	-١٩
٦٣	٢٦	{ فَكَلِمَةَ يَاسْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا }	
١١١ ، ٧٨	٦٨	{ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثًّا }	
٨٢	٧٤	{ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِثِيًا }	
١٠٣	٩٨	{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا }	

		سورة طه	-٢٠
٩٧	١٠	{ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَىٰ النَّارِ هُدًى }	
١٢٦ ، ١١٨ ، ٧٩	١٢	{ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى }	
٨٣	١٨	{ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأَ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَىٰ غَمَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى }	
٦٣	٣٩	{ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مَّيِّمًا وَلَتُصْنَعُ عَلَىٰ عَيْبِي }	
٦٢	٤٠	{ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمَمِكَ كَيْ تَفَرَّ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ }	
١١٩	٦٠	{ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى }	
١١٠ ، ١٠٧ ، ٩٥	١٠٢	{ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا }	
١٠٣	١٠٣	{ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا }	
١٠٧ ، ١٠٢	١٠٨	{ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا }	
		سورة الأنبياء	-٢١
٧٢	١٢	{ فَلَمَّا أَحْسَبُوا أَنبَأَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ }	
٧٢	١٣	{ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ }	
٣٠	٦٤	{ فَارْجِعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّا كُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ }	
٣٠	٦٥	{ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ }	
٨٤ - ٨٣	٨٠	{ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ }	
٥٨	٩٧	{ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا }	
		سورة الحج	-٢٢
٤٤	٨	{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِرٍ }	
١٢٦ ، ٤٤	٩	{ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ }	
٩٣	٦٣	{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ }	
٤٩	٧٢	{ وَإِذَا تَنَلَّىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتَنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }	
١٢٦ ، ٤٣	٧٧	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }	

٢٣-	سورة المؤمنون	٦٦	١٢٦، ٧٥	{ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ }
٢٤-	سورة النور	٣٠	٥٥	{ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ }
		٣١	١٠٦، ٥٥، ٣٦ ١٢٦، ١٠٩	{ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ... وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }
		٣٧	٦٠	{ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ }
٢٥-	سورة الفرقان	١٢	١٠٢	{ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا }
		٢٧	١١٦، ١٠٦، ٤٠ ١٢٧، ١٢١	{ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا }
		٦٣	٧١	{ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا }
٢٦-	سورة الشعراء	٤	٢٨	{ إِنَّ نَشْأَ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ }
		١٣	٤٦	{ وَيَضِيقُ صَادِرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسَلْ إِلَىٰ هَارُونَ }
		٢١	٧٤	{ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ }
		٣٣	١٢٢، ٣٤	{ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ }
		٤٦	٤٣	{ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ }
		١٨١ ١٨٢	٨٥	{ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ }
		٢١٥	٣٥	{ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }
٢٧-	سورة النمل	٧	٩٧	{ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بَخِيرٌ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ }
		١٠	٧٤	{ وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ }
		١٢	٣٤	{ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ }

٦٧	١٩	{ فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا }	
١٢٧ ، ٣٧	٤٤	{ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَدَفَتْ عَن سَاقِهَا }	
		سورة القصص	-٢٨
٦٣ ، ٣٤	١٣	{ فَرَدَدْنَا إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ }	
١٠٠	١٨	{ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ }	
٧٣	٢٠	{ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ }	
١١٩	٢٤	{ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ }	
٧١	٢٥	{ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ }	
١٢٢ ، ١٠٧	٢٩	{ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ }	
٣٤	٣٢	{ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ }	
١٢٧ ، ٣٥	٣٥	{ قَالَ سَنَسُدُّ عَضُدَكَ بِأَيْحِكَ وَتَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا }	
		سورة الروم	-٣٠
٥٤	٣٠	{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا }	
٩١	٥١	{ وَلَكِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ }	
		سورة لقمان	-٣١
١٠٦ ، ٧٠ ، ٢٧ ، ١٢٦	١٨	{ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ }	
١٠٧ ، ٧٠	١٩	{ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }	
		سورة السجدة	-٣٢
٣٠	١٢	{ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ }	
		سورة الأحزاب	-٣٣
١٢٤ ، ٥٩ ، ٥٨	١٠	{ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا }	
١٢٤ ، ١٢٠ ، ٥٩	١٩	{ شِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ }	

٨١	٥٩	{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُذنبن عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يُؤذبن وكان الله غفوراً رحيمًا }	
		سورة سبأ	-٣٤
٨٤	١٠ ١١	{ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ . أَنْ اِعْمَلْ سَابِغَاتٍ }	
		سورة فاطر	-٣٥
٩٠ ، ٩٤ ، ١٠٧ ، ١٠٨	٢٧	{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ }	
٨٥	٢٨	{ وَمِنَ النَّاسِ وَالِدُونَ وَالْأُنْعَامَ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ }	
٨١	٣٣	{ يَحْلُونَ فِيهَا مِنْ آسَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُوا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ }	
١٠٧ ، ١٠٠	٣٧	{ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ التَّنْذِيرُ فذوقوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ }	
		سورة يس	-٣٦
٣٠	٨	{ إِنَّا جَعَلْنَا فِي آعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ }	
٧٣	٢٠	{ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ }	
٨٦	٢٩	{ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ }	
١٠٠	٤٣	{ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَدُونَ }	
		سورة الصافات	-٣٧
٩٠ ، ١٠٧	٤٦ ٤٧	{ بِيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنرَفُونَ }	
١١٧ ، ٩٠ ، ٥٦	٤٨	{ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ }	
٩٠	٤٩	{ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ }	
٦٤	٨٨	{ فَتَنْظُرُ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ }	
٦٤	٨٩ ٩٠	{ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ . فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ }	
		سورة ص	-٣٨
٧٣	٤٢	{ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ }	
٥٩	٦٣	{ أَتَّخَذْنَا هُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ }	
		سورة الزمر	-٣٩
١٠٧ ، ٩١	٢١	{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا }	

		مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ {	
٨٩ ، ٥١	٦٠	{ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ {	
		سورة غافر	-٤٠
٥٤	١٩	{ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ {	
		سورة الشورى	-٤٢
٨٥	١٧	{ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ {	
١١١ ، ٥٧	٤٥	{ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ {	
		سورة الزخرف	-٤٣
٩٠	١٧	{ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ {	
٦٦	٤٧	{ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بَيِّنَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ {	
١٢٣ ، ١٠٧ ، ١٠١	٥٧	{ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ {	
		سورة الجاثية	-٤٥
٧٨	٢٧ ٢٨	{ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِنُدِ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ . وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً {	
		سورة محمد	-٤٧
٥٩	٢٠	{ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ {	
		سورة الفتح	-٤٨
٥١ ، ٤٣	٢٩	{ تَرَاهُمْ رُكُوعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ {	
		سورة الذاريات	-٥١
٣٨ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١٢٥	٢٩	{ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَّةٍ فَاصْكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ {	
١١٩	٣٩	{ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ {	
		سورة الطور	-٥٢
٣٤	١٣	{ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً {	
٧٧	٢٠	{ مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَرَوَّجْتَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ {	

٥٣-	سورة النجم	٥٩ ٦٠	٢٩ ، ٦٦	{ أَقْمِنُ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجِبُونَ . وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ }
		٦١	٢٩	{ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ }
٥٤-	سورة القمر	٨	٧٢	{ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ }
٥٥-	سورة الرحمن	٧	٨٥	{ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ }
		٨ ٩	٨٥	{ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ . وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ }
		١٢	٨٢	{ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ }
		٣٧	٩٤	{ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ }
		٤١	٥٢	{ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ }
		٥٤	٧٧	{ مُتَكِينِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ }
		٥٦	٥٦	{ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِسْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ }
		٥٨	٩٤	{ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ }
		٧٦	٧٧ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٢٧	{ مُتَكِينِينَ عَلَى رَفْرِفٍ خَضِرٍ وَعَقَبَرِيِّ حَسَانٍ }
٥٦-	سورة الواقعة	٨٩	١٢٤ ، ٨٢	{ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ }
٥٧-	سورة الحديد	١٣	٩٦	{ يَوْمَ يَقُولُ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا }
		٢٠	٩١	{ اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْغُرُورِ }
		٢٨	٩٦	{ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ }
٥٨-	سورة المجادلة	١١	٧٧	{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }

		سورة الممتحنة	-٦٠
١١٩ ، ٣٢	٢	{ إِنَّ يَنْفَقُوا كَمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ }	
		سورة المنافقون	-٦٣
٢٨	٥	{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ }	
		سورة الملك	-٦٧
٦٤	٣	{ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ }	
٦٤	٤	{ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ }	
١٠٢	٧	{ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ }	
٧١ ، ٥٣	٢٢	{ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ }	
٤٩	٢٧	{ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَتْ وَجُوهَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ }	
		سورة القلم	-٦٨
١٠٣	٢٣	{ فَانظُرُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ }	
٣٧	٤٢	{ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ }	
٥٧	٤٣	{ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ }	
٦٠	٥١	{ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ }	
		سورة المعارج	-٧٠
٧٢	٣٦	{ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ }	
٥٧	٤٤	{ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ }	
		سورة نوح	-٧١
١٢٠ ، ١٠٨ ، ٤٢	٧	{ وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا }	
		سورة المدثر	-٧٤
٨١	٤	{ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ }	

	٢١ ٢٢ ٢٣	{ ثُمَّ نَظَرَ . ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ . ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ {	
		سورة القيامة	-٧٥
١١٥ ، ٦٠	٧	{ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ {	
٦٠	٨ ٩	{ وَخَسَفَ الْقَمَرُ . وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ {	
١١٢	٢٢ ٢٣	{ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ {	
١١٢ ، ٥٢	٢٤ ٢٥	{ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ . تَتُوبْنَ أَنَّ يَفْعَلَ بِهَا فَاغِرَةٌ {	
٣٧	٢٩ ٣٠	وَالنَّفَّاتِ السَّاقِطِ السَّاقِ . إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقِ	
٦٩	٣٣	ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِي	
		سورة المرسلات	-٧٧
٩١	٣٢ ٣٣	{ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ . كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ {	
		سورة عبس	-٨٠
٥٢	١	{ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ {	
٥٢	٢	{ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ {	
٧٤	٣٤ ٣٥	{ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنَ آخِيهِ . وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ {	
١٠٦ ، ٦٦ ، ٥١ ١٢٢ ، ١١٢	٣٨ ٣٩	{ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ . ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ {	
١١٢ ، ١٠٦ ، ٥٠	٤٠ ٤١ ٤٢	{ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ . تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ . أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفَجِرَةُ {	
		سورة المطففين	-٨٣
٥١	٢٣	{ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ {	
١٢٢ ، ٥١	٢٤	{ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ {	
١٢٤ ، ٨٢	٢٥ ٢٦	{ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَّخْتومٍ . خِتَامُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ {	
١٠٩ ، ٦٦ ، ٥٦	٢٩ ٣٠	{ إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ . وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ {	
٦٦	٣٤	{ فَأَلْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكٰفِرِ يَضْحَكُونَ {	
٦٦	٣٥	{ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ {	
		سورة الغاشية	-٨٨
٥٣	٢	{ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ {	

٥٣	٣	{ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ }	
٥١	٨	{ وَجُودٌ يَوْمِنْدٍ نَاعِمَةٌ }	
٥١	٩ ١٠	{ لِسَعِيهَا رَاضِيَةٌ . فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ }	
		سورة الماعون	-١٠٧
٣٤	٢	{ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ }	

فهرس الأبيات الشعرية

الرقم	ترتيب البيت حسب القافية	الوزن	الصفحة
١-	إذا الملكُ الجبارُ صَعَرَ خَدَهُ مشينا إليه بالسيفِ نُعَاتِبُهُ	الطويل	٢٧
٢-	تَقُولُ وَصَكَتْ وَجْهَهَا بِيَمِينِهَا أبعلي هذا بالرحى المتقاعس	الطويل	١١
٣-	مليءٌ ببُهِرٍ وَالتفَاتِ وَسُعْلَةٍ ومسحة عثون وفتل الأصابع	الطويل	٧
٤-	أطوف نهارى مع الطانفين وأسهر ليلي مع العاكفين عسى فارج الكرب عن يوسف يسخر لي ربة المحمل	المتقارب	٧
٥-	وغداة ريحٍ قد وَرَعَتْ وَقِرَّةٍ وتوجَّستُ ركز الأنيس فراعها	الكامل	٣٥ ١٠٣
٦-	يُتَرَجَّمُ طَرْفِي عَن لِسَانِي بِسِرِّهِ أليسَ عَجِيبًا أَنْ بَيَّتْنَا بِضُمْنِي إشارةً أفواهٍ ، وَغَمَزُ حَوَاجِبِ وَألسُنُنَا مَمْنُوعَةٌ عَن مَرَادِنَا	الطويل	٢٤
٧-	أشارت بطرف العين خيفة أهلها فأيقنت أن الطرف قد قال مرحباً	الطويل	١٠ ٢٢
٨-	رفوني وقالوا: يا خويلد لا تُرْعُ فقلت - وأنكرت الوجوه - : هم هم	الطويل	١٢
٩-	سدمًا قديمًا عهده بأئيسه من بين أصفر فاقع ودخان	الكامل	٩١
١٠-	العينُ تبدي الذي في نفس صاحبها والعين تنطق والأفواه صامتة	البسيط	١٠

فهرس المصادر والمراجع والدوريات

أولاً : المصادر :

* القرآن الكريم .

- ١- ابن أبي ربيعة ، عمر بن أبي ربيعة ، الديوان ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- ٢- ابن برد ، بشار بن برد بن يرجوخ (ت ٧١٠هـ) ، الديوان ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .
- ٣- ابن جني ، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، ط١ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٣١هـ / ١٩١٣م .
- ٤- ابن ربيعة ، لبيد بن ربيعة العامري ، الديوان ، دار صادر - بيروت ، د . ت .
- ٥- ابن رشيق ، أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٥٦هـ) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٣ ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٦٣م .
- ٦- ابن شاهين ، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (ت ٨٧٣هـ) ، الإشارات في علم العبارات ، تحقيق سيّد كسروي حسن ، ط١ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
- ٧- ابن عبد ربّه ، أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) ، العقد الفريد ، تحقيق عبد المجيد الترجمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ٨- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، ط١ ، دار ابن حزم ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .
- ٩- ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) ، لسان العرب ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- ١٠- أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائي :
أ- ديوانه ، أبو تمام ، الديوان ، تقديم وشرح محيي الدين صبحي ، ط١ ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٧م .
ب- ديوان الحماسة ، تحقيق عبد المنعم أحمد صالح ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد - العراق ، ١٩٨٧م .
- ١١- أبو حيّان ، أثير الدين محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تفسير البحر المحيط ،

- دراسة وتحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٩م .
- ١٢- أبو عبيدة ، معمر بن المثنى التميمي (ت ٢١٠هـ) ، مجاز القرآن ، علق عليه محمد فؤاد سزكين ، ط ٢ ، مكتبة الخانجي ، دار الفكر ، مصر ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .
- ١٣- الأصفهاني ، أبو الفرج الحسين بن محمد (ت ٣٦٥هـ) ، الأغاني ، شرحه ورتب هوامشه سمير جابر وعلي مهنا ، ط ٢ ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، د . ت .
- ١٤- الأصفهاني ، أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٣هـ) ، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ضبط وتصحيح وإخراج إبراهيم شمس الدين ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ١٥- الألوسي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠هـ) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تصحيح محمد العرب ، إشراف هيئة البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- ١٦- البحتري ، أبو عبادة الوليد بن عبيد البحتري ، ديوان الحماسة ، ط ٢ ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
- ١٧- البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) ، متن البخاري ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٩٧٨م .
- ١٨- البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت ٥١٦هـ) ، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ، ط ١ ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- ١٩- الترمذي ، أبو عيسى محمد بن سورة ، (ت ٢٩٧هـ) ، صحيح الترمذي ، بشرح ابن عربي المالكي ، ط ١ ، المطبعة المصرية بالأزهر ، القاهرة ، ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م .
- ٢٠- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد (ت ٤٣٠هـ) ، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، ط ٣ ، دار الفكر ، القاهرة ، د . ت .
- ٢١- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) :
- أ- البرصان والعرجان والعميان والحولان ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، ط ٥ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٢ .
- ب- البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، د . ت .
- ج- الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٢م .

- ٢٢- الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧٤هـ) ، دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تعليق محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م .
- ٢٣- الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ) ، الفراسة ، تحقيق إبراهيم مدكور ، ط ١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٢م .
- ٢٤- الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبدالله (ت ٧٩٤هـ) ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢م .
- ٢٥- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد (ت ٥٣٨هـ) : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .
- طبعة أخرى : رتبه وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين ، ط ١ ، دار الكتب العلميّة ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
- ب- أساس البلاغة ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- ٢٦- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ط ١ ، دار المغني للنشر والتوزيع ، الرياض ، ودار ابن حزم ، بيروت - لبنان ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
- ٢٧- السكاكي ، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (ت ٦١٦هـ) ، مفتاح العلوم ، ط ١ ، مطبعة مصطفى بابي الحلبي وأولاده ، مصر ، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م .
- طبعة أخرى : ضبط وتعليق نعيم زرزور ، ط ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٢٨- الشنقيطي ، محمد أمين بن محمد بن المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ، أضواء البيان ، إشراف مكتبة البحوث والدراسات ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
- ٢٩- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ) ، فتح القدير ، ضبطه وصححه أحمد عبد السلام ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
- ٣٠- الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، (ت ٥٤٨هـ) مجمع البيان في تفسير القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م .
- ٣١- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، هذبته وقرّبه صلاح الخالدي ، وخرّج أحاديثه إبراهيم محمد علي ، ط ١ ، دار القلم ، دمشق ، والدار الشامية ، بيروت ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

- ٣٢- العكبري ، أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله (ت ٦١٦هـ) ، التبيان في إعراب القرآن ، تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، دار الحديث ، القاهرة ، د . ت .
- ٣١- الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ) ، معاني القرآن ، إعداد إبراهيم الدسوقي ، وإشراف عبد الصبور شاهين ، ط ١ ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- ٣٢- الفيروز أبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) ، القاموس المحيط ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٨هـ / ١٩٩٢م .
- ٣٣- القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) ، الجامع لأحكام القرآن الكريم ، خرّج حديثه وعلّق عليه عرفات العشا ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م
- ٣٤- القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب (ت ٧٣٩هـ) ، الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي ، ط ٣ ، دار الجيل - بيروت ، د . ت .
- طبعة أخرى : ط ٤ ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- ٣٥- المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ) ، الكامل في اللغة والأدب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ، د.ت.
- ٣٦- المحلّي ، جلال الدين محمد بن أحمد ، والسيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، تفسير الجلالين ، تقديم ومراجعة مروان سوارا ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٣٧- الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ، والميداني ، مجمع الأمثال ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م.
- ٣٨- هذيل ، شعر الهذليين ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، د . ت .
- ٣٩- الهمداني ، عبد الرحمن بن عيسى (ت ٣٢٠هـ) ، الألفاظ الكتابية ، راجعه وقدّم إليه السيد الجميلي ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

ثانيًا : المراجع :

أ- المراجع العربية :

- ١- ابن عثيمين ، محمد صالح ، تفسير سورة يس ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٩م .
- ٢- أبو الرّوس ، أيمن ، فن قراءة الوجوه وكشف خبايا النفوس ، مكتبة ابن سينا، القاهرة ، ٢٠٠٢م .
- ٣- الأشكر ، إكرام ، الرقص لغة الجسد ، ط١ ، دار الفرات ، بيروت ، ٢٠٠٣م .
- ٤- أنيس ، إبراهيم وزملاؤه ، المعجم الوسيط ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٨م .
- ٥- خالد ، عمرو ، خُلق المؤمن ، ط١ ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- ٦- الخوري ، فؤاد إسحاق ، لغة الجسد ، ط١ ، دار الساقى ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٠م .
- ٧- دوب ، رابح ، البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، ط١ ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
- ٨- دياب ، كوكب ، المعجم المفصل في الأصوات ، ط١ ، جروس برس ، طرابلس - لبنان ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
- ٩- زيدان ، جرجي ، علم الفراسة الحديث ، ط٢ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٧م .
- ١٠- السامرائي ، فاضل صالح :
- أ- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني ، ط٣ ، دار عمّار ، عمّان - الأردن ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .
- ب- التعبير القرآني ، ط٤ ، عمّان - الأردن ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .
- ج- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل ، عمّان - الأردن ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .
- ١١- السّعران ، محمود ، علم اللغة ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، د . د .
- ١٢- شقلابو ، جميلة محمد ، كتاب الأمل للصم في لغة الإشارة ، ط١ ، الدار الجماهيرية ، للنشر والتوزيع ، بنغازي ، ٢٠٠٠م .
- ١٣- الصابوني ، محمد علي ، مختصر تفسير ابن كثير ، ط٢ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة ، ١٩٨٧م .

- ١٤- عاقل ، فاخر ، معجم علم النفس ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٥ م .
- ١٥- عبد التواب ، صلاح الدين ، الصورة الأدبية في القرآن ، ط١ ، مكتبة لبنان ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونغمان ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٥ م .
- ١٦- عبد العال ، محمد عبد المجيد ، المفاهيم النفسية في القرآن ، ط١ ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م .
- ١٧- عبد العظيم ، شاكر ، لغة الطفل ، وحدة ثقافة الطفل بشركة سفير ، القاهرة ، د.ت .
- ١٨- عبد الله ، محمد محمود ، معجزات الأنبياء ، مكتبة الإيمان بالمنصورة ، د.ت .
- ١٩- العبد ، محمد :
- أ- العبارة والإشارة ، ط١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٦١هـ / ١٩٩٥ م .
- ب- اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة ، ط١ ، دار الفكر للدراسات والنشر ، والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٠ م .
- ٢٠- عتريس ، محمد ، معجم التعبيرات القرآنية ، ط١ ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- ٢١- عرار ، مهدي أسعد :
- أ- ظاهرة اللبس في العربية ، ط١ ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان - الأردن ، ٢٠٠٣ م
- ب- البيان بلا لسان ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧ م
- ٢٢- القليلي ، محمد عادل ، نظرات جديدة في القرآن المعجز ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧ م .
- ٢٣- نجاتي ، محمد عثمان ، القرآن وعلم النفس ، ط٣ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٧ م .
- ٢٤- نعمة الله ، هيكل ، الفراسة وقراءة الأفكار ، ط١ ، جروس برس ، طرابلس - لبنان ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م .
- ٢٥- الهاشمي ، السيد أحمد ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، شرح وتحقيق حسن حمد ، دار الجيل ، بيروت ، ٢٠٠٢ م .

ب- المراجع المترجمة :

- ١- باكو ، ناتالي ، لغة الحركات ، تعريب سمير شيخاني ، ط١ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
- ٢- بنوا ، لوك ، إشارات رموز أساطير ، تعريب فايز كم نقش ، ط١ ، عويدات للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠١م .
- ٣- بيز ، آلن ، لغة الجسد ، تعريب سمير شيخاني ، ط١ ، الدار العربية للعلوم ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ٤- روبن ، برنت ، الاتصال والسلوك الإنساني ، ترجمة نخبة من أعضاء قسم وسائل وتكنولوجيا التعليم بكلية التربية ، جامعة الملك مسعود ، معهد الإدارة العامة للبحوث ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
- ٥- كورباليس ، مايكل ، في نشأة اللغة ، ترجمة محمود ماجد عمر ، سلسلة عالم المعرفة ، شركة مطابع المجموعة الدولية ، الكويت ، ٢٠٠٦م .
- ٦- لوشكي ، مارفين ، التمثيل الصامت ، ترجمة سامي صالح ، ط١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

ثالثاً : الدورات :

- ١- سعيد ، علاء ، الضحك علاج فعال للأمراض النفسية والجسدية ، مجلة بلسم ، جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ، ع٣٥٨ ، السنة الثلاثون ، نيسان ، ٢٠٠٥م .
- ٢- الفيبي ، عبدالله بن أحمد ، الإشارة - البنية - الأثر ، قراءة في دلائل الإعجاز في ضوء النقد الحديث ، مجلة جذور ، ج٤ ، مج٢ ، سبتمبر ، ٢٠٠٠م .
- ٣- كشّاش ، محمد ، لغة الإشارة من البدائية والتلقائية إلى لغة عالمية ، مجلة الفكر العربي ، ع٩٥ ، السنة العشرون ، شتاء ، ١٩٩٩م .
- ٤- الميساوي ، الصادق ، الألوان في اللغة والأدب ، حوليات الجامعة التونسية ، ع٣٦ ، ١٩٩٥م .

رابعاً : مواقع انترنت :

- ١- أبو ياسر ، معاني الألوان في الشعر والقرآن ، منتدى التربية والتعليم ، موقع :
<http://moudir.com/vb/member.php?u=٥٩٩١٨>.
- ٢- الدخيل ، نسايم ، الألوان في القرآن الكريم ، بلاغة البيان الإلهي ، منتديات الحصن النفسي ،
موقع :
[http:// www.bafree.net/forum/archive/-٣٨٠٦١.htm](http://www.bafree.net/forum/archive/-٣٨٠٦١.htm) - ٥٥k
<http://media.islamway.com/several/alfatinah/٠٢.mp٣>
- ٣- سعد الدين ، فاطمة ، أسرار لغة الجسد في التأثير والإقناع ، المنتديات التعليمية ، وزارة
التربية والتعليم ، موقع :
<http://٧٠.٨٧.٨٣.١٤٧/vb١/shouthread.php? =١١٥٩>
- ٤- عيد ، محمد السقا ، الألوان في القرآن ، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، موقع :
http://www.٥٥a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=٨١٨&select_page=١٢
- ٥- مزيد ، بهاء الدين محمد ، تجديد البلاغة العربية ، موقع :
[http:// www.ofouq.com / art / balaqa .٠٤ .jpg](http://www.ofouq.com/art/balaqa.٠٤.jpg)
<http://www.ofouq.com/today/modules.php?name=News&file=article&sid=٢١٥٩>
- ٦- المهند ، لغة الإشارة ودورها في عملية الدمج التربوي والاجتماعي والاقتصادي ،
المنتدى العربي الموحد ، موقع :
<http://www.٤uarab.com/vb/showthread.php?t=١٩٢٠١>